أسامة المسلم

خوف ٢


خوف ٢
رواية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المسلم، أسامة

خوف ٢. / أسامة المسلم - الدمام، ١٤٣٩هـ
... ص ؛.. سم
ردمك: ٧-٦٣-٨٢٣٢-٦٠٣-٩٧٨

١ - القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣،٠٣٩٥٣١ ٣٩٢٦/ ١٤٣٩

رقم الإيداع: ٣٩٢٦/ ١٤٣٩
ردمك: ٧-٦٣-٨٢٣٢-٦٠٣-٩٧٨

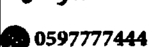
مصمم الغلاف: @Shathahvd



مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع
الموقع الإلكتروني :
www.daapd.com

للتواصل:
0597777444
لجنة النشر :







المملكة العربية السعودية- الدمام

لطلب اصدارات مركز الأدب العربي 0594447441

التجهيز الفني للكتاب
مركزخدمة المؤلفين
تصميم، تسويق، طباعة، توزيع
للتواصل واتس:
مصر- 00201120102172

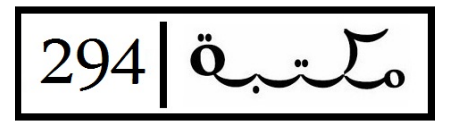




رواية

أسامة المسلم

@osamahalmuslim
@osamahalmuslim
Komontage



١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

تنويه:

إن محتوى هذه الرواية من أحداث وشخصيات ومعلومات هي من وحي خيال الكاتب وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض مصادفة لا أكثر.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٨]

«نعيش اليوم في عالمٍ مشبعٍ بالماديات التي تُغشي أبصارنا عن عالمٍ آخر .. عالم موازٍ وأكثر ظلمة .. عالم يختفي خلف العمى .. عمى أصاب معظمنا بسبب المنطق المطلق .. شئنا أم أبينا فهم يعيشون بيننا وحولنا .. يروننا من حيث لا نراهم .. وهم أذكى مما نظن .. وأخبث مما نعتقد»

خوف

لو كان لروحك ثمن ..

فهل تبيعها ..؟

أم تشتريها ..؟

الغُرَّة

كيف تضع مقدمة لرحلة بدأت ولم تنتهِ بعد؟..

هل سنخوض ذلك السجال القديم مرة أخرى عما إذا كانت الأحرف المُسطرة في هذه المدونة كتاباً أو رواية أو شيئاً آخر؟ لم نبدأ بعد وقد طرحت سؤالين..

لا تلقِ بالاً فهذه طبيعة عقلي المتسائل الذي لا يتوقف ويوقعني في المشكلات دائماً.

التدوين كان وما زال وسيبقى جزءاً من حياتي. لكن ما الذي يستحق التدوين؟.. التاريخ؟.. الخواطر؟.. العلم المثبت؟.. هل كل من دوَّن حرفاً انتظر إذناً أو مشورة من أحد بأن يفعل أو لا يفعل؟

أي نصٍّ يُكتب يستمد قوته من قُرائه وتزداد تلك القوة عندما يرون أنفسهم فيه.. نحن كبشر جُبلنا على التعاطف مع من عانوا مثلنا فلو كتبت نصّاً عن ألم فراق الأم سيرى الكثير أنفسهم في تلك الكلمات ولن أحتاج لبراهين أقدمها كي أقنعهم بتلك المشاعر ومدى قوتها وتأثيرها

علينا لأنهم عاشوها بأنفسهم وأنا لم أقم سوى بنسجها أمامهم كي يشعروا بها مرة أخرى. لذا فليس من المنطقي أن أحاول شرح حقيقة تلك المشاعر لمن لم يجربها قط.

كان الناس في السابق يواجهون مشكلة مع من يأتي بفكرٍ جديد أما اليوم فقد تطور الأمر لمحاربة حتى من يملك مجرد رأي. مصادرة الأفكار مصيبة لكن مصادرة الآراء كارثة بكل المقاييس. انتقلنا من مسوخٍ رافضة للتغيير أو التغير إلى وحوشٍ تفترس كل من يفكر حتى في ذلك. في الواقع نحن لسنا ملزمين باحترام الرأي إذا كان صاحب الرأي لا يحترم نفسه فأجمل النقاشات هي التي تخلو من محاولة الإقناع لكن ذلك نادرٌ جدّاً في زمن المسوخ الفكرية.

هناك فرقٌ بين من يكره «الحرية» وبين من يكره «الأحرار» والخلط بينهما مهلكة. لك كل الحق أن تكره أفكاري لكن أن تحول ذلك الكره لشخصي أنا فهذا كفيل بوضعك في دائرة من التجاهل لن تخرج منها أبداً. بالرغم من حديثي الكثير عن النقاشات العقيمة ومقتها إلا أني أقل الناس نقاشاً مع الغير فنَفَس الأحمق العنيد أطول بكثير من نَفَس العاقل المنطقي لذا تجده ينطح برأسه كل من يختلف معه بالرأي فلا عقل في ذلك الرأس ليخاف عليه من التلف.

الجنون أمر نسبي.. وكلنا مجانين بنسبٍ متفاوتة وبعضنا يجيد إخفاء جنونه والبعض الآخر يمارسه بكل حرية. العواقب.. الخوف من

العواقب هو صمام الأمان.. هو القيد الذي يقود عقولنا ويوجه بوصلة سلوكياتنا وتصرفاتنا.

عندما أشاهد رسالة معنونة بـ«المشهد الذي أبكى الملايين» أعلم سلفاً أني لن أكون من ضمنهم وأنا سعيدٌ لذلك. لقد تركت القطيع منذ زمن طويل واكتفيت بمراقبتهم من بعيد في عزلتي. تلك العزلة قدمت لي أجوبة كثيرة انبثق منها أسئلة أكثر.. شاركت بعضها مع من كانوا حولي لأحذرهم لكنهم بقوا سائرين مُسيرين في حياتهم وبعضهم خرج عن صمته فقط ليلقبني بـ«المجنون» أو «الكاذب» والمفضلة عندي بالطبع «هل تصلي؟».

العبارة الأخيرة قيلت لي كثيراً ولا أعرف لماذا؟

كان معه حق عندما قال لي: «لا تخبر نفساً بما حدث معك فلن يصدقك أحد لكن لن نمنعك من ذكر ذلك لأننا واثقون من تجاهل الناس لما سوف تقوله»..

صدق وهو كذوب بقوله «لن يصدقك أحد» لكنه أغفل من مروا بعالمهم ولو مرور الكرام فهم بين مصدق ومشكك يأكله التسأول. بعض ما سأكتب في الصفحات التالية قطعة فاسدة مني لكني اكتشفت أنها يمكن أن تكون دواءً لغيري.

أنا لن أتكلم عن فراق الأم لكني سأكتب عن شيءٍ آخر.. شيء كتبت وما زلت أكتب عنه اليوم وسأكتب عنه غداً حتى لو كان في مذكراتي

الخاصة. الفرق الآن أني بعد الكتاب الأول لم أعد وحيداً فالكثير شاهد نفسه في بعض أو كل ما كتبت عن نفسي. هذه ليست رواية أو كتاباً هي مجرد جزء من مذكرات شخصٍ وُصف بالمجنون معظم حياته دونها وما زال يدونها ليرسم خريطة لمراحل موته التي بدأت يوم مولده ولم تنتهِ بعد.

نقطة الصفر

بعد الأحداث التي مررت بها وانتهت بعودتي من «جبال الأطلس» كان من المتوقع أني سأعاني من أمراض نفسية وأصبح معتلًا بدنيّاً وعقليّاً وأقوم بمراجعة الأطباء وأعيش في دوامة كبيرة من الجنون والعته، لكن هذا ببساطة لم يحدث فبعد عودتي لغرفتي ذلك اليوم عشت حياة طبيعية جدّاً واستأنفت عملي السابق وكنت وقتها قد ناهزت الثلاثين عاماً تقريباً.

الحياة «الطبيعية» لم تكن بذلك السوء بل على العكس تماماً فقد منحتني الكثير من الوقت لبث الروح في اهتمامات سابقة كنت قد هجرتها. تخليت عن أشياء عدة لكن زيارتي الدورية لأصدقائي لم تنقطع منذ عودتي وكان جل اهتمامي في تلك الفترة هو رضا أمي وأبي فقط لأني كنت أدرك بركته بعد الله وكونه أحد أسباب نجاتي من أي مأزق وقعت فيه في الماضي أو قد أقع فيه في المستقبل.

تمسح أمي على جبيني خلال مزاولتي لإحدى هواياتي المفضلة وهي وضع رأسي بحجرها والإنصات لأخبار العائلة وتقول: لِمَ لا تخبرني ما الذي يشغل بالك؟

- ما يشغل بالي الآن هو بقية القصة التي كنتِ ترוينها قبل قليل وهي هل عادت ابنة خالتي لزوجها أم أنها لا تزال على خصام معه؟

(أمي) تشد غرة رأسي مبتسمة وتقول: أنت تعرف ما أقصد..

- حقيقة لا أعرف يا أمي.. أخبريني..

(أمي): الموضوع الذي حدثتك عنه بالأمس.. وقبل الأمس.. ذهابك مع أخيك للشيخ

بطبعي لست شخصاً سهل الانقياد حتى وإن اقتنعت بأني على خطأ.. إحدى الصفات العديدة السيئة بي. لكن الشخص الوحيد الذي لا أستطيع رفض طلبه أو أمره كانت أمي.. وأبي بالطبع لكنها هي من أعادت لحياتي بقلقها علي عدوّاً لم أرَه منذ سنين.. «متمشيخ» قيل إنه يعالج بالقرآن.. بعضكم بالطبع قرأ في الجملة السابقة أني أقول بأن «الإسلام» أو «القرآن» عدوي.. راجع العبارة جيداً ثم أكمل القراءة.

- لماذا تريدين أن أذهب له يا أمي؟.. قلتها ورأسي لا يزال في حجرها وكفها مستمر بالمسح على جبيني..

(أمي): أريد الاطمئنان عليك..

- وممَّ أشكو؟

(أمي): هذا ما سيخبرنا به الشيخ..

ضحكت.. قهراً وحسرة.. أمي تعود لخوفها السابق وأنا أعود معها لذلك اليوم الذي أخذتني فيه للمتمشيخ في المنزل الطيني..

- أخبريني ما الذي يضايقك مني؟

(أمي) وهي تقبل جبيني: مهما بدر منك فلن أتضايق منك أبداً

- دعيني أعدْ صياغة السؤال إذاً.. هل لاحظتِ علي شيئاً يثير قلقك هذا؟

(أمي): نعم..

- ماذا؟

(أمي): أنت لم تأكل منذ ثلاثة أيام

- أخبرتكِ بأني صائم

(أمي): كيف تكون صائماً وأنا أراك تشرب الماء في النهار

- نعم فأنا صائم عن الطعام فقط

(أمي): وأي نوع من الصيام هذا؟.. هل رأيت الآن سبب قلقي عليك؟

- لا بصراحة لم أرَه بعد..

(أمي): ستذهب للشيخ شئت أم أبيت وسوف يعرف ما بك!

ابتسمت.. ماذا عساي أن أفعل أو أقول غير الابتسام للشخص الوحيد في حياتي الذي يقلق علي بهذا الشكل؟

- دعيني أخمن.. لقد أتى بتوصية من خالتي

(أمي) مبتسمة: نعم.. هل لديك اعتراض؟

- لا أبداً فخالتي قارئ جيد لمؤهلات أصحاب البركة.. أليست هي من أوصى بالـ«شيخ العماني» عندما كنت صغيراً؟

(أمي) وهي تصفع خدي برفق وتهز وجهي: لا دخل لك بهذه الأمور!

- أليس من حقي معرفة مؤهلات الاستشاري الذي سيفحصني؟

(أمي): لا تستهزئ بالدين يا بني..

- منذ متى أصبح الدين رجلاً يا أمي؟

(أمي): أستغفر الله وأعوذ به من كلامك

مهما قلت أو فعلت فأمي لم تكن مقتنعة أو مرتاحة وقلقة علي دائماً ومهما حاولت الابتسام لها وإقناعها بعكس ذلك إلا أن قلبها أو «دليلها» كان يخبرها بشيءٍ آخر وبصراحة لم ألمها على هذا الاحساس كثيراً فقد اكتسبت بعض العادات الغريبة خلال الفترة التي قضيتها مع (عمار) وكتبه وكنت أمارس بعض «الطقوس» التي قد تبدو غير مألوفة ومثيرةً

للريبة لكنها كانت مفيدة لي خاصة مع هالتي المفعلة والتي تستلزم عناية من نوعٍ خاص.

فمثلاً اكتشفت أن الظلام الدامس يمكنني من تجاوز حالة الأرق الشديدة التي تسببها لي هالتي المفعلة وأن الضوء يحفز يقظتي لذا قمت بطلاء جدران غرفتي بالكامل باللون الأسود بالإضافة للسقف أيضاً بعد طمس جميع النوافذ. الأرضية كذلك جعلتها من الرخام الأسود للسبب نفسه ولأسباب روحانية أخرى.

هذا بالطبع أثار تساؤل من حولي لدرجة أن العامل الذي استعنت به لطلاء الغرفة باللون الأسود تردد في البداية وقال بأن هذا طلب غريب لم يطلبه أحد من قبل. استغربت حقّاً من تطفله ووصفه للغرفة بـ«التابوت» بعد الانتهاء من عمله.

(أمي): هيا انهض وعد لغرفتك السوداء وسوف أناديك لتناول الغداء بعد قليل

- أخبرتك يا أمي بأني صائم

(أمي) وهي ترفع رأسي من حجرها وتهم بالنهوض: ستأكل رغماً عنك..

- حاضر.. سآكل.. لكن لا ترغميني على التحلية

(أمي): حسناً اتركها لأخيك

عاداتي الغذائية تأثرت أيضاً فكنت أتجنب الخبز ومشتقات القمح والسكر خاصة في السنين الأولى بعد تفعيل هالتي. قد يتساءل البعض لمَ حرصت على الحفاظ عليها؟.. الهالة المفعلة سلاح ذو حدين فهي تقدم لك إيجابيات كثيرة لكنها يجب أن تكون متوازنة فلو خرجت عن السيطرة بالمحفزات الخارجية فقد تدخلك في حالة أشبه بالجنون والهلوسة ولو ضيقت عليها بقوة يمكن أن تضمر ويأتي أيضاً مع هذا الضمور علل أغلبها صحية.

أدركت هذه الحقيقة عندما أهملت بعض التعليمات التي علمني إياها (عمار) بخصوص الهالة وأصبت بمرضٍ يصيب الأعصاب لأسباب مجهولة ويتطور مع المريض حتى يصاب بالشلل التام في بعض الحالات المتقدمة.

انتابتني نوبة هلع عندما تلقيت الخبر من الطبيب بعد أن أجرى لي سلسلة طويلة من الفحوصات والتحاليل أحدها كان أخذ عينة من سائل العمود الفقري حيث حُسم الأمر بإصابتي بهذا المرض الذي لا علاج له سوى بعض حقن الهرمونات التي قد تؤخر تطوره وتقدمه في جسدي لكنها لن تعالجه. بعد أن تجاوزت مرحلة النكران لمرحلة القبول بدأت أخذ العلاج الذي وُصف لي وتعلمت كيف أحقن نفسي بتلك المنشطات الهرمونية التي تسبب لي ألماً مبرحاً في كامل جسدي في كل مرة أتعاطاها. حاولت أن أشرح للطبيب أن هذا الأمر لا يُحتمل وأن الألم

يعيق حياتي فقال كلمة لن أنساها:

«العلاج يهدمك لكي يبنيك»..

كلامٌ لم أتقبله ولم أقتنع به مطلقاً مما دفعني لاتخاذ قرارٍ بالتوقف عن العلاج بالرغم من تحذير الطبيب لي وقررت أن ألجأ لشيء آخر.. علاج نفسي بنفسي..

الكتب التي قرأتها في مكتبة (عمار) لم تكن كلها عن السحر فقد تضمنت كتباً تحدثت عن علوم لا يمكن تصنيفها كطب أو دين أو شيء مألوف لدينا لكنها حَوت علوماً أسميها أنا شخصيّاً «علم الأولين» وهي علوم مندثرة مارستها أمم وحضارات سابقة ومن ضمن تلك العلوم كان هناك علوم لعلاج علل البدن وأغلبها بسيط وغير معقد أو مكلف ولا يستلزم طلاسم أو أي شيء محرم شرعاً فعلى سبيل المثال عندما بدأت أسترجع بعض تلك العلوم وجدت أن أغلبها ينصح بالامتناع عن تناول نوع معين من الغذاء لفترة والمداومة على تناول غذاء آخر لمدة معينة لعلاج علة مثل علتي الحالية.

قد يقول البعض وهل مرضك كان معروفاً ذلك الوقت؟

الإجابة هي أن تلك العلوم لا تعالج أمراضاً بعينها بقدر تصحيح الأبدان بالمجمل وإعادة توازنها وترك الجسد يصحح نفسه بنفسه، مثل القيام بعملية «فرمتة» لجهاز الحاسوب عندما تجهل العلة المتسببة في قصور عمله.

هناك منغصات كثيرة حولنا نزاولها ونتناولها كل يوم غير مدركين الضرر الذي تُلحقه بنا. كانت إصابتي بالمرض في عصب عيني اليسرى وكانت رؤيتي تتشوش مع الجهد والحرارة فلو أخذت حماماً ساخناً أو سرت في الشمس لمدة طويلة تصبح الرؤية من تلك العين شبه معدومة لكن وبعد أن طبقت تلك الحمية لشهر كامل توقف تطور المرض وأحسست بفارق كبير جدّاً وبدأت أرى بشكلٍ أفضل وقتها وبعد مضي سنوات على الإصابة لم أعد أعاني من شيء ولله الحمد.

علمت بعدها أن العلاج أو الحقن التي وُصفت لي سُحبت من الأسواق وثبت أن لها أضراراً كبيرة والعلاجات الحديثة لمرضي قد أُدخل فيها أنظمة غذائية قريبة جدّاً من النظام الذي اتبعته.

ما معنى هذا؟.. هل هذا يعني أن الطب الحديث فاشل؟

لا أبداً.. لكنه بالتأكيد ليس «قمة» الإنجاز البشري فيما يختص بعلاج هذا المرض تحديداً وأمراض عديدة غيره.. وهذا رأي خاص بي ولا ألزم به أحداً.

نظرة بسيطة لحضارة الفراعنة وسنعرف أنهم حققوا الكثير من الإنجازات العلمية التي نقف عندها اليوم عاجزين وأقرب مثال على ذلك علم التحنيط فنحن في العصر الحاضر لا نستطيع إبقاء الجثث محنطة لفترة طويلة مثل ما قام به الفراعنة في الماضي.

هناك علوم مندثرة.. علوم فاقت ما وصلنا إليه في وقتنا الحاضر

وبعضها قد لا نصل إليه أبداً، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: 85].. علم الروح أو ما يتعلق بها من روحانيات علمٌ تعرض للتشويه والإقصاء ونُسب في كثيرٍ من المناسبات للسحر والشعوذة وهو منهما براء.

الجهل هو عدونا الأول لأننا أعداء ما نجهل.. أعتقد أنني نهلت شيئاً من ذلك العلم أو «علم الأولين» خلال بحثي بين كتب (عمار) دون قصد وخلطت بينه وبين علوم السحر والطلاسم الفاسدة التي هجرتها.

عِلمٌ لا ينتفع به

يجب أن أتحدث عن مرحلة هامة مررت بها بعد عودتي من «جبال أطلس» وتحديداً خلال الفترة التي أسميتها بـ«الحياة الطبيعية». هي بالفعل كانت طبيعية لكن تخللتها بعض المواقف مع من احتكوا بي وتواصلوا معي تلك الفترة وهم فقط أهلي وأصدقائي.. غالباً أصدقائي.. كما أسلفت أن جزءاً كبيراً من يومي كنت أقضيه معهم وكنا نجتمع في مزرعة يملكها أحدهم وهذا بلا شك عرضني للكثير من المواقف المربكة خاصة مع عقلي وعلمي ونفسيتي الجديدة.

بعد أن عقدت العزم أن لا أعود للطلاسم بدأت الأحداث المادية حولي من أصوات ومشاهدات تنخفض بشكلٍ كبير لكنها لم تزلْ تماماً. انتابني الشك بين الحين والآخر في حقيقة ما رأيته في الماضي وما كنت أراه بين الحين والآخر فهالتي كانت لا تزال مفعلة.. لكن من يعلم؟ ربما عانيت من خللٍ في النوم.. أو مرضٍ نفسي أو عصبي آخر.

لهذه الدرجة كنت أشك في نفسي وفي السنوات التي قضيتها مع الشياطين بعد مقتل (عمار). بالرغم من أن العودة للحياة الطبيعية كانت

سهلةَ جسديّاً إلا أنها كانت أصعب مما ظننت نفسيّاً فقد كان لزاماً علي تجاهل وإنكار جزء كبير من الماضي كي أعيش بسلام في الحاضر والمستقبل لكن بالطبع أكثر ما يجيده الماضي هو مطاردتنا مهما حاولنا الهرب منه.

بدأت بزيارة المزرعة بعد أسبوعين من عودتي الأخيرة من «الأطلس» وآخر مرة زرتهم فيها كانت قبل أقل من عام تقريباً لذا لم تكن الملامة كبيرة فقد غبت أكثر من ذلك في الماضي وهم قد اعتادوا على غيابي نوعاً ما.

لم يتغير شيء.. أصدقائي كانوا كما هم.. تغيرت أجسادهم قليلاً وأغلبهم اكتسب وزناً وجميعهم تزوج وأنجب عدا ذلك فقد كانوا الأشخاص أنفسهم الذين عرفتهم لسنوات. لن أدخل أكثر في التفاصيل عنهم لكني سأذكر بعض المواقف التي مررت بها معهم بعد عودتي الأخيرة بشكل عشوائي وبدون مقدمات لأني لو ذكرتها جميعاً فسيتطلب ذلك كتاباً آخر.

موضوعات شتى كانت تطرح للنقاش في مزرعتنا الصغيرة.. موضوعات شملت كل شيء.. الرياضة، السياسة، الزواج والطلاق، الطبخ والطعام، الفن والفنانين.. كل شيء يدور في أي استراحة. الأمر الذي لم يكن طبيعيّاً هو مساهمتي في تلك النقاشات والتي كان يُنظر إليها أحياناً كمزاح من طرفي بالرغم من أني لم أكن أمزح. أذكر أول مرة ساهمت فيها برأيي الخاص بعد عودتي الأخيرة، وتلك المساهمة هي

التي كسرت حاجزاً كنت أحافظ عليه قدر الإمكان مع أصدقائي فهم الوحيدون الذين بقوا يتعاملون معي كشخصي قبل (خوف) وكان ذلك الإحساس مريحاً لي وأشبه بالعودة للماضي الجميل.

على أي حال.. كان أحد أصدقائي يشتكي من مشكلة النمل في منزله وقال بأنه حاول كل شيء للتخلص منهم باستخدام المبيدات وشركات المكافحة لكنهم في ازدياد يوماً بعد يوم وزوجته متضايقة جدّاً من الموضوع ووصل بها الحال أنها طلبت منه بيع المنزل وشراء منزلٍ آخر كحل أخير للتخلص من تلك المشكلة.

أصبح هذا الموضوع محل نقاش الاستراحة لعدة أيام بين ناصحٍ ومتهكمٍ ساخر والجميع أفتوا بحلول جربها صاحبنا بلا فائدة. أنا الوحيد الذي لم يقترح عليه شيئاً لأن الحل الذي كنت سأقدمه له لم يكن ليقبله أو يتقبله أحد من الحاضرين لذا لزمت الصمت حتى وجه لي السؤال بشكلٍ مباشر من أحدهم وقال: ما رأيك؟

- رأيي في ماذا؟

في مشكلة (أحمد) مع النمل؟

- صدقني لا تريد أن تعرف رأيي..

(أحمد): الجميع أدلوا بدلوهم ولم أستفد شيئاً.. أخبرنا أنت عن رأيك

- أنا لا أملك رأياً.. أنا أملك حلًّا..

(أحمد) بشيء من التفاؤل: حسناً أخبرني!.. لقد تعبت كثيراً من هذه المشكلة!

- حلي لن يعجبك

(أحمد): قله ولا شأن لك بما يعجبني أنا يائس وسأجرب أي شيء!

- تحدث معهم..

(أحمد): أتحدث مع من؟

- مع النمل..

انفجر المجلس بالضحكات عدا (أحمد) الذي تجهم في وجهي قائلاً: هل تسخر مني؟!

- أخبرتك بأن الحل لن يعجبك لكن هذه هي الطريقة المثلى للتخلص منهم..

بدأ بقية من كانوا في المجلس بالسخرية من (أحمد) ومحاولة إقناعه بتهكم بأن يجرب حلي المضحك من وجهة نظرهم فغضب منهم ونهرهم ومع ذلك تحدثت معه بنبرة جادة وقلت له:

- صدقني أنا لا أسخر منك.. جرب.. في الغالب سيستجيبون لك

(أحمد) وهو يصرخ بي: أجرب ماذا؟!

تراجعت عن محاولة إقناعه خاصة مع الجو العام الساخر منه وقلت له:

- لا تجرب شيئاً..

بصراحة لم أجرب تلك الطريقة من قبل لكني قرأت في أحد الكتب بمكتبة (عمار) أن النمل من الكائنات التي تفهم كلام البشر وتستوعبه بشكل كامل عندما يتم مخاطبتها بشكل مباشر وهنا يجب أن أؤكد مرة أخرى أن الكتب التي قرأتها في تلك المكتبة لم تكن كلها عن السحر والطلاسم فقد كان هناك علم أو علوم لم تكن من السحر ولم تكن من الدين.. «علم الأولين» الذي تحدثت عنه آنفاً.. أعترف بأني ظننت في بادئ الأمر أنها تندرج تحت علوم الشعوذة لكن ومع مرور الأيام لم أرَ فيها ضرراً.. لم أرَ غير المنفعة.

بالطبع هذا الكلام لا يمكن أن يُقال في العلن وأمام الناس وإلا لوجدت نفسي على أقل تقدير مصلوباً.

كما أسلفت سابقاً فتلك العلوم التي نهلت جزءاً منها لم تكن سحراً ولم تتضمن أي استعانة أو تقرب من شيطان أو غيره. كانت مجرد إرثٍ كبير وضخم من العلم والمعلومات غير المعلنة وغير المثبتة أو المطروقة. حتى أنا لم أكن متيقناً من صحتها لأني قرأتها فقط ولم أجربها من قبل فقد كنت مشغولاً بتلك الطلاسم ولم أعر ذلك العلم الثانوي أي انتباه لكن وبعد خروجي من ذلك العالم بنية اللاعودة طفا هذا العلم على سطح عقلي وبدأت أمعن النظر فيه وأجربه شيئاً فشيئاً مع مَن هم حولي وكانت من أوائل التجارب تجربتي مع صاحبي (أحمد) وقبيلة النمل التي غزت منزله.

مضت الأيام على حادثة نقاش «النمل» ولم يفتح أحدٌ منا الموضوع لمدة طويلة إلى أن أثاره أحد أصدقائي ونحن مجتمعون في المزرعة وهو يلعب الورق مع ثلاثة آخرين وقال لـ(أحمد) المندمج في مشاهدة مباراة لكرة القدم: على فكرة يا (أحمد).. كيف حال النمل؟

صمت (أحمد) ولم يرد ولم يلتفت حتى وبقي يشاهد المباراة بصمت..

عاود صاحبي السؤال عليه وأنا أراقبهما باهتمام..

(أحمد) ببرود دون أن يلتفت عليه: انتهت المشكلة..

ضحك صاحبي وهو يضرب بورقة اللعب على الأرض: حقّاً.. كيف؟!

التفت (أحمد) علي خلال مراقبتي له والتقت أعيننا وعلمت وقتها بأنه جرب طريقتي التي اقترحتها عليه ونجحت لكنه لم يُصرح بذلك وقال: المهم أن المشكلة انتهت..

نهاية ذلك اليوم وبعد خروجي من بوابة المزرعة وتوجهي للسيارة لحق بي (أحمد) ونوعاً ما توقعت ماذا سيقول..

(أحمد): كنت تمزح أليس كذلك؟

- أمزح في ماذا؟

(أحمد): طريقتك الغبية في التخلص من النمل.. لقد رحلوا لأن أحد المبيدات أثر بها وقضى عليها.. أليس كذلك؟

- هل تحدثت معهم؟

(أحمد): لا! لم أتحدث معهم! هل تظن أني مجنون؟!

- لا يوجد مشكلة إذاً وسؤالك لا معنى له.. قلتها وأنا أفتح باب السيارة..

ركبت السيارة وعدت للمنزل ذلك اليوم وأنا أفكر بعمق في ذلك العلم الجديد الذي لم أستخدمه من قبل ولم أنتبه إليه في الواقع.. أريد إيضاح شيء قبل أن أستأنف الحديث عما جرى بعد تلك الليلة وتحديداً عن الصراع الذي دار داخلي..

ما أنا متيقن منه هو أني قضيت ثلاث سنوات في مكتبة (عمار) وقرأت كماً هائلاً من الكتب هذا لا جدال فيه لكن عندما استرجعت المرة الأولى التي قرأت فيها طلسماً بصوتٍ مسموع كان لإنقاذ أخي من (يعرم) بتحرير قريني والمرة الثانية من كتاب (((العهد))) عندما قيدت (جسار) وكل ما سبق ذلك ابتداءً من الكتاب الذي أعطاني إياه قريبي لم يكن طلاسمَ بمعنى الطلاسم بل سطوراً وكلمات مبعثرة وجملاً مبتورة حَضَرَت (دجن) وقادتني لـ(عمار).

ماذا لو كان كل ما حدث لي في الماضي هو خيالاً وأوهاماً بسبب الطلسم الذي قرأته لتخليص أخي؟ خاصة وأنه لا يتذكر شيئاً من ذلك اليوم عندما فتحت الموضوع معه في أحد المرات. لا أحد ممن عاصروا

تلك الأحداث موجود على قيد الحياة يمكنه تأكيد ما رأيت.. أنا أملك علماً من تلك المكتبة وهالتي تم تفعيلها لا أشك في هذا لكن عدا ذلك.. لا أعرف.

في تلك الفترة من حياتي كنت أميل للشك بقوة فيما رأيت من صراعات بين قبائل الشياطين وكل كينونة رأيتها من ذلك العالم.. (جند).. (دجن).. (جسار).. جميعهم.. هل يعقل أنهم كانوا من نسج خيالي؟.. لِمَ لا؟ فلم يرهم أحد غيري. حتى ابن (سالم) لم أرَه بعد تلك الأحداث وكان من الممكن أن يكون مجرد مجنون وأنا صدقته.

على أي حال لنترك هذه النقطة في الوقت الحالي لأني أحببت مشاركتكم الحالة النفسية التي مررت بها تلك الفترة..

عدت للمنزل وقررت محاولة استرجاع بعضِ تلك العلوم وتدوينها لكني واجهت صعوبة في ذلك بالرغم من أنها تطرأ على عقلي بشكل تلقائي حسب الموقف غالباً واستحضارها يكون مباشراً وحاضراً بسهولة عندما يتم سؤالي أو يستلزم مني الموقف ردة فعل سريعة، وقد أدركت ذلك عندما تكلمت مع أمي خلال شرب الشاي في مساء أحد الأيام بعد حادثة «النمل» بأيام وكانت تتحدث عن أحوال أفراد أسرتنا كعادتها ومن منهم تزوج ومن منهم أنجب وكنت أنصت إليها باستمتاع لأن صوتها في أي موضوعٍ تتحدث فيه يشعرني بالراحة والطمأنينة.

(أمي): تحدثت مع عمتك اليوم بالهاتف

- حقّاً؟.. كيف حالها؟

(أمي): حزينة ومستاءة جدّاً كان الله في عونها

- لماذا؟.. ما الذي حدث؟

(أمي): ابنها كان يشتكي من ألم في صدره منذ فترة وبعد مراجعته للطبيب أخبره بأنه يعاني من مرضٍ خطير لا يرجى شفاؤه

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ما هو مرضه؟

لن أذكر ما هو المرض لكن يمكنني القول بأن علاجه مكلف وطويل ومؤلم لكن المهم هو ما طرأ في بالي تلك اللحظة وهو علاج قرأته في أحد كتب (عمار) عن ذلك المرض والذي كان حشرة.. نعم حشرة.. وتحديداً نوع محدد أصفر اللون منها.

لكن كيف أخبر أمي بذلك والأهم كيف أقنع ابن عمتي بتناولها..

حاولت تجاهل الموضوع لكني أحسست بقليل من تأنيب الضمير مع أني لست متيقناً من نجاح العلاج لكني متيقن من أنه لن يضره. قررت بعد تفكير بسيط أن أرفع السماعة وأتصل على ابن عمتي الذي كان يصغرني بعدة سنوات وقلت له بكل بساطة إن علاجه يكمن في تناول سبع من تلك الحشرات دون طبخ ويستحسن أن تكون لا تزال على قيد الحياة. بالطبع لم يتقبل كلامي في بادئ الأمر لكن ولسبب ما قال: حسناً.. سأجرب..

اليأس إذا دخل قلب إنسان رفع علم الاستسلام الأبيض والتسليم دون جدال..

إذا كنتم تتساءلون فالإجابة هي نعم.. لقد تماثل للشفاء بعد أن حصل على بعض تلك الحشرات وتناولها.

عجيب أمر المريض... أي درجة من اليأس يمكن للإنسان أن يصل إليها ليقوم بشيء كهذا بحثاً عن العلاج وصحة البدن؟.. الحمد لله الذي عافانا في أبداننا مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

كنتُ سعيداً له وحزيناً على نفسي..

هل أنا أمارس الشعوذة؟

هل ما قمت به أمرٌ يندرج تحت الدجل؟

الرجل تماثل للشفاء.. هل هذا هو ما يعرف بالطب الشعبي؟

لكن هناك أموراً أخرى لا تندرج تحت هذا المسمى..

تريدون مثالاً آخر؟

لنعد للمزرعة إذاً وتحديداً في اليوم الذي دخل علينا (يوسف) بصينية كبيرة من الحلوى بمناسبة قدوم مولودته الثانية وبعد أن أخذ كل واحدٍ منا قطعة منها وقدم التبريكات عبر البعض عن غبطته وحسده لـ(يوسف) لأنه سيكون حرّاً خلال فترة نفاس زوجته في بيت أهلها.. زوجته كانت طيبة القلب لكنها لم تكن طيبة المعشر بالمناسبة.. لم يبدِ حماساً لغبطتنا له

فقد تذمر من مراجعته اليومية للطبيب مع ابنته الحديثة الولادة وعندما سألناه عن السبب قال بأنها تبكي بشكل مستمر ولا تنام أبداً إلا لدقائق معدودة وقد أصيبت بالجفاف الشديد لأنها تستفرغ كل ما تتناوله بسبب البكاء غير المنقطع وقد أبقوها في المستشفى تحت العناية المركزة كي يتم تغذيتها بالأمصال ريثما يجدون العلة التي تعاني منها.

أخذ الجميع يواسونه ويقدمون له نصائحَ كانت في الغالب من خيالهم لأني كنت أشك بأمرٍ ما وشكي كان بمحله.. سألته: هل أسميتها؟

(يوسف): نعم.. أسميناها (وله)..

حُسم الأمر بالنسبة لي بعد ما قاله والحل ظهر جليّاً أمامي بكل وضوح وقررت أن لا أجامل وأن أخبره بالحقيقة وقلت له: غير اسمها وستتعافى بإذن الله..

(يوسف) مستنكراً كلامي: أغير اسمها؟.. ما علاقة اسمها بالموضوع؟

كيف أقنع هذا الأب المحدق بي باستغراب بأن الاسم الذي اختاره لابنته الرضيعة هو سبب معاناتها؟

كيف أخبره بأن مشكلتها ليست مرضاً أو علة طبية؟.. كيف؟

والأهم من ذلك كيف أثبت ذلك لنفسي مرة أخرى؟

العلم أمام ناصيتي.. لا أعرف أحداً جربه في السابق.. لكن ما الضير

في التجربة؟.. أليست التجربة من وسائل الحصول على العلم أو التحقق منه؟..

لكن.. هل يجوز أن أجرب على الناس؟.. وخصوصاً طفلة صغيرة..

ما الذي يجعل العلم والمعلومة شيئاً مؤكداً وموثوقاً منه؟.. الغرب؟.. تجاربهم؟.. أبحاثهم؟.. هل هم فقط المصدر الوحيد لليقين الدنيوي للعلم؟

الصيام فرض ديني اتبعناه لسنين بيقين دون أبحاث علمية ومؤخراً فقط أعطاه الغرب «علامة الجودة» وزكوه كـ«عادة» مفيدة للجسم.. هل كنا جهلة عندما صمنا تطبيقاً لفريضتنا دون الاهتمام لفوائدها الدنيوية؟.. قطعاً لا.. أم لأنها جزء من ديننا قبلناها دون سؤال؟.. ماذا عن علومنا الأخرى؟.. «علوم الأولين» التي طمرها الزمن؟

هل يعقل أن تكون كلها كاذبة وغير صحيحة؟

كيف كنا منارة العالم يوماً إذاً؟.. بأي علوم قدنا العالم؟

هناك حلقة مفقودة فالحياة أعقد بكثير من الاعتقاد بأننا رأينا واكتشفنا كل شيء.

غير (يوسف) اسم ابنته وانتهت مشكلتها على الفور وبدأت مشكلة أخرى عانيت منها لأيام وهي هل أكتم هذا العلم أم أشاركه مع غيري؟.. هل هو العلم الذي يقال عنه «علمٌ لا ينتفع به»؟ أم هو علمٌ آخر غفل عنه الناس أو تغافلوا عنه؟.. وقتها لم أعرف.. حقيقة لم أعرف.

أصدقائي في بادئ الأمر لم يكونوا يأخذون كلامي وتعليقاتي العابرة على بعض الموضوعات بجدية دائماً خاصة عندما تكون مختلفة ومتعارضة مع مفاهيم آمنوا بها لسنوات طويلة لكن ومع تكرار مثل هذه الأمثلة التي ذكرتها سابقاً نما عندهم نوع من «الإيمان» بما كنت أتحدث عنه من وقتٍ لآخر وبدؤوا إذا صح التعبير يضعون ذلك العلم تحت الاختبار والتجربة في بعض الأحيان.

لذلك كانت نصيحتي لنفسي وما زالت هي أن لا أنصت لأحد بل أستخدم عقلي من وقتٍ لآخر ولا أخشى النتائج حتى وإن تصادمت مع قناعات أمليت علي منذ الصغر وأذكرها دائماً بأنها ليست ملزمة بشيء شريطة أن لا تجعل خوفها من أفكاري يميت عقلي.

رآني من حيث لم أرَه

هناك وسيلة دفاعية عقلية طبيعية لدى كل إنسان، تشبه في عملها جهاز مناعة الجسم ضد الأمراض والفيروسات التي تغزوه وهي أن كل شيء لا بد وأن يكون له تفسير منطقي وإذا غاب التفسير المنطقي اختلقت تلك الوسيلة الدفاعية تبريراً مؤقتاً ليحل محله ريثما يأتي ذلك التفسير الذي يمكن لعقله تقبله وقبوله.

دخل علينا أحد أصدقائنا استراحتنا في ساعة متأخرة.. لم يكن بطبعي البقاء لوقتٍ متأخر لكن تلك الليلة كنت مندمجاً مع برنامج على التلفاز وأنتظر حتى أفرغ منه لأرحل.

جلس (صالح) وعلى وجهه علامات التوتر والفزع فسأله أحد الموجودين قائلاً: ما بك؟ تبدو متوتراً

(صالح) بقلق ونبرة فزع: لا أعرف ماذا أقول.. لكنني رأيت أو توهمت أني رأيت شيئاً خلال دخولي قبل قليل

اعتدل السائل في جلسته وأدار بقية الحاضرين رؤوسهم ومسامعهم

بإهتمام نحو (صالح) الذي استأنف حديثه بقول: رأيت أو ظننت أني رأيت.. لا أعرف.. قطّاً أسود..

رد أحد الحاضرين بتهكم: هل كل هذا بسبب قط أسود؟..

(صالح): لا.. افهمني.. القط كان يقف على قوائمه الخلفية فقط وكأنه بشر ويلوح لي.. وأظنه كان يبتسم

ضحك معظم المتواجدين وسخر بعضهم من (صالح) الذي بدت عليه معالم الندم والتحرج الشديد مما قال لكن ليس أنا لعلمي السابق بإمكانية حدوث مثل هذه الأمور وبشكل متكرر وأكثر مما نتصور فتشكل الجن حقيقة ويحدث لأسباب كثيرة لم أكن بصدد شرحها لصاحبي المرعوب أو للبقية المتهكمين الساخرين الذين اقنعوه بأنه توهم ما رآه.

كان يمكن أن أصمت لكن ذلك سيكون ضد أهم مبادئي وهي تقديم الحقيقة مهما كانت مزعجة لأن درجة الإيمان بالغيبيات تختلف من شخصٍ لآخر والبعض يحصرها بما ذُكر له من المصادر العلمية والدينية فقط ويرفض ما سواها وهذا لا بأس به ويندرج تحت مظلة حرية التفكير والاعتقاد لكنها ليست سبباً للامتناع عن تقديم رأيك وهذا أمر طبيعي.

لكن ما هو ليس بطبيعي محاولة فرض تلك الاعتقادات بالقوة على الغير أيّاً كانت سواءً دينية أو علمية أو غيرهما. حتى الثوابت العلمية من

حق الإنسان الحر التشكيك بها لكن لا يحق له تهميش واستنقاص غيره ممن يؤمنون بها لأنه وقتها سيفقد الأهلية وسيصبح معتدياً جاهلاً.

ما زال هناك أناسٌ يؤمنون بأن الأرض مسطحة إلى يومنا هذا.. هل يجب محاربتهم؟.. لا..

هل يجب مقاومتهم عندما يحاولون نشر هذا المعتقد بالحديث عنه؟.. لا..

هل يجب منعهم عندما يتحول كلامهم إلى أفعال ويبدؤون بمهاجمة من لا يؤمنون بمعتقدهم.. بالتأكيد نعم.

هذا هو الخط الرفيع الفاصل بين العاقل والجاهل. الحق لا يحتاج أحداً ليدافع عنه أو أن يهاجم ويدمر نقيضه في سبيل نشره. الحق حق والباطل باطل ونحن بممارساتنا نحدد أيهما سيسود وسيزدهر وأيهما يندثر ويزول.

أخطأ صاحبي عندما روى قصته لبقية المجموعة لأنه تعرض لسخرية كبيرة جعلته نادماً على مشاركة عقله معهم.. كان ضحية تخلف.. تخلف عن مبادئ التفكير وأبسط أساسيات الفهم.. تخلف جمعي حاصره ودفن رأيه عنوة.

بعد رحيل معظم من كانوا بالاستراحة تلك الليلة دنوت من (صالح) الذي اقتنع بأن ما رآه كان مجرد خيالٍ من صنع عقله وقلت له: لا ترحل.. ابقَ معي حتى يرحل الجميع

(صالح) باستغراب: لماذا؟

- أريدك في موضوع ما..

(صالح): حسناً

عندما خلت الاستراحة بعد منتصف الليل بساعة تقريباً طلبت من (صالح) أخذي للمكان الذي شاهد فيه ذلك القط وبالرغم من ممانعته بحجة أن ما رآه كان وهماً كما اقتنع إلا أني أصررت عليه بالخروج معي. سرنا خارج الاستراحة لمسافة قصيرة حتى وصلنا لمجموعة من النخيل فأشار بأصبعه لإحداها وقل: هناك.. رأيته يقف بجانب تلك النخلة.. أو توهمت أني رأيته

مشيت بضع خطواتٍ تجاه تلك النخلة حتى وقفت بجانبها ووضعت راحة يدي اليسرى على جذعها ووجهت نظري لـ(صالح) قائلاً: هنا؟

(صالح) والتوتر بادٍ على وجهه: نعم..

- لِمَ أنت متوتر؟

(صالح): لا أبداً لا شيء

- أنت لست مقتنعاً بأنك توهمت ما رأيته أليس كذلك؟

(صالح): لا أبداً لقد اقتنعت بكلام الشباب

- لماذا؟.. ما الحجة القوية التي قدموها لك كي تكذب عينيك؟

(صالح): بربك فكر بالأمر.. هل يعقل أن ما رأيته كان حقيقيّاً

- ولِمَ لا؟.. الجن يمكنه التشكل

(صالح) بقلق: أرجوك لا تتحدث عن هذا الموضوع في هذا المكان.. لِمَ أتينا هنا من الأساس؟

- أنا هنا لأقدم لك خيارًا.. أن تبقى في عتمة الغيب مطمئنّاً أو أن ترى بنفسك وتتيقن من أنك لم تكن واهماً

(صالح): أرى ماذا؟

- القط الذي رأيته في الغالب جن متشكل ويمكننا البحث في هذه الأرجاء عنه وإذا كان لا يزال موجوداً فسنجده أو نجد غيره وسأرغمه على التشكل مرة أخرى.. أستطيع القيام بذلك بطريقة معينة..

(صالح) بخوف شديد: لا! لا! لا أريد رؤيته مرة أخرى

- لا تقلق لن يؤذيك.. ستراه فقط ومن بعيد لو أحببت

(صالح) باستغراب: عن ماذا تتحدث؟.. كيف ستفعل ذلك؟

- فقط أخبرني بأنك تريد التحقق مما رأيته واترك الباقي لي

(صالح): لا أريد.. أنا مكتفٍ ومرتاح لفكرة أنني كنت واهماً أكثر من فكرة أن ما رأيته كان حقيقة.. أنا لا أعرف ماذا تنوي أن تفعل لكن أيّاً كان لست راغباً في المشاركة

عاد (صالح) بعد تلك الكلمات نحو الاستراحة وركب سيارته ورحل..

لا ألومه فالجهل في بعض الأحيان نعمة.. بل غالباً في الواقع عندما يتعلق الأمر بالعالم الآخر..

وحيد.. مكتئب.. حزين

تتكرر علي بعض الأسئلة الغريبة عندما أمارس «عزلتي».. أبرزها:

«لمَ أنت مكتئب؟»..

«لمَ أنت حزين؟»..

«لمَ أنت وحيد؟»..

هناك فرقٌ كبير بين «العزلة» و«الوحدة» فالأولى حالة من السمو بالنفس دون الناس والأخرى حالة من الضياع حتى لو كنت بين الناس. أنا مؤمن بأن علاقتك بنفسك لا تحتمل طرفاً ثالثاً لذلك أجد في العزلة عن الناس ما لا أجده بينهم.

ممارسة «العزلة» لا تكون فقط بالجسد فالتواصل الهاتفي بشتى أنواعه المسموعة أو المكتوبة يكسر حاجز العزلة الحميدة. بعض الناس لا يستطيع الانعزال عن الأشخاص لأنه عندها سيضطر للتعامل مع «نفسه» والتي إذا لم يكن متصالحاً معها فسيواجه مشكلات عديدة في التأقلم فالذين يصنفون أنفسهم بـ«الاجتماعيين» كحجة لرغبتهم الدائمة في الخروج والاختلاط بالناس وحضور الفعاليات المكتظة بالأنفس

الأخرى هم «غالباً» (وأقول «غالباً» كي لا أقع في التعميم) لا يستطيعون تحمل أنفسهم إذا بقوا معها لأنها ببساطة لا تطاق.

أُتهم في مناسبات كثيرة بأني أحادي الرأي ولا أقبل وجهات النظر الأخرى أو أتقبلها وأفرض قناعاتي فرضاً على الغير. الحكاية هي فقط أنني أُفند ما أسمعه من الآراء أمام أصحابها وأستعرض فكري المناهض لها دون إجبار أحد على قبوله أو حتى تقبله لكن ولضعف حجة غيري غالباً وليس قوة في حجتي يرى من يناقشني أني أفرض آرائي عليه غير مدرك أن من يصرخ فيه لقبولها ليس أنا بل عقله المخدر بالمفاهيم المغلوطة.

لم أتجرأ يوماً على فرض رأيي على أحد لكنني أطرحه من وقتٍ لآخر بدون مجاملة وأكثر خصومي ضراوة هي نفسي وأدرك أني أتحدث عن أمور لا يقبلها عقل وأول المشككين بها أقوله هو أنا لكن الفيصل دائماً بالنسبة لي هي «التجربة» وما يترتب بعدها من نتائج.

العلم الذي حصلت عليه من مكتبة (عمار) ولا أعني هنا علوم السحر والشعوذة بل العلوم الأخرى التي لم أجد لها تصنيفاً هي علومٌ لا أملك عليها ذرة من الإثبات سوى بعض التجارب العملية التي لم تخب معي غالباً.

ضربت عدة أمثلة في حديثي السابق مثل حادثة «النمل» التي عانى منها (أحمد).. هل كنت أعرف بأن تلك الطريقة ستنجح؟.. لا..

هل أعرف الآن أنها ستنجح مع غيره.. أيضاً لا..

لكن ما أعرفه هو أنها نجحت معه وقد تكون مجرد مصادفة. كذلك نصحي لـ(يوسف) بتغيير اسم ابنته.. العلم الذي اكتسبته وجهني لتلك النصيحة.. هل يعني ذلك أن كل فتاة تُسمى باسم (وله) سوف يحدث لها ما حدث مع ابنته... بالتأكيد لا..

لذلك فالأمر بالنسبة لي لا يحتمل مشاركة هذا العلم مع الكثير من الناس.

سأذكر مثالاً آخر تذكرته الآن وهذا المثال قد يوضح مشكلتي مع تلك العلوم الغريبة التي اكتسبتها.

شخص مقرب لي وخارج دائرة أصحابي في المزرعة ألتقي به من وقتٍ لآخر في مقهى أو في منزل أحدنا.. زميل دراسة سابق وأكن له الكثير من الود والاحترام لكنه لا يعرف شيئاً عن ما تعرضت له في الماضي لذا أحب الحديث معه. حدثني في أحد لقاءاتنا عن مشكلات بدأ يعاني منها مع زوجته ولم تكن تلك المشكلات بسبب شيء ظاهر ومعلوم له بل كانت بسبب شكه في أنها تُخفي عنه شيئاً ولا تريد الإفصاح مهما كرر عليها السؤال فقلت له: هناك احتمال أنك واهم ولا يوجد شيء يا (مازن)..

(مازن): صدقني أن هناك شيئاً يعكر مزاجها ويشغل تفكيرها

- ربما الأمر لا يخصك وهذا سبب عدم مشاركتها الموضوع معك

(مازن): الأمر عكر صفو حياتي لذا فهو يخصني!

- وماذا ستفعل لو عرفت السبب واتضح أنه لا يخصك.. هل سترتاح؟

(مازن): نعم.. ما يهمني هو أنني لست السبب في الموضوع

- ألم تقل بأنها أخبرتك بأن لا علاقة لك بالموضوع؟

(مازن): لا.. أخبرتني بأنه لا يوجد موضوع من الأساس وهذا شيء مستفز.. لَمَ تخفي علي أمراً إن كان لا يعنيني؟!

- تفكير النساء مختلف.. لا تُحمل الموضوع أكبر من حجمه

(مازن): لنغيّر الموضوع فلا فائدة من الحديث فيه..

تغير الموضوع بالفعل ودخلنا في عدة موضوعات جانبية أخرى لنصف ساعة تقريباً لكن عقلي لم يتوقف عن الإلحاح والإصرار علي بتقديم اقتراحٍ ناجم عن ذلك العلم الذي لا ينتفع به والذي يضج به رأسي. بعد صراعٍ مرير مع نفسي قلت له:

- اسمع.. لدي اقتراح بشأن موضوع زوجتك

(مازن): ما الذي ذكرك بالموضوع؟.. قالها صاحبي مستغرباً من إثارة الموضوع مرة أخرى

- لا شيء لكن أعتقد أنه يمكنني مساعدتك..

(مازن): كيف؟

- لست واثقاً من الطريقة لكن جرب لن تخسر شيئاً

(مازن): وما هي تلك الطريقة؟.. قالها بتوجس

- لكن تذكر أنه لا يعرف ما تخفي الصدور إلا الله والطريقة التي سأدلك عليها مجرد نافذة صغيرة

(مازن): نافذة صغيرة على ماذا؟

- فقط تذكر كلامي هذا جيداً

(مازن): هل ستكثر الكلام أم أنك ستخبرني؟

- حسناً.. جرب النوم في مضجعها لعدة ليالٍ..

(مازن): ماذا؟.. ماذا تقصد؟

- النوم في فراش شخصٍ ما يساعدك على الولوج في هواجسه وما يشغل باله وسوف تأتيك تلك الهواجس على شكل أحلامٍ أو كوابيس

(مازن): عن ماذا تتحدث؟.. ما هذا الاقتراح الغريب؟

- جرب وقد تصل لإجابة لما يؤرقك

(مازن): دعني أستوضح ما تطلبه مني.. أن أنام في فراش زوجتي لعدة ليالٍ.. أليس كذلك؟

- بلى.. في الجانب الذي اعتادت هي أن تنام فيه..

(مازن): قد يثير ذلك شكوكها

- تصرف وقدم أي عذرٍ لهذا التغيير المؤقت

(مازن): حسناً سأحاول.. لكن ماذا سأرى؟

- في الغالب سترى رؤيا تدلك على الإجابة وإذا واجهت مشكلة في تعبيرها فرقم هاتفي معك ويمكنك الاتصال بي

الطريقة التي زودت صاحبي بها من الأساليب المشهورة التي يتبعها المعالجون الروحانيون وكذلك بعض السحرة بالرغم من أن هذه الطريقة لا علاقة لها بالسحر من قريب أو بعيد لكنها أحد أسرار المهنة التي لا يفشونها لأحد ولا يعرفها إلا من وصل مراحل متقدمة من هذا العلم الغريب وقد تعلمتها من (عمار) بشكل مباشر عندما كان ينام في فراشي بالمكتبة إذا أخفيت عليه شيئاً وأراد معرفته وأخبرني لاحقاً بسرها.

تلقيت اتصالاً من صديقي بعد أسبوع تقريباً وطلب مقابلتي وبالفعل قابلته في المكان نفسه الذي التقينا فيه آخر مرة وشرح لي أنه جرب الطريقة ونام في جانب زوجته من الفراش لعدة أيام فسألته: هل استفدت؟

(مازن): رأيت أحلاماً وكوابيس مثلما قلت.. كلها تتمحور حول الموضوع نفسه.. شجار ومشاحنات مع أهل زوجتي.. مرة مع أخيها الأكبر ومرة أخرى مع والدتها وآخر حلم رأيته بالأمس وفيه تعاركت مع أبيها بالأيدي.. كان كابوساً مزعجاً.. ما معنى هذه الكوابيس؟.. علاقتي معهم في الواقع جيدة ولم أختلف معهم يوماً

- لقد عشت هم زوجتك وهواجسها..

(مازن): هل تقصد أنها تتشاجر معهم في الواقع وهذا ما يعكر مزاجها هذه الفترة؟

- لا ليس بالضرورة لكن الرؤيا تشير بوضوح إلى أن سبب تغير مزاجها هو أمور تحدث بسبب أهلها ولا يشترط أن يكون خلافاً وقد كتمت ذلك في صدرها ولم تخبرك

(مازن): ماذا يكون إذاً؟

- كي تحصل على التفاصيل لا بد أن تسألها لكن ما أردته تحقق وهو معرفة مصدر القلق.. أليس كذلك؟

(مازن): بلى.. أشكرك.. لكن..

- لكن ماذا؟

(مازن): كل ما قلته لي حتى الآن تكهنات ولم أتثبت منها..

- ستتثبت منها بعد سؤالك زوجتك..

(مازن): لم أكن أعرف بأن زوجتي تعاني من الكآبة

- لا تخلط بين الحزن والكآبة فالحزن ضيق في النفس يولد كبيراً لسبب ويزول بنسيانه أما الكآبة فهي ضيق يولد صغيراً بلا سبب وينمو بلا توقف حتى نختنق.. زوجتك تعاني من الحزن وليس الكآبة..

صديقي هذا أخذ بنصيحتي دون سؤال أو تشكيك لذا وجدت أريحية في نقلها وتوجيهها له لكن الإنسان فطرياً لا يكون متقبلاً لفكرة تجربة أمور جديدة لا يعرف مصدرها.

مصادر المعلومة «الموثوقة» عند البشر بشكل عام محصورة في فئات محددة وأبرزها هي «العلم المثبت» و«التشريعات السماوية» أو بمعنى آخر «الدين». ومن الصعب جدّاً على الكثير تقبل علمٍ لا ينبثق من أحد تلك المصادر خشية الوقوع في الخطأ أو الحرام.

مصطلحات مثل «البدعة» أو «الخرافات» أو «الدجل» تشكل عائقاً كبيراً أمام الكثير لقبول أو استيعاب أي علمٍ جديد فهو يقع في خانة المجهول ونحن أعداء ما نجهل بالرغم من أن كل العلوم المثبتة بدأت بمجهول وانتهت بيقين مروراً بالتجربة والبحث.

حدثني ثقة

سأقدم مثالاً بسيطاً على كيف أن معلومة أنا شبه متيقن من صحتها يكون نقلها وإيصالها للطرف الآخر صعباً جدّاً بشكل مباشر ويتطلب وضعها في قالبٍ ملائم ليستطيع هضمها وتقبلها بأريحية.

ابنة خالتي والتي كانت أمي من وقتٍ لآخر تحكي لي عن مشكلاتها وخصامها المتكرر مع زوجها بدأت تلفت انتباهي فمشكلاتها معه تبدأ وتبلغ قمتها في منزلهما وبمجرد أن تخرج غاضبة لبيت أهلها تهدأ فجأة وتستغرب من الأسباب التي دفعتها للخصام معه منذ البداية وهو أيضاً ما أن يخرج من منزله بعد رحيلها حتى تهدأ سريرته ويبدأ أحدهما بالاتصال بالآخر يبدي أسفه وشوقه وتعود المياه لمجاريها وما أن يجتمعا تحت سقف واحد حتى يعودا للخصام بحدة ويفترقا وهكذا دواليك.

أصبح مسلسل خصام ابنة خالتي مع زوجها بحلقاته الممتدة على عدة مواسم مملًّا لي ولأمي المتحسرة على حالهما ولو سألت مختصّاً في «علم النفس» عن سبب المشكلة فسوف يقوم بطرح نظريات لا حصر لها في أساليب التفاهم وقبول الآخر واحترام الطرفين.. إلخ. ولو وجه السؤال

نفسه لشخص آخر لن أذكر توجهه فسيقول بأنه ضعف إيمان وقلة صلاة وتقصير في الواجبات.. إلخ. جميع الآراء السابقة جميلة عندما نسمعها ونهز لها رؤوسنا بكل خضوع وخشوع لكن هل هي مجدية في جميع أو معظم الحالات؟.. لن أجيب وسأترك الإجابة لكم.

بما أن الجميع في عائلتنا ساهموا في هذا الموضوع برأيهم بمن فيهم العاملة المنزلية التي تعمل عند ابنة خالتي بقولها «بابا ما في كويس» فلمَ لا أساهم بما أنا شبه متيقن أنه سبب الخلاف المستمر تحت سقف ذلك المنزل؟.. لكن كيف؟

هل أتحدث مع أمي أو خالتي؟

أتحدث مع ابنة خالتي أم زوجها؟

الحل معي لكنه بالنسبة لهم سيكون بلا شك غريباً وصياغته كحل ستجعله أكثر غرابة.

المعلومة تخص «الملح» وفوائده الروحانية إن صح التعبير، فلو قلت لهم إن رشّ الملح في المنزل وزواياه تحديداً وغسل أرضياته بماءٍ به ملح مذاب مفيد جدّاً لنفسيات أهل البيت لأن منزلهم مشحون بطاقة سلبية قوية تجعل قاطنيه في حالة متوترة على الدوام وهذا هو السبب الحقيقي لخلافاتهما المستمرة فسوف ينظرون لي بنظرة «هل أنت مجنون؟».. وهذا من باب التفاؤل لردة فعلهم المتوقعة.

نسبة قبولهم لكلامي ونصيحتي سوف تعتمد على عدة عوامل أولها ثقتهم بمصدر المعلومة.. لكن.. ما هو المصدر الموثوق للبشر عموماً؟

إذا كانت المعلومة مذكورة في القرآن أو السنة فالأمر محسوم عند المسلمين ولو كانت مذكورة في الإنجيل فهي محسومة عند المسيحيين وتحسم عند اليهود إذا كانت مذكورة في التوراة وعدا ذلك سيكون «بدعة».

ماذا إذا كان الشخص مُلحداً ولا يؤمن بأي من الأديان السماوية؟

ستجد أن المصدر الموثوق عنده غالباً هو العلم الحديث وهذا المصدر معظم الوقت مقبول عند معتنقي الأديان فالعلم في مسائل كثيرة لا يتعارض مع الدين لكن المشكلة هي عندما يكون المصدر غير علمي وغير ديني. أعني بذلك أنه لم يخضع للتجارب العلمية المختبرية والأبحاث المطولة ولم يرد فيه نص سماوي صريح ليقع في المنتصف بينهما ويصبح مرفوضاً من الطرفين.

بهذا المنهج حصرنا مصادر المعلومة وحجبنا علماً كثيراً عنا فالملحد يتعامل مع العلم المثبت مثلما يتعامل المتدين مع الكتب السماوية وأعني بذلك أنه يرى فيه مصدراً موثوقاً لا يقبل النقاش مع أن العلم يراجع نفسه دائماً ويأتي بنظريات تناقض ما سبقها بشكل مستمر ومع ذلك يبقى الملحد واثقاً بأن كل ما يأتيه من هذا المصدر حق مطلق لا يقبل النقاش.

لذلك عندما اقترحت حل غسل منزل ابنة خالتي بـ«الملح» على خالتي ضحكت في البداية ثم قالت:

«لا يجوز يا بني»..

لم أعارض أو أناقش لأن حائط المعتقد لديها كان أكبر من أن أتسلقه حتى وإن كان مبنيّاً على أساس لم يرد في الدين أصلاً أو اجتهاد لفقيه بدون دليل وغير ملزم لأحد.

العامل الثاني الذي قد يجعل معلومة ما مقبولة هي بوضعها تحت مجهر التجربة والخروج بنتائج تلائم معتقداتنا وما نؤمن به سابقاً.

هذه النقطة حساسة جدّاً وتتسبب بصراعات نفسية كبيرة لكثير من الناس الذين حسموا موقفهم مع العالم وطريقة عمله وفهمهم لما يدور حولهم فتقبل معلومة جديدة بدون شرط أو قيد يستلزم عقلاً منفتحاً على ما هو جديد ولا أعني هنا المتدينين فقط فحتى أصحاب «المنطق» والعلم تجد بينهم تزمتاً لما هو مختلف وجديد يفوق أحياناً ما نراه عند معتنقي الأديان السماوية وأقرب مثال على ذلك سنة استخدام غصن شجرة الأراك لتنظيف الأسنان عند المسلمين أو ما يعرف بـ«السواك» فتاريخ هذه العادة يعود لما قبل الإسلام بما يقارب الـ ٧٠٠٠ سنة وقد مارستها حضارات وشعوب كثيرة مثل البابليين مروراً بالإغريق والفراعنة وأصبح سنة دينية عند المسلمين اقتداءً بالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم والذي مارسها وحث عليها.

لم يعرف أو بمعنى أصح لم يتقبل الغرب في العصر الحديث عادة السواك بشكلٍ واسع النطاق حتى ذُكرت تلك العادة جنباً لجنب مع مصطلحات مثل «أثبت العلم الحديث» أو «أثبتت الدراسات» وبدؤوا يتحدثون عن فوائده الجمة للأسنان واللثة وكيف أنه أفضل وأنفع بكثير من استخدام المعجون المعزز بالفلورايد الضار وفرشاة الأسنان التقليدية فانتشر كالنار في الهشيم عندهم وأصبح عادة «حميدة» بعد ما كان مجهولاً مشكوكاً في منفعته.

كثير من المسلمين مارس سنة السواك اقتداءً بالرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم وسنته فقط وليقينه التام بأن المصطفى عليه الصلاة والسلام لن يسن شيئاً إلا وله منفعة سواءً في الدنيا أو الآخرة ولم يكن أغلبهم يعي الفوائد الكثيرة التي توصل إليها الغرب بأبحاثه الحديثة اليوم ومع ذلك مارسها لقرون طويلة.

هل كان العرب والمسلمون ليمارسوا عادة السواك لو لم تكتسب تلك الصبغة الدينية؟ على الأرجح سينخفض معدل ممارستها كثيراً..

هل كان الغرب سيتبنى هذه العادة لو أنه لم يُكسبها مصداقية بأبحاثه العلمية؟.. غالباً لا..

ماذا عن الحضارات السابقة للإسلام والعصر الحديث والتي مارستها لقرون طويلة؟ على أي أساس مارستها؟.. أساس ديني؟

معظم تلك الحضارات لم ترَ أيّاً من الأديان السماوية الثلاثة المعروفة ولم تؤمن بها..

على أساس علمي؟.. ربما فتلك الحضارات وصلت إلى مراحل متقدمة من العلم اندثر معظمها وفقدنا الكثير منها.

ما أريد أن أصل إليه هو أن هناك الكثير والكثير من العلوم التي لا نعرف عنها شيئاً والعلم الحديث لم يطرق بابها ولم يكشف النقاب عنها بعد.

جربت هذا المدخل مع خالتي وقلت لها:

- العلم الحديث أثبت أن الملح مفيد لنفسيات الناس وغسل المنزل به سيكون له أثر إيجابي جدّاً على ابنتك وزوجها (بالطبع هذا الكلام لا أعرف مدى صحته «علميّاً» فأنا لم أقرأ بحثاً علميّاً خاض في هذا الأمر بشكل مفصل وخرج بنتائج حاسمة ومصدر ثقتي بالمعلومة كان من علم الكتب التي قرأتها فقط)

(خالتي): هذه أمور دخيلة ولا أصل لها

- وما الأصل الذي تبحثين عنه؟.. ديني؟

(خالتي): لقد عادت ابنتي لزوجها بالأمس وأمورهما مستقرة ولله الحمد ولا داعي لذلك

- ستعود لكِ في وقت قريب صدقيني

(خالتي): ما هذا الفأل السيئ؟.. ادعُ لها بالاستقرار

لم يكن هناك جدوى من إقناع خالتي أو غيرها فهم لن يتقبلوا شيئاً جديداً يجهلونه مهما حاولت..

أنا لا أدعي أني أملك حقيقة مطلقة لكني أملك علماً حصلت عليه وأقف حائراً أمامه. وأقرب تفسير لتلك العلوم والمعلومات التي يضج بها عقلي هو أنها من تلك العلوم المندثرة.

الأمثلة كثيرة ولا تحصى على التجارب التي جربت فيها تلك العلوم على من هم حولي، أطبق المعلومة وأرى الأثر ولا أعرف التفسير.

مثال آخر يمكنني طرحه وتعريضه للمجهر نفسه وهو أوضاع النوم فالعلم ينصحنا بأوضاع معينة وينهانا عن أخرى على مبدأ صحي بحت لسلامة العمود الفقري والتنفس بشكل أفضل خلال النوم.. إلخ والدين كذلك يحثنا على النوم على الشق الأيمن ويستكرهه على البطن.

ماذا لو تعارض العلم مع الدين في هذه النقطة؟

ماذا لو حذر العلم من النوم على الشق الأيمن وحث على النوم على البطن؟

الكل سيتبع ما يؤمن به لكن هل هذا دليل على كفره بالآخر؟

سؤال مرهق عند محاولة الإجابة عليه.. لكن ماذا لو كان هناك منطلق ثالث غير الدين والعلم..؟

أنا أعرف بأن دفن الإنسان في الرمل وخصوصاً في نوع معين من الرمال مفيد جدّاً للكثير من الأمراض والعلل خاصة النفسية والروحانية.. لماذا؟.. لا أعرف..

أعرف بأن خلع ضرس العقل علاج لمرض لن أذكر اسمه لأني لا أملك دليلاً «علميّاً» أو «دينيّاً» على ذلك.. لماذا هو مفيد؟.. لا أعرف أيضاً؟..

هل ذكر تلك العلوم أو التعامل بها محرم؟.. لا أعرف.. لا أعتقد..

أنا أعيش دوامة.. أريد أن أصمت لكن معظم الأحيان لا أستطيع خاصة عندما أرى من يعاني أمامي. قد تكون العلوم التي وصل إليها البشر اليوم «حديثة» بالنسبة لزمنهم لكن الكثير منها بلا شك ليس «متقدماً» على علوم كثيرة سالفة اندثرت منذ زمن بعيد.

غرور الإنسان يمنعه أحياناً من الاعتراف بأن هناك من سبقه لأمرٍ ما ويحاول عن قصد أو لاشعوريّاً طمس أو عدم ذكر احتمالية أن ما جاء به ليس بالعلم الجديد وأنه قد يكون اكتشف من قبل بل وتفوق من سبقه فيه.

مع مرور الأيام بدأت أحس بنوع من الارتياح تجاه هذا «العلم المندثر» أو «علم الأولين» الذي لا أعلم عن أصله شيئاً عندما رأيت بعض مدلولاته مذكورة في القرآن والسنة وبعضها أيضاً توصل إليه العلم الحديث مؤخراً وبذلك كسب مصداقية أكبر عندي وعند الناس الذين جربوه بنُصحٍ مني، لكن ماذا عن بقية العلوم التي تعشش برأسي؟..

هل أنتظر حتى يثبتها العلم؟

هل أكتمها كما كتمها الكثير قبلي لتندثر مرة أخرى؟

هل يعقل أن (عمار) فقط هو من كان يملك كتباً تتحدث عن تلك العلوم؟

بدأت أعرف لَمَ لم يحرص الكثير ممن حصلوا على هذا العلم على تدوينه أو نشره فقد تملكهم الشك أيضاً وخشوا أن يورطوا أنفسهم والناس معهم بعلمٍ ليس فقط «لا ينتفع به» كما يُتهم بل قد يكون خطراً عليهم كذلك.

علقم الحقيقة

مضت أشهر بعد عودتي لحياتي «الطبيعية» وصلت خلالها لقناعة بأني لم أمر بشيء مما مررت به سابقاً من تحضير للشياطين والتحدث معهم وقد أكون تعرضت فقط لفرط في التفكير مثلما يتعرض الطفل لفرطٍ في الحركة وتحول ذلك لهلوسات عانيت منها لسنوات بعد مكوثي في مكتبة (عمار) تلك السنوات الثلاث وأن كل ما قرأته لم يكن سوى خليطٍ من الحق والباطل وأن كل تلك المعلومات عن الشياطين والأسياد عبثت بعقلي وجعلتني أراهم أمامي وأتفاعل معهم والمسألة كانت بكل بساطة أني أصبت بالجنون.

لقد طردت الشياطين التي كانت حولي ولم يبقَ سوى الشياطين داخل رأسي..

يقال إن المجنون لايدرك أنه مجنون حتى يُشفى وفي لحظة يأس سلمت وأقررت بما قيل لي في أكثر من مناسبة وهو أني فقدت عقلي وهذا سبب ما كنت أراه تلك السنوات التي عقبت خروجي من المكتبة وعودتي لوطني.

كان يمكن أن أجرب قراءة تلك الطلاسم التي تعلمتها ورؤية ما

سيحدث أمامي لكن ذلك قد لا يغير من الأمر شيئاً فكل ما مررت به ورأيته في السابق قضى الشهود عليه نحبهم ولم ينجُ أحد منهم سوى أخي الذي كما قلت سابقاً لا يتذكر شيئاً مما حدث.

لا يذكر ربما لأن لا شيء حدث من الأساس..

زارني أخي يوماً في غرفتي بناءً على طلب أمي التي كانت لا تزال تُصر على أن أزور «متمشيخاً» ليقرأ علي لأنه وكما قالت لي في أكثر من حوار معها «فيك شيء» ولتطمئن علي أكثر وتتحقق من أنني عدت «طبيعيّاً» كانت تريد أن تحصل على اعتماد وشهادة «متمشيخ» ممتهن للدين بذلك.

كنت أتجاهل طلباتها المتكررة لي بالذهاب لأحد مدعي المشيخة الذين ذاع صيتهم ذلك الوقت قدر الإمكان.. أعتقد أن اسمه كان «أبو البراع» لكن مقاومتي انتهت وتبددت بعد دخول أخي غرفتي وجلوسه أمامي مبتسماً وقوله:

«سأطلب منك طلباً أرجو أن لا ترده.. فأجبته وأنا أبادله الابتسام «لن أرده إذا كنت أستطيع».

(أخي): تستطيع لكنك قد لا توافق ولكن اعلم أن الطلب من أمي وليس مني..

اعتدلت في جلستي وقلت بقلق: ما بها أمي؟.. ولِمَ لم تطلب مني ما تريد مباشرة؟

(أخي): لأنني أنا من سيأخذك..

نظرت له مستغرباً ومتسائلاً: تأخذني إلى أين؟

قال بتردد: شيخ.. أمي تريد مني أخذك لشيخ للقراءة عليك

- ألم ننتهِ من هذا الموضوع؟.. لَمَ لا تزال مصرة عليه؟

(أخي): لا أعرف لكنها لن تطمئن إلا إذا ذهبت معي للشيخ

- هل تعتقد أنت أني أعاني من شيء؟

(أخي): يجب أن لا تنكر أنك تتصرف بغرابة بعد عودتك من تلك الرحلة التي غبت فيها لثلاث سنوات.. قالها بحزن وتردد..

- بما أنك ذكرت تلك الفترة.. أريد أن أسألك عن أمرٍ ما؟

(أخي): ما هو؟

- هل تذكر عندما دخلت علي وقلت لي بأنك تعاني من كوابيس بسبب الكتاب الذي قرأته في غرفتي خلال غيابي بعد أن دلك عليه ابن قريبنا؟

(أخي): نعم أذكر..

- وهل تذكر ما حدث بعدها؟

(أخي): ماذا تقصد تحديداً؟

- دخلت عليك غرفتك وكنت مغطى بالدماء وتبكي وأخبرتني

بأني طلبت منك إغماض عينيك قبلها بدقائق وفتحتها لتجد نفسك بتلك الحالة

(أخي): صحيح.. لكن..

- لكن ماذا؟

(أخي): أنا لم أكن مغطى بالدماء ولم أقل ذلك.. ولم أكن أبكي من الأساس.. أنت من دخل علي وعانقني وبدأ بالبكاء.. لقد كنت مشوشاً جدّاً ولم أشأ استفزازك بالحديث معك وقتها..

كانت صدمة.. صدمة كبيرة فهذه أول مرة أناقش فيها أخي في ما حدث ذلك اليوم ولم أكن مستعدّاً لما سمعت.. لقد كنت كما خشيت.. مجرد مجنون توهم كل ما حدث..

ابتسمت.. انهار عالمي كله.. لم يكن هناك (دجن) ولم يكن هناك (جند) ولم يكن هناك أي شيء.. مجرد هلوسات مجنون.. أعراض تقليدية لأي شخص مصاب بمرض الفصام.. شيء قرأت عنه وأعرفه تمام المعرفة لكن لم أظن يوماً أني مصاب به.. هذا لا ينفي أني نهلت بعض العلم من تلك المكتبة لكن يبدو أن عقلي لم يتحملها أو يتحمل العزلة التي عانيتها مع (عمار) فلجأ للهروب كنوع من التكيف مع الظروف القاسية التي فُرضت عليه ولم يعد من حينها وهذا أمرٌ واردٌ جدّاً مع مرض الفصام.

لاحظ أخي الصدمة التي كنت فيها حين أدركت أن علم الطلاسم

وذكرياتي الماضية مع الشياطين والأسياد والقبائل كلها كانت سراباً وقال لي بقلق: ما بك؟

انقطع سرحاني المؤقت في حطام عالمي المهشم ونهضت وبدأت أغير ملابسي وقلت بهدوء: لن أذهب معك..

أخي وهو ينهض ويهم بالخروج: أخبر أمي أنت بذلك إذاً..

قال لي تلك العبارة لأنه كان يعرف سلفاً بأني لا أستطيع مضايقة أمي أو أبي ولو حتى في أمرٍ أمقته مثل هذا لذلك لم أتحدث معها محاولاً إقناعها بعدم جدوى الذهاب لشخص كرس حياته لبيع بصاقه على الناس وقررت الذهاب والانتهاء من الأمر جبرًا لخاطرها فقط خاصة بعد معرفتي لحقيقة جنوني.

بعد قبلتين وعناق من أمي أتبعتها بدعاء سريع لله بأن يحفظنا أنا وأخي توجهنا عصر ذلك اليوم بالسيارة لمنزل ذلك «الشيء» الذي أتت عليه توصيات عالية من بعض أفراد أسرتنا لأمي كالعادة وبأن سره «باتع» كما قيل لها وأنه عالج الكثير من الناس ببركة قراءته.

مع أول إشارة مرورية توقفنا عندها سألت أخي: كم سيتقاضى هذا المبارك؟

(أخي): لا أعرف لكن التسعيرة المعتادة هي ٥٠٠ ريال

قلت ضاحكاً: هل أصبح هناك بورصة وتعرفة لهذه الأمور الآن؟..

شيوخ القراءة في السابق كانوا يأخذون ما يُمد لهم والتعرفة الثابتة للماء والزيوت فقط

(أخي): أعرف أنك لا تريد الذهاب لكن أرجوك لا تحرجنا أمام الشيخ..

قلت بسخرية: وماذا تظن أني سأفعل لأحرجك؟.. أن لا أتعافى مثلًا؟

(أخي): المهم أن تلتزم الصمت قدر الإمكان حتى ننتهي..

ابتسمت وأنا أحدق بالطريق أمامي: أنت لا تؤمن بفائدته مثلي أليس كذلك؟

فتحت إشارة المرور وتحرك أخي قائلاً: القرآن مفيد..

- القرآن وليس البشر..

(أخي): هو رجل حافظ ومتمكن وقد استفاد منه الكثير

قلت وأنا أنظر من النافذة: سنرى مدى تلك الإمكانيات في علاج الجنون..

(أخي): أنت لست بمجنون أنت متعب نفسيّاً فقط..

- لا تقلق فالجنون ليس بمذمة هذه الأيام..

(أخي): سيشخص حالتك وسيعرف إن كان بك علة وسيصف لك العلاج المناسب بإذن الله

قلت بتهكم: طبيب ومختبر وصيدلية في رجل واحد؟

ابتسم أخي وهو يوقف السيارة على جانب الطريق قائلاً: كف عن الاستهزاء بالدين لقد وصلنا..

صمت ونظرت بتعجب لأخي ..

أوقفنا السيارة بجوار منزلٍ كبير.. أبوابه مشرعة وجماهير الناس من جميع الأعمار والأجناس متجمهرة داخله وخارجه. كان أشبه بالعزومة الكبيرة أو صالون عزاء في يومه الأول. دخلنا لنجد أن المنزل قُسم إلى نصفين بستارٍ قماشي.. مدخل للنساء ومدخل للرجال. توجهنا للقسم المخصص للرجال وجلسنا في صالة الانتظار التي اكتظت بالرجال والأطفال والشيوخ. تحدث أخي مع شخص بدا أنه المنسق العام لزوار «المتمشيخ». عاد سيراً نحوي بعد ما مد مبلغاً لم أستطع تحديد مقداره في يد ذلك الرجل وجلس بجانبي وقال: سندخل على الشيخ بعد قليل..

ابتسمت وأنا أسترجع بعض ذكريات الطفولة وقلت: لم يتغير شيء..

(أخي): ماذا تقصد؟

- ذكرتني بأمي عندما كانت تأخذني للقراءة علي في صغري.. لم أتوقع يومًا أني سأعود لهذا الأمر وأخوض التجربة نفسها مرة أُخرى

(أخي): لأجل أمي فقط..

نظرت لمجاميع الناس الجالسة والواقفة وقلت: نعم لأجلها فقط..

نادى الرجل علينا ودخلنا على «المتمشيخ» وجلسنا معه. على عكس ما حدث معي أنا وأمي عندما كنت صغيراً لم يكن مستعجلاً للبدء في القراءة بالرغم من الأعداد الكبيرة التي كانت تنتظره في الخارج وكأنه يتعمد إبقاء هذا الزحام المتجمهر لشيء في نفسه فقد كان يتجاذب أطراف الحديث مع أخي ويمازحه وأنا أراقبهما منتظراً جلسة التشخيص. لم يقل أخي شيئًا مفيداً له سوى أنني متعب وأحتاج قراءة فقال وهو يقبض لحيته ويحدق بي:

«لا بأس الأمر هين بإذن الله..»

بدأ بالقراءة ولم يضع يده علي كما حدث معي عندما كنت صغيراً فقلت في نفسي: «يبدو أن طرق القراءة تغيرت أو أنها تختلف من شخصٍ لآخر.»

نظر أخي لي بنظرة تجهم وعبوس عندما قاطعته خلال قراءته لأُصحح له خطأً في التجويد وقع فيه من أول آية نطقها وتحول عبوسه لغضب عندما تكررت مقاطعتي له أكثر من ثلاث مرات للسبب نفسه حتى قال بنبرة ساخطة: لا تقاطعني!

فقلت بحدة: كيف لا أقاطعك وأنت تقرأ بشكلٍ خاطئ؟!

قال بصيغة استجوابية أظنها كانت مصطنعة بعض الشيء: من أنت؟!

ابتسمت قائلاً: لا أعرف أخبرني..

قال بعبوس: لِمَ تقاطع كلام الله؟! لِمَ لا تريد سماعه؟!

قلت بهدوء يخالطه شيء من الاستهزاء: لأنك تعبث بكلام الله.. اقرأ بشكل صحيح ولن أقاطعك..

تجهم وقال بغضب موجهاً كلامه لأخي: أخوك ملبوس لذلك يرفض سماع القرآن ويقاطعني!

ضحكت وقلت: أقاطعك لأنك لم تجتزْ مادة التجويد فقط!.. ثم أنه لايوجد شيء اسمه تلبس فهو خرافة

لم يلتفت علي واستمر في محاولة إقناع أخي بأني ملبوس حتى اكتفيت من خزعبلاته ونهضت قائلاً لأخي: أنا بالخارج أنتظرك حتى تنتهي..

خرجت من المكان وأنا أشق طريقي بين الجماهير البائسة واليائسة التي تنتظر شيئاً من وقت ذلك «المتمشيخ» المبارك حتى وصلت للخارج واتكأت على سيارتنا أحدق في أفواج الناس التي تدخل وتخرج من المكان. خرج أخي بعد دقائق وفي يده كيس وقال: ماذا فعلت؟!

- ماذا؟

(أخي): لِمَ تحدثت مع الشيخ بهذا الأسلوب؟

- عن أي شيخ تتحدث؟!.. عن ذلك المحتال الذي لم يتجاوز في تعليمه المرحلة الابتدائية؟

(أخي) بحزن: ماذا أخبر أمي الآن؟

قلت بصرامة: لا تخبرها بشيء!.. هل صدقت كلام ذلك الجاهل بأني ملبوس؟!

(أخي): لا.. لا أعرف..

- ما هذا الذي في يدك؟

توجه أخي نحو السيارة ليركبها وقال: لا شيء..

لحقت به وأخذت الكيس عنوة من يده وفتحته لأجد قارورة من الزيت وقارورتين من الماء فتبسمت وقلت: بكم اشتريتها؟

لم يرد أخي علي..

قلت له وأنا أمازحه: هيا أخبرني بكم؟

(أخي): الزيت بـ ٢٠٠ والماء بـ ٥٠..

ضحكت قائلاً: لماذا لم تطلب تخفيضاً؟!

(أخي) بحزن: أرجوك لا تستهزئ بالدين

صرخت فيه بلا شعور: هذا ليس ديناً!!.. لِمَ لا تفهم؟!

لم يرد علي وتوجهت لأقرب قمامة ورميت الكيس بما فيه..

ركب أخي السيارة بصمت وأدار محركها وجلس بداخلها وأنا واقفٌ بالقرب من المنزل أراقب الناس المتجمهرين.

خرج أخي من صمته بعد ما أنزل نافذته وقال: ألن نرحل؟

قلت وأنا أحدق بالمنزل: ما يحدث هنا أمرٌ خاطئ..

(أخي): لا علاقة لنا بذلك هيا لنرحل..

- ماذا ستخبر أمي؟

(أخي): لن أخبرها بشيء سوى أن الشيخ قال إنك بخير..

التفت إليه وقلت: أمي ستصدق كلام شخص لم ترَه من قبل وتكذب كلام ابنها؟

(أخي): هل يمكننا الرحيل الآن؟.. المغرب أوشك على الحلول..

خلال حديثنا خرج رجلٌ من منزل «المتمشيخ» ومعه فتاة تئن وتبكي والرجل ممسك بأكتافها وفي يده كيس مشابه للكيس الذي رميته في القمامة للتو. كانت الفتاة تبكي في البداية لكنها وعندما وصلت لمنتصف الشارع بدأت تصرخ وتحاول التفلت من يد الرجل الذي كان فيما يبدو أنه أبوها أو أحد محارمها. تمكنت الفتاة من الهرب من قبضته وما أن فعلت حتى رمت بعباءتها وبدأت تشد شعرها وتصرخ بقوة أمام الناس. لم يزعجني المنظر لكنني انزعجت عندما رأيت علامة على جبينها.. علامة لم أرَها من قبل إلا في أحد كتب (عمار).. وسم مِلكية.. وسم الملكية للشياطين العاشقة.. لم أشاهده من قبل على جسد أحد.. لم أرَه إلا رسماً في الكتب. كان الوسم واضحاً بالرغم من بعد المسافة التي كانت بيننا.

سيطر الرجل على الفتاة بالقوة وأركبها السيارة وانطلق بها مبتعدًا عن المكان. جريت لاشعوريًّا نحو سيارتنا وركبت وصرخت في أخي: اتبعهما!

(أخي): أتبع من؟!

قلت بصوت مرتفع: اتبع تلك السيارة بسرعة قبل أن تبتعد!

تحرك أخي على عجالة واستطاع اللحاق بهما لأن إشارة مرورية استوقفتهما وخلال وقوفنا خلفهما التفت علي وقال بعصبية: ما بك؟!.. لماذا نلحق بهما؟!

قلت وعيني على السيارة: تلك الفتاة..

(أخي): ما بها ؟

- ممسوسة..

(أخي): هل أصبحت تؤمن بالمس الآن؟.. ألم تقل للشيخ إن المس خرافة؟

قلت وأنا ألتفت عليه: أنا لم أقل ذلك.. التلبس هو الخرافة لكن المس موجود

(أخي): وما الفرق؟

فتحت الإشارة وتحركت السيارة التي كنا نتعقبها فقلت لأخي بنبرة

حازمة يخالطها بعض التوتر بأن يتبعها ولا يفقدها فقال: اهدأ.. اهدأ.. سأتبعهما

استمرت متابعتنا للسيارة لربع ساعة تقريبًا حتى توقفت أمام أحد المنازل في حي من الأحياء القديمة فطلبت من أخي التوقف قبل أن يلاحظانا فقال: لمَ تبعنا تلك السيارة؟

قلت وأنا أراقب الرجل وهو يُنزل الفتاة ويدخلها للمنزل: أريد التحقق من شيء..

(أخي): التحقق من ماذا؟

أجبته بعد ما دخل الرجل والفتاة للمنزل وقلت: ما حدث معي.. أقصد السنوات التي غبت فيها.. تلك الكتب التي قرأتها أنت في غيابي وتسببت لك في تلك الكوابيس..

أخي وعلى وجهه ارتسم القلق: نعم.. ما بها..

- أنت اكتسبت الكوابيس لكن أنا اكتسبت علماً..

(أخي): علماً؟.. أي علم؟

- علم لم أطلبه ولم أسعَ للحصول عليه لكني تشربته وتعلمته.. علم مدون وغير مطبوع.. موجود وغير مثبت..

أخي باستغراب: عن ماذا تتحدث؟

قلت له وأنا أدير وجهي نحو منزل تلك الفتاة: اسمع.. سأعقد معك اتفاقاً..

(أخي): اتفاقاً من أي نوع؟

قلت وأنا أحدق بالمنزل: ما حدث معي قد يكون هلوسات.. جنوناً.. ربما توهمت كل ذلك وأنا بالفعل بدأت أصل لتلك القناعة وأصدقها..

(أخي): وما الذي حدث معك؟.. أنت لم تخبرني قط بأي شيء كنت تختفي فقط وتعود بحالٍ مختلف بعد كل مرة تختفي فيها

- إذا كان ما مررت به مجرد هلوسات اخترعها عقلي المجنون فسوف نعرف الآن

(أخي): أنا لا أفهم شيئاً؟

التفت عليه وقلت: تلك الفتاة تحمل وسم شيطان علوي عاشق على جبينها..

(أخي): شيطان ماذا؟

- دعك من التفاصيل المهم ما سيحدث الآن مع غروب الشمس لو صدق حدسي

(أخي): وما الذي سيحدث؟

قلت وأنا أعيد نظري نحو المنزل: إذا كان ما حدث معي حقيقة وليس هلوسات فمع غروب الشمس ذلك المنزل سيغطى بالطيور.. حمام على الأرجح

(أخي): حمام؟

- نعم.. الأسياد لا يسيرون دون أتباع عند زيارتهم لمنازل المعشوقين وذلك يكون مع الغروب وغالباً تصاحبه جحافل من الطيور أغلبها شياطين متشكلة ترافقه

أخي واضعاً يده على كتفي بحزن: لا بأس.. سنفعل ما تريد..

قلت وأنا ابتسم: أعرف أنك لا تصدقني.. لا ألومك.. هناك جزء مني يتمنى أن ما أقوله مجرد خيالات صنعتها في عقلي.. المغرب شارف على الحلول وفي كل الأحوال سنعرف الحقيقة..

(أخي): حقيقة ماذا؟

قلت وأنا مستمر بالتحديق للمنزل: إما أن أكون بالفعل مجنوناً أو لا..

بعد مضي دقائق رُفع أذان المغرب وكنا أنا وأخي نحدق بالمنزل والمنازل المجاورة له من سيارتنا وبعد انقضاء الأذان قال بصوت حذر وكأنه لا يريد مضايقتي: ما رأيك أن ننزل من السيارة ونذهب للصلاة في ذلك المسجد القريب؟

قبل أن أجيبه سمعت صراخاً من بُعد لتلك الفتاة قادماً من المنزل فقلت: هل سمعت الصراخ القادم من المنزل؟

أجاب أخي بنبرة مواسية: آسف لم أسمع شيئاً..

حدقت به بصمت وحدثت نفسي قائلاً: هل هذا ما يشعر به

المجانين؟.. ربما سمعي أقوى من سمعه بسبب هالتي المفعلة؟.. لا.. لن أبرر لنفسي بعد اليوم.. الحقيقة تجلت أمامي وأنا أحاول إنكارها.. أنا لست سويّاً.. عقلي يخدعني لأنه مريض يجب أن أتقبل هذه الحقيقة وأكف عن محاولة إثباتها.

نظرت نظرة أخيرة للمنزل ثم قلت بعد ما تيقنت أني على خطأ وأن كل ما عشته وآمنت به في الماضي كان وهماً من صنع عقلي المعطوب:

حسناً.. لنذهب لنصلي..

نزلنا من السيارة وتوجهنا للمسجد وصلينا المغرب وخلال الصلاة شاهدت الرجل الذي كان مع الفتاة وهو يصلي بين الجموع ففكرت بالاقتراب منه والتحدث معه لكني لم أفعل لأني كنت أملك الرغبة ولا أملك السبب. أردت أن أنصحه بشأن مراجعة ذلك الدجال لكن في وقتها كانت ثقتي بنفسي قد اهتزت بقوة خاصة بعد أن اكتشفت أن كل ما كنت أعرفه كان مجرد وهم.

خرجنا من المسجد وتوجهنا للسيارة لكن وقبل أن نفتح أبوابها وقفنا أنا وأخي مبهورين ومصدومين من المنظر الذي تجلى أمامنا. رأينا أسراب الحمام وقد غطت سطح المنزل.. كانت بالعشرات بل المئات ولم يكن هناك منزلٌ آخر في الحي تقف فوقه حمامة واحدة حتى جيران المنزل كانت أسطحهم خالية تماماً بالرغم من أن الحمام يزاحم بعضه بعضاً للوقوف فوق السطح وكأنهم قفير نحل اجتمعوا على ملكتهم.

وقفت مذهولًا بالمنظر لكن ذهولي لم يكن كذهول أخي الذي بقي يراقب المنزل بفمٍ مفتوح حتى خرج عن صمته وقال: كيف عرفت؟

قلت وأنا أحدق بسطح المنزل: أنت ترى ما أراه أليس كذلك؟

(أخي): بلى..

ابتسمت.. كدت أبكي لكني اكتفيت بالنظر للأرض أمامي مبتسماً وأنا أقول: أنا لست مجنوناً إذاً..

(أخي): ماذا نفعل الآن هل نصطادها؟.. قالها أخي وهو لا يزال مشوشاً ومصدوماً

- لا لن نصطاد شيئاً.. سنطرق الباب..

(أخي) بتوتر: ماذا؟!.. لماذا؟!

قلت وأنا أتوجه لباب المنزل: هذه الفتاة لن تعيش طويلًا وأنا أعرف كيف أساعدها..

شدني أخي من ذراعي قائلاً: ماذا تنوي أن تفعل؟!

- لقد عاهدت نفسي أن لا أقرأ طلسماً مرة أخرى ولن أعود لذلك العالم مهما حدث لكن هناك طُرقاً أخرى يمكنني مساعدتها بها دون أن أفقد نفسي في ذلك الظلام مرة أخرى

(أخي) وتوتره يزداد: أي ظلام؟.. لنرحل من هنا أرجوك!

قرعت جرس الباب وأنا أقول: فقط ابقَ معي ولا تتحدث..

فتح الباب لنا ذلك الرجل الذي رأيناه مع الفتاة وكان على وجهه حزن كبير وعيناه كانتا شاحبتين وكأنهما لم تذوقا طعم النوم منذ أيام وقال: نعم؟

لا أعرف لماذا لكني لم أقوَ على الكلام في بادئ الأمر.. لم أعرف ماذا يمكنني أن أقول لذلك الرجل وكيف أشرح له ما يحدث مع تلك الفتاة دون أن يسيء فهمي وخلال صمتي تحدث أخي في لحظة ارتباك وقال: هل تسمح لنا بالدخول؟

(الرجل) باستغراب: لماذا؟.. من أنتما؟..وماذا تريدان؟

(أخي) بابتسامة مغلفة بالقلق: نريد التحدث معك بأمر خاص إذا سمحت

(الرجل) وعلى وجهه ريبة: تفضلا

استغربت من إقدام أخي وشجاعته في تلك اللحظة المربكة لكن ما قام به شجعني قليلاً وخفف من توتري.. دخلنا وجلسنا في المجلس وجلس الرجل أمامنا وقال: ما الأمر؟

نظر أخي لي بنظرة: «قل ما عندك»

استجمعت قواي وقلت: الفتاة.. الفتاة التي كنت معها عند الـ«شيخ» عصر اليوم..

(الرجل): ما بها؟

- تصرخ خلال نومها.. تصحو بكدمات وجروح على جسدها.. تبكي بلا سبب.. تغضب فجأة وخاصة في الليل.. تنتابها نوبات غضب تمكنها من مقاومة ومهاجمة من هم أكبر منها حجماً وقوة بالرغم من هزال جسدها.. لا تأكل إلا الأشياء ذات المذاق الحلو.. تكره الماء والاستحمام..

قاطعني الرجل وعلى وجهه خليط من الغضب والاستغراب وقال بحنق: من أنت؟! وكيف عرفت كل هذه المعلومات عن زوجتي؟!

(أخي) بتوتر: نحن نعمل عند الشيخ ولحقنا بك بعد رحيلك لأنه نسي أن يخبرك بأمرٍ هام

(الرجل) بغضب: يخبرني بماذا؟!

- سأصف لك خليطاً يمكنك أن تعده في المنزل بنفسك.. اسقِ زوجتك منه مرة واحدة في اليوم لثلاثة أيام فقط وسوف تتحسن بإذن الله

(الرجل): هل هذه الوصفة من الشيخ؟

قلت على مضض: نعم نعم من الشيخ.. وارمِ ما أعطاك إياه من ماء وزيوت

(الرجل): أرميها؟!.. وماذا عن الثمن الباهظ الذي دفعت مقابلها؟!.. هل هذه حيلة كي تحصلوا بها على المزيد من المال؟!

- العلاج الذي قدمته لك للتو بلا مقابل

(الرجل): وماذا عن الأموال التي دفعتها في السابق؟!

التفت على أخي في إشارة مني له بأن يدفع للرجل قيمة الماء والزيوت التي أخذها من «المتمشيخ» ففعل وبعد ما أخذ الرجل المال قال بتجهم: أنا أراجع الشيخ منذ أسابيع ولم أرَكما من قبل عنده!

(أخي) بتوتر: ربما لم تنتبه

نظر الرجل لنا بنظرة شك وريبة قائلاً: هل أنتما واثقان من هذا العلاج؟

- لا شيء سيحدث دون إذن الله..

(الرجل): ونعم بالله

نهض أخي وقال بتوتر: هيا لنذهب

(الرجل): إلى أين؟

قلت وأنا أنهض: سنرحل وبإذن الله لن تحتاج غير هذا العلاج

صافحت الرجل وخرجت تاركًا أخي معه ليودعه..

وصلت للسيارة ولحق بي أخي بعدها بدقائق وركبت معه وتوجهنا للمنزل وخلال الطريق قال بتوتر: لدي إحساس أننا ارتكبنا جريمة..

- لَم تقول هذا الكلام؟

(أخي): لقِد وصفنا علاجاً دون علم وقد تموت تلك المرأة وندخل السجن بسببك!

قلت وأنا مبتسم: بإذن الله ستتعافى.. تناول هذا الخليط له تأثير قوي على الشياطين العاشقة فهم لا يطيقون الرائحة التي ستنبعث من جسدها جراء تناوله وسوف يهجرها بلا عودة

(أخي): وما أدراك أنت؟ من أخبرك عن تلك الوصفة؟.. وعن أي شياطين تتحدث؟!

لم أجبه.. كنت مشغولاً بنفسي ومنتشياً لأني رأيت بصيص أمل بأني لم أكن مجنوناً.. كان بالي مشغولاً بالبحث عن المزيد من الدلائل والقرائن كي أثبت أني على حق وأن الماضي الذي مررت به لم يكن من صنع خيالي.. لكن كيف؟..كيف وأنا قد عاهدت نفسي أن لا أعود لقراءة الطلاسم أو أي شيء يختص بذلك العالم..؟

قاطع أخي تفكيري المحموم وأنا أقضم أظافري سارحاً وقال: ألن تجيبني؟!

- قرأتها في كتاب..

(أخي): كتاب؟.. أي كتاب؟!.. وكيف تعرف أن ما قرأته صحيح وليس مجرد خرافات مكتوبة؟!

ابتسمت وقلت وأنا أحدق في الطريق أمامي: سنرى..

(أخي): لا تتحدث هكذا أمام أمي كي لا تجبرنا على العودة للشيخ مرة أخرى..

ضحكت.. لم أضحك منذ مدة.. كنت سعيداً.. شعرت بالارتياح.. أنا لست مجنوناً..

عدنا للمنزل ذلك اليوم وتوجه كلٌّ منا لغرفته بعد ما مررنا بأمنا وقبلنا رأسها وطمأناها أن «المتمشيخ» أخبرنا بأنني لا أعاني من شيء سوى تعبٍ عارض.

مرت الأيام وخلالها كانت الحياة طبيعية جدّاً.. أزاول عملي صباحاً يتبعه زيارة منتظمة لأصحابي ليلاً.. قراءة وكتابة حتى الفجر.. في تلك الفترة كان ما زال تأثير تفعيل هالتي علي قويّاً ولم أكن أنام كثيراً. كنت أكمن بضع ساعات بعد صلاة الفجر فقط حتى يحين موعد عملي.

الكمون هو حالة من الاسترخاء التام مثل اليوغا دون الدخول في نومٍ عميق.. تعلمت لاحقاً السيطرة أكثر على يقظتي وأصبحت قادراً على سرقة ساعة أو أقل من النوم العميق خاصة في رمضان حيث إن هالتي تستقر بشكل كبير في الشهر الفضيل.

كان ذلك هو مختصر حياتي.. روتين ممل وجميل في الوقت نفسه.. لكن ما حدث بعد أسبوعين تقريبًا من ذهابنا للـ»متمشيخ» غير ذلك المسار قليلاً حيث تلقيت اتصالاً على هاتفي النقال من رقمٍ غريب صباح أحد الأيام قبل توجهي للعمل فظننت أنه اتصال خاطئ لأن لا أحد يعرف

رقمي سوى المقربين مني وهم محدودون جدّاً ويعرفون بأني لا أحب الحديث عبر الهاتف ويتواصلون معي بالرسائل النصية لأنها الطريقة المضمونة كي أرد في الحال.

كنت سأتجاهل ذلك الاتصال لكني أجبت وبعد إجابتي فوجئت بأنه شخص يقول: السلام عليكم يا شيخ..

- عفواً.. يبدو أنك مخطئ في الاتصال..

(المتصل): ألست أنت من زارني قبل أسبوعين وقام بعلاج زوجتي؟

توقفت قليلاً لأسترجع ذاكرتي فتذكرت أنه ذلك الرجل الذي قمنا أنا وأخي باللحاق به بعد خروجنا من منزل الـمتمشيخ» فقلت له: عذراً أنا لست بشيخ.. ثم من أين حصلت على رقمي؟

لقد أخذته من صاحبك الذي كان معك قبل رحيله والآن وبعد أن تماثلت زوجتي بفضلك للشفاء بعد شهور من المعاناة مع المرض أحببت الاتصال بك لأشكرك

- كان ذلك بفضل الله وليس بفضلي..

(المتصل): ونعم بالله.. مع ذلك «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»..

- العفو وأرجو لها دوام الصحة والعافية

أغلقت الخط وتوجهت بعدها إلى غرفة أخي مباشرة ودخلت عليه لأجده نائماً فجلست بجانبه على طرف السرير وأيقظته قائلاً: أنهض.. أريد الحديث معك

(أخي): ماذا؟.. ما الأمر؟.. قالها وهو يمسح النعاس من عينيه..

- لقد تعافت زوجة الرجل..

قال باستغراب: أي رجل؟.. عن ماذا تتحدث؟

- الرجل الذي وصفت له الخليط لعلاج زوجته قبل أسبوعين..

(أخي) وهو يعانق مخدته ويغمض عينيه: آه نعم تذكرت.. الحمد لله لن ندخل السجن إذاً

ابتسمت وقلت: لَمَ أعطيته رقمي؟

(أخي) يفتح عينيه ورأسه لا يزال على المخدة: هل أنت غاضب لأني أعطيته رقم هاتفك؟.. كنت مجبراً على ذلك لأنه قال بأنه سجل رقم لوحات سيارتي وسوف يبلغ الشرطة إذا حدث مكروه لزوجته بعد تناول وصفتك لو لم أعطه الرقم..

- لا لست غاضباً.. على العكس تماماً أشعر بالسعادة..

(أخي): لأنها تعافت؟

- لا.. لأني أنا تعافيت..

(أخي): ممَّ كنت تشكو لتقول ذلك؟

- كنت أشكو من الشك.. الشك في نفسي وفقدان الثقة بها لكني الآن استعدت ذلك.. أو جزءاً منها على الأقل..

مساء ذلك اليوم خرجت كعادتي للتوجه لأصحابي في المزرعة ورأيت رجلاً ينتظرني عند الباب.. ينتظر فقط.. لم يطرق الباب وكأنه يريد مقابلتي دون أن يعلن عن وصوله لبقية أفراد المنزل.. لا أعرف.. لكن وقوفه أمام الباب بتلك الطريقة لم يكن مريحاً في بادئ الأمر.

هيئة الرجل الخارجية كانت من النوع الذي لا أفضل الحديث معه، ليس انتقاصاً ولكن تاريخي مع هذه الفئة لم يكن لامعاً وبراقاً. كان قصير الثوب يلبس شماغاً أحمر بلا عقال.. لحيته سوداء كثيفة.. حليق الشنب.. رأس سواك مبتل يطل من جيبه الأمامي.. مكتحل العينين.. أطراف أصابع قدمه تشير إلى أنه يقوم بتحنية قاع أقدامه من وقتٍ لآخر.. اتضح لي ذلك من درجات الحناء المختلفة بين أصابعه. نحيل الجسد أبيض البشرة أنفه مستل وجبينه عريض.

خلال هذا التقويم السريع لمظهره الخارجي أخذ الرجل خطوة نحوي وهو يقول مبتسماً: السلام عليكم..

- وعليكم السلام.. نعم ماذا تريد؟

(الرجل الملتحي): أريد الحديث معك

- أعتذر.. أنا في عجلة من أمري.. قلتها وأنا أهم بركوب سيارتي..

(الرجل الملتحي): هل يمكنني الركوب معك إذاً والحديث خلال الطريق حتى تصل لوجهتك؟

- من أنت؟

(الرجل الملتحي): شخص يريد الحديث معك في موضوع لا أكثر..

- أنت تتحدث معي الآن

(الرجل الملتحي): لا.. أقصد في مكان نستطيع الحديث فيه بأريحية

ليس من طبعي أن أوافق على مثل هذا الطلب الغريب وخاصة من شخص «ظاهره» لم يكن من فئة الأشخاص الذين أفضل الحديث معهم لكني وافقت وبالفعل ركب معي السيارة وتحركت متجهاً للمزرعة. توقعت أن يدخل الرجل مباشرة في الموضوع ويبدأ بالحديث معي بمجرد إغلاقه للباب لكنه أخرج سواكه وبدأ يفرك أسنانه برأس فرشاته محدقاً أمامه بصمت. انقضى نصف الطريق وتجاوزنا إشارتين مروريتين توقفنا عندهما لدقائق كافية ليتحدث فيها لكنه بقي على حاله صامتاً ولم يتحدث. لم أكن سأجاريه في ألاعيبه النفسية المكشوفة ولم أكن أيضاً سأبادر بالحديث قبله.

قبل وصولنا للمزرعة بمسافة قصيرة تحدث الرجل أخيراً وقال دون أن يلتفت علي: الخليط الذي وصفته لزوجة (عبد العزيز).. من أين حصلت عليه؟.. أقصد ما أدراك أنه كان سيفيدها؟

بالطبع لم يكن من الضروري أن أسأل من هو (عبد العزيز) فمن الواضح أنه كان يقصد الرجل الذي اتصل بي ليشكرني صباح ذلك

اليوم فقلت ونظري على الطريق أمامي ويداي قابضتان على المقود: لِمَ لا تتوقف عن المراوغة وتخبرني بغرضك من الحديث معي؟.. لقد اقتربنا من المكان ولن أتحدث معك أكثر بعد وصولنا لذا لا تضيع الوقت على نفسك

(الرجل الملتحي): أنا كنت أحد الرقاة الذين لجأ إليهم (عبد العزيز) للقراءة على زوجته خلال مرضها

قلت بسخرية: وهل استفادت من بركتك؟

(الرجل الملتحي): سخريتك لن تستفزني وأنا لست هنا لمقارنة علمي بعلمك

- عن أي علم تتحدث؟.. علم البصاق والزيوت؟

(الرجل الملتحي): لا.. أنا لا أبيع زيوتاً ولا أطلب أجراً مقابل مساعدتي للناس آخذ ما يمدونه لي فقط

- لأنك لا تساعدهم من الأساس..

(الرجل الملتحي): ماذا عنك أنت؟.. منذ متى وأنت تمارس عملك في العلاج؟

- أنا لا أمارس شيئاً وما حدث مع زبونك كان مصادفة فقط

(الرجل الملتحي): هل تنظر للمرضى على أنهم زبائن؟

أوقفت السيارة على جانب الطريق والتفت على الرجل الذي كان لا يزال يفرك أسنانه بالسواك وينظر لي ببرود وقلت بسخط: ماذا تريد؟!

(الرجل الملتحي): أريد أن أفيد المسلمين وأكسب أجر مساعدتهم فقط لا غير..

- وما شأني بمسعاك النبيل.. قلتها بتهكم..

(الرجل الملتحي): أريدك أن تكون معي في هذا المسعى.. أريد أن تشاركني الأجر..

قلت ضاحكاً: لا ، شكراً

(الرجل الملتحي): حسناً سأكون صريحاً معك..

- الآن يمكن أن أنصت لك بجدية.. تفضل..

(الرجل الملتحي): ليس من العيب أن تكون معالجاً كالطبيب أو مواسياً لآلام المرضى حتى وإن تقاضيت مقابلاً لذلك..

- لا أبداً لكن من العيب والحرام أيضاً أن تكون محتالاً وتتاجر باسم الدين وتبيع الوهم لهم

(الرجل الملتحي): أنت لا تبيع الوهم.. وانا أريد أن أشتري الحقيقة منك..

- أنا أتحدث عنك أنت يا مخادع وأنا لا أبيع شيئاً لأحد..

(الرجل الملتحي): مهما كان المبلغ المعروض؟

- اسمع.. أنا ممتن لصراحتك واعترافك ضمناً بأنك محتال لكن لا تظن أن المال سيكون سبباً كي أخدع الناس وأحتال عليهم مثلك

(الرجل الملتحي): إذا كانت علاجاتك نافعة فأين الخداع في ذلك؟

بدأت أشعر بالضيق والضجر من ذلك الحوار فلا يوجد أسوأ من الحديث مع «متمشيخ» إلا الحديث مع «محتال بلا ضمير» فقلت له بتجهم في محاولة لإنهاء النقاش: شكراً لعرضك المغري لكني لا أنوي امتهان هذه المهنة.. لا للمال أو لغيره.. لن أتحول للشيء الذي حاربته طيلة حياتي مهما حدث!

وبكل برود قال: لدي حالة مستعصية أقرأ عليها منذ عدة أشهر.. فتى أصيب بالشلل فجأة والأطباء يؤكدون أنه سليم ولا يعاني من أي علة جسدية..

- ألم تسمع ما قلته لك للتو؟

استمر الرجل بتجاهل كلامي وقال: والده رجل غني جدّاً ومهما حاولت رقيته لا يتحسن..

- المشكلة ليست بما تقرأ بل من القارئ.. أنت إنسان استغلالي وهدفك الأول والأخير هو المال لذلك فقراءاتك لا نفع منها

(الرجل الملتحي): أعرف، لذلك أحتاجك في علاج هذا الشاب.. يمكننا أن نقتسم المبلغ بيننا

ذهلت من وضاعة ذلك الرجل وفي الوقت نفسه شعرت برغبة غريبة في الخوض أكثر في أسبار عقله المريض لذا قلت: حسناً.. سأوافق بشرط..

وضع الرجل سواكه المبتل بلعابه في جيبه وقال مبتسماً: أنا موافق دون أن أسمع شرطك

- أن نقوم بذلك دون أخذ مقابل..

(الرجل الملتحي): ماذا؟.. دون مقابل؟!.. ما الغرض من ذلك إذاً؟!

- الأجر والثواب بالطبع.. ألم يكن هذا كلامك قبل قليل؟

(الرجل الملتحي): حسناً موافق..

- موافق؟

(الرجل الملتحي): نعم موافق.. سأتصل بالرجل الآن

- لا ، انتظر ليس الآن!

لم أستطع منع الرجل المتحمس من إخراج هاتفه والاتصال بشخصٍ لم يتحدث معه كثيراً ولم يقل له سوى بضع كلمات استأذن من خلالها بزيارته في تلك الساعة المتأخرة ومما فهمت أن المتحدث على الطرف

الآخر وافق دون اعتراض. أغلق هاتفه وأشار لي بالتحرك فقلت له: إلى أين؟

(الرجل الملتحي): لمنزل الرجل بالطبع

- أي رجل؟

(الرجل الملتحي): والد المريض الذي سنعالجه.. هل نسيت؟

- أنا حتى لا أعرف اسمك وتريد مني الذهاب معك لمكانٍ مجهول في هذه الساعة من الليل؟

(الرجل الملتحي): أنا (عواد).. هل يمكننا الذهاب الآن؟.. قالها مبتسماً..

- نعم.. أين يقع المنزل؟.. قلتها متوجساً..

صاحب التعاسة

خلال سيرنا بالسيارة نحو العنوان الذي زودني به (عواد) لم أكن في الواقع متحمساً لذلك اللقاء وكنت أرجو الله في قرارة نفسي أن يطرأ شيء ما يُعطلنا أو يلغي الموعد بطريقة أو بأخرى لكن ذلك لم يحدث ووصلنا عند منزلٍ كبير. أوقفنا السيارة وترجلنا منها وكان في استقبالنا رجل بدت عليه علامات الثراء بالرغم من أنه لم يكن متكلفاً في لباسه. رحب بنا ودعانا للدخول وكان من الواضح أنه يعرف (عواد) سابقاً فحديثه الجانبي معه يشير لعلاقة قديمة. تبعتهما بصمت للداخل وما أن خطوت داخل المنزل حتى شعرت بضيق في صدري لم أشعر به منذ زمن طويل وقد لاحظ (عواد) ذلك علي وقال «هل أنت بخير؟» أجبته بـ«نعم» لكني لم أكن بخير كنت كمن أصيب بنوبة ربو وأصبحت أنفاسي أضيق ولم أستعدْ بعض عافيتي إلا بعد جلوسي في المجلس وشربي بعض الماء الذي وُضع أمامنا.

الحديث الذي دار بين صاحب المنزل و(عواد) كان مباشراً فقد أخبره بأنه أحضرني معه كي أفحص ابنه وتحدث عني بأمور غير صحيحة

ورفع من شأني كثيراً أمام ذلك الرجل لكني لم أتدخل لأن الأمر برمته لم يعجبني منذ البداية لكني أردت أن أرى إلى أين سينتهي بي المطاف معه. لا أنكر أن الفضول كان سبباً رئيساً لموافقتي على القدوم مع (عواد)، لقد أمضيت سنينَ طويلة أحارب أمثاله ووجدت إثارة جديدة وجميلة نوعاً ما في رؤية عمل هؤلاء النصابين عن قرب. خلال حديث (عواد) مع صاحب المنزل التفت علي الرجل فجأة وقال: شكراً يا شيخ على حضورك..

- أنا لست بشيخ.. هل ترى معالم المشيخة علي؟

(عواد) بشيء من الارتباك: هو يفضل لقب معالج..

- معالج؟.. أنا لست بمعالج أيضاً

(الرجل): ما أنت إذاً؟.. أعرف أن المعالجين الروحانيين يخشون الملاحقة الأمنية خلال ممارستهم مهنتهم لا تقلق أنت بمأمن هنا

وجهت نظري لـ(عواد) وعبرت بنظرة متجهمة عن عدم ارتياحي للحوار..

(عواد) لـ(الرجل) بتوتر: نحن لا نملك الكثير من الوقت هل يمكن أن ترى لنا الطريق كي يستطيع صاحبي فحص ابنك؟

وقف الرجل وهو يقول: بالطبع..

قادنا للطابق العلوي وتحديداً لإحدى الغرف التي انتشرت فيه

وخلال صعودنا زاد الضيق الذي كنت أحس به في صدري حتى توقفنا أمام الغرفة وفتح بابها قائلاً: تفضلا..

أشار (عواد) لي بالتقدم قبله فتقدمت بخطواتٍ حذرة لداخل الغرفة وما أن دخلتها حتى تحول الضيق في صدري لصداعٍ خفيف وأنا أرى شاباً في أوائل العشرين من عمره مستلقياً على سرير بوجهٍ شاحب وكانت علامات المرض متجلية عليه. خلال تحديقي به تحدث الرجل من خلفي وقال: ابني على هذه الحالة منذ أكثر من عام.. لا يتحرك ولا يتحدث ولم أستطع معرفة العلة التي يشكو منها ولم أجد له علاجاً في أي مكان.

- شفاه الله وعافاه.. قلتها وأنا أقف بين المدخل والسرير أنظر لذلك الشاب الذابل..

(عواد): اجلس بجانبه يا شيخ..

بالرغم من انزعاجي من استخدامه لكلمة «شيخ» لوصفي إلا أني لم أعلق وبقيت أنظر لذلك الشاب.. كان به شيء غريب.. طاقة سلبية قوية عكرت مزاجي وأخلت بتوازني..

دخل والده للغرفة وسحب كرسيّاً ووضعه بجانب سرير ابنه وأشار لي بالجلوس أمامه. لا أعرف ما الذي حدث بعد جلوسي أمامه لكنني رأيت.. رأيت العلة وسببها في عقلي.. رأيت في الغرفة أموراً قد تبدو طبيعية للكثير لكنها بالنسبة لي كانت خارجة عن المألوف وذات دلالة

ومعنى آخر. عقلي حلل وفسر دون أمرٍ مني ووجدت نفسي لا شعوريّاً أسأل الرجل: «هل لديكم خادمة؟»

(الرجل): نعم.. هل ترغب مني استدعاءها؟

- لا..

وجهت نظري للأرض أسفل مني والتي كانت من السراميك ثم رفعت رأسي للستارة خلف السرير وأصبح الأمر جليّاً لي.. استأذنت الرجل وقلت:

- هل تسمح لي برفع مرتبة السرير قليلاً والبحث أسفلها؟

أجاب الرجل بتردد: نعم لا مانع.. هل تريد مني أن أحمل ابني لمكانٍ آخر؟

مددت يدي تحت مرتبة السرير وأنا أقول: لا داعي لذلك..

بعد بحثٍ قصير بيدي تحت المرتبة أخرجت عقدة من القماش معقودة بعدة عقد وبدأت أحل عقدها ومع كل عقدة كان الشاب يصرخ حتى فككت الخرقة وأخرجت محتواها.. مجموعة من المسامير وقطع السراميك وبعض الشعر. كان الرجل خلال فكي للعقد يتحدث معي بقلق وهو يرى ابنه يصرخ ويتلوى من الألم لكني لم أعره أي انتباه حتى انتهيت. نهضت من مكاني ومددت الخرقة بمحتواها لـ(عواد) وقلت له: ضعها في وعاء من الماء والملح ثم يمكنك رميها بعد ذلك..

أخذ (عواد) الخرقة وما حوته وضمها بين يديه وخرج من الغرفة بعد ما استأذن الرجل للذهاب للمطبخ..

بدأ الشاب بالحديث بثقل وهو يبكي ومد ذراعيه لأبيه الذي عانقه وهو يقول موجهاً كلامه لي: ما هذا؟.. هل هذا سحر؟!

لم أجب على سؤاله لكنني طلبت منه ترحيل العاملة على الفور وطمأنته بأن ابنه سيتعافى بإذن الله.

أرضية السراميك كانت مُكسرة وهذا دليل على جمع أثر والعقدة على الستارة هي لتثبيت المستهدف بالسحر في السرير ومعنى ذلك أن العمل موجود بالقرب من تلك العقدة والمريض أيضاً وأسفل السرير هو أنسب مكان لوضعه. استأذنت بالرحيل لكن الرجل أصر على معرفة أجري الذي أتقاضاه، حاولت أن أشرح له أني لا أمتهن هذه المهنة لكنه رفض أن ينصت لي وأصر علي بأن أطلب مالاً. كان النقاش متعباً معه وكنت في ذلك الوقت أريد الخروج بأسرع وقت من المنزل فرؤية تلك العقد ومحتواها سبب لي ضيقاً شديداً ولم يعتقني ذلك الرجل من إصراره حتى عاد (عواد) وهو يقول: لقد انتهيت..

وجهت نظري له وقلت له بصرامة: يجب أن نرحل الآن!

لم أنتظر وخرجت تاركاً (عواد) مع الرجل وتوجهت مباشرة لخارج المنزل وركبت السيارة في انتظاره..

لم يطل (عواد) البقاء وخرج بعدي بعدة دقائق وهو يقول بتعجب: لَمَ خرجت هكذا؟.. الرجل كان يريد أن يشكرك

- اركب السيارة ولنرحل فوراً!

(عواد) وهو يركب بجانبي باستغراب: أمرك عجيب.. لقد حققت للتو معجزة ولا تبدو سعيداً بذلك

قدت السيارة مبتعداً عن المكان بصمت دون أن أرد عليه. استأنف (عواد) حديثه مبتهجاً وقال: لدي الكثير من الحالات المستعصية وأنا واثق من قدرتك على مساعدتها!

- كم أخذت من الرجل؟

(عواد) بتوتر: ماذا؟.. لم آخذ منه شيئاً

- إذاً فهذه آخر مرة أخرج فيها معك.. وقد يكون ذلك أفضل

(عواد): لا لا ، سوف أعيد له المال أعدك بذلك لكن ما الفائدة من قيامنا بما نقوم به إذا كنا لن نتقاضى أجراً على ذلك؟

- سوف تتقاضى شيئاً أهم من المال

(عواد): عن ماذا تتحدث؟

وقتها اتخذت قرار توريث جزءٍ من علمي لشخصٍ أكثر حماساً مني لمزاولته كي ينتفع به الناس لكن وجب علي أن أتيقن من أنه لن يستخدمه لاستغلال الضعفاء وابتزازهم بترويض جموحه وإعادة تشكيله من

جديد.. كان مشروعي الصغير الذي أسسته وتبنيته وندمت لاحقاً أني فعلت.

- سوف أعلمك جزءاً من علمي كي تمارسه وحدك.. هل ترغب بذلك؟

(عواد) بحماسٍ شديد: نعم أرغب بذلك بشدة!

- قد لا تطيق معي صبراً..

(عواد): سأنفذ كل ما تطلبه مني ولن أعترض على شيء!

- ستنفذ دون سؤال.. ولن تسأل عن شيء.. أنا من سيختار ما يجب أن تتعلمه في الوقت المناسب..

(عواد): موافق..

- ولن نتقاضى مالاً من أحد..

(عواد) بتردد: لكن..

- هل ستبدأ بالاعتراض من الآن؟

(عواد): لا أبداً لكن نحتاج بعض المصاريف البسيطة فأنا عاطل عن العمل ولا أملك مصدراً للدخل حتى أني لا أملك مالاً لملء سيارتي الواقفة أمام منزلك بالوقود بعد ما تعيدني

- كنت تقول إنك تريد شراء علمي بأي ثمن من أين كنت ستأتي بالمال لو أني وافقت؟

(عواد): كنت سأتدبر الأمر بطريقة ما..

- هذا يعطيني انطباعاً بأنك رجل متهور ولا تفكر قبل الكلام

(عواد): أنا صريح معك فقط وأقول لك الآن إني لا أملك شيئاً..

- ماذا عن المال الذي أخذته من الرجل قبل قليل؟

(عواد): ألم تطلب مني أن أعيده له؟

ابتسمت وأنا أحدق بالطريق أمامي وقلت: يمكنك الاحتفاظ بالمال هذه المرة وعندما تحتاج لأي شيء أخبرني فقط وأنا سوف أتصرف..

(عواد) وأنا أوقف السيارة أمام منزلي: حسناً موافق.. ما هي الخطوة الأولى؟

- احلق لحيتك بالكامل.. قلتها دون أن ألتفت عليه..

(عواد) يضع يده على لحيته الكثيفة وهو سارحٌ أمامه: لحيتي؟

- نعم وتخلص من ملابسك هذه التي تخدع بها الناس

(عواد): حسناً سأفعل.. ماذا أيضاً؟

- كم حالة لديك؟

(عواد) مبتسماً: العشرات..

- رتب لقاءً مع أحدها غداً عصراً وسوف أكون بانتظارك

(عواد): حسناً سأفعل

ومنذ ذلك اليوم أصبح (عواد) تلميذي الأول.. ولم يكن الأخير..

في اليوم التالي حضر على الموعد كما كان الاتفاق وركبت معه سيارته وما أن رأيته بشكله الجديد حتى تبسمت وقلت: شكلك أصبح أكثر ملاءمة..

(عواد) وهو يتحسس ذقنه الناعمة: لا أعرف ما الهدف من حلق لحيتي لقد كانت تمنح الناس ثقة أكبر عند التعامل معي

- احصل على الثقة بعملك لا بشكلك..

(عواد): هل أحكي لك عن الحالة التي سنزورها اليوم؟

- احكِ لي عنها خلال الطريق

تحرك (عواد) بالسيارة وقادها لدقائق بصمت ثم قال:

«هذه الحالة هي لفتاة في السابعة عشرة من عمرها.. وحيدة أمها وتسكن معها بعد وفاة أبيها وحسب ما أخبرتني أنها كانت متفوقة في دراستها إلى أن وصلت للسنة الأخيرة من المرحلة الإعدادية ثم تغيرت فجأة»

- تغيرت كيف؟

(عواد): بدأت ترفض الذهاب للمدرسة وتصيبها نوبات غضب شديدة إذا حاول أحد إقناعها بالذهاب لدرجة أنها حطمت أثاث غرفتها بالكامل في آخر زيارة لي لمنزلهم عندما تحدثت معها بهدوء عن هذا الموضوع

- ما طريقة العلاج التي كنت تتبعها معها؟

(عواد): الرقية ومغلي نبتة «الحرمل»

- علاجك مفيد للاكتئاب والضيق الخفيف في النفس لكن ليس لحالتها

(عواد): وما هي حالتها؟

أشرت لـ(عواد) بالتوقف على جانب الطريق..

(عواد) بعد أن أوقف السيارة: لَمَ توقفنا؟

- هل ترى تلك القرطاسية؟

(عواد) موجهاً نظره لقرطاسية عبر الشارع: نعم؟

- اذهب وابتع لك قلم رصاص ومدونة

(عواد): لماذا؟

- لا تجادل يا (عواد) نفذ فقط

(عواد) وهو يترجل من السيارة: حاضر

بعد وقتٍ قصير عاد ومعه كيس به مدونة وقلم رصاص وركب السيارة وهم بإدارة المحرك لكني استوقفته وقلت: انتظر.. افتح الصفحة الأولى واكتب بقلم الرصاص ما سأقوله لك.

أخرج (عواد) المدونة وأمسك بالقلم وهو ينظر إلي بصمت وأنا سارح أمامي..

(عواد): هل سأكتب الصمت؟،

- لا.. هذه المدونة أريدك أن تدون فيها الحالات التي سنعالجها مع التشخيص وعلامات الإصابة وطرق العلاج

(عواد): لأي غرض؟.. ذاكرتي قوية ويمكنني أن أحفظ كل شيء تقوله

- التدوين مهم لكن احذر أن تكتب اسمك على المدونة

(عواد): لماذا؟

- أنت تسأل أكثر مما تنصت يا (عواد)..

(عواد): حسناً أعتذر.. تفضل لن أقاطعك

- اكتب في رأس الصفحة «نفس الزهوة»

(عواد): كتبتها..

- خذنا الآن للمريضة وخلال تشخيصي لها دون كل ما سأقوله لك

(عواد) يغلق المدونة ويدير المحرك: حسناً

وصلنا لمنزل الحالة وبعد أن استقبلتنا أمها في مجلس المنزل حضرت الفتاة وجلست معنا وكانت هادئة بوجهٍ مكتئب. تحدثت معها في أمور بعيدة عن حالتها وأسبابها لأن حالتها كانت واضحة منذ أن وصفها لي

(عواد) وكنت فقط أريد التثبت من صدق حدسي برؤيتها فقد كانت تعاني من حالة «عين».

أعرف أن الكثير لا يؤمن بالعين وتأثيرها على الناس لكننا لسنا بصدد مناقشة قناعاتي ضد قناعات غيري الآن..

ودعت الشابة مع أمها وأخبرتهما بأن (عواد) سيعود لاحقاً بالعلاج المناسب. خرجنا من المنزل و(عواد) يتبعني وكنت أرى في وجهه الرغبة الجامحة في السؤال وما أن ركبنا السيارة حتى قلت له: يمكنك أن تسأل..

(عواد): لَمَ لم نعالجها؟

- تشخيص الحالة أهم من العلاج

(عواد): وما هي العلة التي تشكو منها؟

- أخرج المدونة واكتب..

بقينا في السيارة مدة ليست بالقصيرة أمليت فيها على (عواد) كل علامات الإصابة بالعين وطرق علاجها المختلفة حسب تطور الحالة ومصدر الإصابة وبعد الانتهاء قال: بعض الأعراض التي ذكرتها كانت ظاهرة على الفتاة..

- وما العلاج الذي تقترحه لحالتها من بين الطرق التي أخبرتك بها؟

(عواد) وهو ينظر لما خطه بيمينه في المدونة: بما أن العائن غير معروف

والفتاة لا تعاني من كوابيس فأعتقد أن العلاج المناسب لها هو الطريقة الثانية

ابتسمت وأنا أشعر بالرضا قائلاً: نعم بالضبط.. جهز العلاج وأحضره لها غداً وستعافى بإذن الله وأخبر أمها بأن تجعلها تغتسل مع أول أمطار تهطل علينا حتى بعد انتهاء علاجها بفترة وتماثلها للشفاء.

(عواد): ومن سيدفع قيمة مواد العلاج؟.. لا تقل بأننا سنتحملها أيضاً

- لا.. خذ منها قيمة المواد فقط دون أي مبالغ إضافية

(عواد): حسناً.. متى تريد أن نزور الحالة التالية؟

- كم حالة عندك؟

(عواد) مبتسماً: أخبرتك سابقاً أنها بالعشرات

- مع مرور الوقت وامتلاء مدونتك لن تحتاجني كثيراً

(عواد): هناك حالة قريبة من هنا إذا رغبت أن نعرج عليها قبل أن أعيدك للمنزل

- لقد غابت الشمس..

(عواد): هل هذا له علاقة بطرق العلاج؟

ابتسمت قائلاً: لا..

(عواد): إذاً ما المانع من زيارة حالة أخرى؟

- حسناً لا بأس..

أخذني (عواد) لمنزل سيدة كانت تعاني من ألم مستمر في بطنها وتستفرغ كل ما تأكله وكانت تعاني من كوابيس مستمرة وبعد تشخيص سريع لها في حضرة أخيها اتضحت لي الحالة ووجهت (عواد) بإحضار علاجها فوراً قبل أن نرحل لأن حالتها كانت في مراحلها الأخيرة وكانت على وشك الهلاك.

خلال انتظاري لعودة (عواد) بالمواد اللازمة لإعداد العلاج بقيت مع أخيها نتحدث وقال لي: الشيخ (عواد) متغير.. لقد حلق ذقنه ولباسه مختلف..

- (عواد) ليس بشيخ.. منذ متى وهو يزور أختك لعلاجها؟

(الرجل): منذ شهر تقريباً

- وكم كان يتقاضى؟

(الرجل): هو لا يطلب مبلغاً محدداً لكني لا أعطيه أقل من ٥٠٠ ريال في كل زيارة

- صفقة مربحة.. مريض لا يشفى ومعالج يستمر بصرف العلاج..

(الرجل): ماذا تقصد؟

- لا شيء..

(الرجل): هل يمكنني أن أسألك ممَّ تعاني أختي؟

- سحر مأكول..

(الرجل): سحر؟

- نعم وأثره قد استفحل في جسدها..

(الرجل): ومن قام بهذا العمل؟

- المهم أن تتعافى أختك وحساب الفاعل بيد الله

بعد عودة (عواد) بالمواد قمت بإعداد الخليط اللازم لعلاج السحر المأكول وأشرفت على تناول الحالة للجرعة الأولى منه وشرحت لأخيها الأوقات الأخرى التي يجب عليها تناول الخليط فيها حتى ينتهي.

- كم كلفت المواد يا (عواد)؟

(عواد): ٦٠ ريالاً تقريباً

- حاسب الرجل وأنا سأنتظرك بالخارج

بعد خروجنا وسيرنا بالسيارة سألني (عواد) عن الحالة ليقوم بتدوينها في مدونته فأدركت أنه بدأ يتغير وبدأت رغبة التعلم تنمو بداخله فقلت له: لقد حل المساء ألا تشعر بالجوع؟

(عواد): بلى.. أعرف مطعماً ممتازاً قريباً من هنا

- لا.. خذنا لمنزلي وسوف نتناول وجبة العشاء هناك من يد أمي وسأقوم خلالها بشرح كل التفاصيل التي تحتاج معرفتها عن السحر المأكول لكن بعد أن نأكل نحن.

خلال الأشهر التي تبعت ذلك زرنا حالات كثيرة ومتنوعة خاصة بعد أن بدأ الناس يتناقلون خبر ذلك المعالج الذي يعالج بالمجان. أحببت التغير الذي طرأ على (عواد) فقد تحول نهمه للمأل إلى نهم للعلم وامتلأت مدونته واضطر لشراء مدونة أخرى حتى أن قلم الرصاص الذي كتب به بات صغير الحجم ولم يهتم لشراء غيره. مع زيادة علم (عواد) بدأت مرات خروجي معه تقل فقد كنت لا أصاحبه في الحالات ذات الأعراض المتكررة وأتركه كي يعالجها بنفسه ولو حدث أي شيء خارج المألوف يتصل بي هاتفياً ليستشيرني وفي حالات نادرة جدّاً يستلزم الأمر حضوري فمعظم الحالات التي عالجها (عواد) كانت سحراً وعيناً ولم يكن هناك شيء خارج المألوف في الغالب.

انتقلت علاقتي مع (عواد) من علاقة التلميذ بمعلمه للصديق بصديقه فهو لم يكن رجلاً سيئاً في داخله بل على العكس تماماً كان طيب القلب ومرحاً وعلاقته امتدت لعائلتي كذلك فبعد صلاة كل جمعة كنا أنا وأبي وأخي نجتمع على الغداء في منزلنا ومنذ أن تعرفت على (عواد) شاركنا ذلك الاجتماع وأصبح جزءاً من العائلة لدرجة أن أمي كانت تسأل عنه عندما يغيب لفترة تزيد على أسبوع.. يبدو أن امتداحه لطبخها كان مصدر سعادة لها.

أثر (عبيد)

كما أسلفت فعدد مرات خروجي مع (عواد) أخذ بالتناقص يوماً بعد يوم لتكرار الحالات المتشابهة ولم يكن يلجأ إلي إلا للضرورة ومن ضمن تلك المرات هي عندما طُلب لتشخيص حالة امرأة أصيبت بانهيار عصبي بسبب اختفاء ابنها الصغير قبل ثلاثة أيام. لم تكن المرأة تشكو من علة روحانية لذا اكتفى (عواد) بمواساتها والقراءة عليها دون مقابل وبعد الرحيل تواصل معي وطلب مقابلتي على عجالة ورفض الحديث على الهاتف. وصل بسيارته لمنزلي وركبت معه بعد إعلامي بوصوله باتصالٍ سريع دون أن يطرق الباب وما أن ركبت حتى قال: أحتاج مساعدتك في أمرٍ ما وأرجو أن لا تردني.

- ولِمَ أردك؟..هذه ليست أول مرة تطلب فيها مني مساعدتك..

ولِمَ لم تخبرني بما تريد عبر الهاتف؟.. لم يستوجب الأمر حضورك

(عواد): لأن العلاج الذي سأطلبه منك خارج عن المألوف لكني على يقين أنك تستطيع إحضاره

- لا تتحدث بالألغاز وهات ما عندك..

حكى لي (عواد) حكاية المرأة التي فقدت ابنها في أحد الأسواق المزدحمة وكيف أن فقدانها له سبب لها حالة من الحزن والكآبة الشديدة قادتها لحالة نفسية عصبية فقلت له: كان الله في عونها لكن ماذا تريد مني أن أفعل؟

أنا معك منذ مدة وأعرف بأن علمك يتجاوز ما تلقنني إياه وأنك تملك القدرة على إيجاد ابنها بطريقة ما

- عن ماذا تتحدث يا (عواد)؟

لن أطلب منك تعليمي الطريقة ولن أتدخل في شيء لكن أرجوك أعد لها ابنها

- ألم يبلغ أهل الطفل الشرطة؟

(عواد): بلى والبحث جارٍ عنه..

- سيجدونه بإذن الله

(عواد): أرجوك.. ذلك الطفل وحيدها وسوف تموت تلك المرأة قهراً عليه أنا واثق من ذلك!

- وماذا تريد مني أن أفعل؟!

لم يرد (عواد) علي لكنه أخرج قطعة قماشٍ من جيبه ومدها لي قائلاً:

هذا أثر من (عبيد).. أرجوك.. أعرف بأنك تملك علم «القص» ولن أسألك أو أطلب منك تفاصيله لكن لا تدع تلك المرأة تفقد ابنها للأبد

مددت يدي وأخذت قطعة القماش وقلت: وكيف ستفسر إيجادك للطفل؟

(عواد): لا عليك سوف أتحمل أي مسؤولية قد تنجم عن إيجاده حتى لو تعرضت للسجن لكن لا بد أن يعود الطفل لأمه

- ما هذه الرحمة التي نزلت عليك فجأة يا (عواد)؟.. قلتها وأنا أدخل قطعة القماش في جيبي باسماً

(عواد): صدقني لو أنك سمعت نواحها وأنا أقرأ عليها لفهمت السبب..

حدقت أمامي وأنا أراقب مجموعة من الصبية يلعبون الكرة في وسط الشارع وقلت: الفقد مُر ولا أحد يريد دفن ذريته..

(عواد): متى سترد علي؟

ترجلت من السيارة وأنا أقول: لا تغلق هاتفك وتوقع مني اتصالاً خلال ساعة..

أغلقت الباب خلفي وارتسمت على وجه (عواد) ابتسامة لم أرَها من قبل..

علم «القص» الذي ذكره (عواد) علم معروف بين الروحانيين

والسحرة ويعتمد على الجن في إيجاد المفقودين وهو علمٌ مندثر ولا يجيده إلا القليل بالرغم من أنه لا يزال يستخدم إلى اليوم على كافة الأصعدة وأعلى المستويات. هذا العلم منقول وليس مستحدثاً ويعرف بأسماء كثيرة من ضمنها علم «الأثر» أو علم «التابع» وأسماء كثيرة للمضمون نفسه. تاريخ هذا العلم يعود لآلاف السنين ولم يتم تدوينه إلا في المئتي سنة الأخيرة وحتى الكتب التي دونته نادرة جدّاً ولا يمكن إيجادها بسهولة. لحسن أو لسوء حظي.. لا أعرف.. كان (عمار) يملك ثلاثة من تلك الكتب العتيقة وقد قرأتها جميعاً لكني لم أذكر الكثير من تفاصيلها الدقيقة فالبحث بالأثر أنواع ودرجات وإيجاد ذلك الطفل لم يستلزم سوى إحدى تلك الطرائق البسيطة منها وكنت على دراية بها لكن لم أجربها من قبل.

عدت لغرفتي وأخرجت قطعة القماش من جيبي والتي كانت فيما يبدو كيس المخدة الذي كان ينام عليها (عبيد).. أثر جيد وقوي جدّاً.

بالطبع دخلت في جدال وصراع مع نفسي فأنا قد عقدت العزم على عدم قراءة الطلاسم مرة أخرى أو التعامل مع ذلك العالم لكن كون علم «القص» لا يعتمد على طلاسم والتعامل به يكون مع «جن» مسلمين وليس شياطين وجدت أن المسألة على أقل تقدير «خلافية» وقد حسمتها لمصلحة عودة (عبيد) لأمه.

لن أدخل في تفاصيل الطريقة لكن سأتحدث عن النتيجة الناجمة عن تطبيقها وهي أن يُهمس في أذني عن مكان وجود صاحب الأثر وعن ما إذا كان حيّاً أم ميتاً. حصلت على المعلومة بدقة وعن مكان المدينة والمنزل الذي كان (عبيد) موجوداً فيه والحمد لله كان ما زال على قيد الحياة. قدمت ما طلبه ناقل المعلومة له وهذا أيضاً أمر مألوف وهي كالأجرة مقابل العمل لهم وليس قرباناً كما يعتقد البعض.

اتصلت بـ(عواد) وأخبرته بأن (عبيد) موجود في مدينة بعيدة عنا في غرب البلاد وزودته بالعنوان وصفاً وليس بالأرقام فأخبرني بأنه سيتواصل مع الشرطة فوراً.. قاطعت حديثه قبل أن يغلق الخط وقلت: هل حددت كيف ستبرر معرفتك بمكان الطفل؟

(عواد): لا يهم المهم أن يعود لأمه..

مضت أيام بعد حوارنا هذا ولم أتلقَّ أي اتصال من (عواد) لا بشأن الموضوع أو غيره ولا أنكر أني كنت قلقاً قليلاً عليه فما قمنا به لن يُنظر له كفعل خير بنية حسنة بل سيحاسب (عواد) كساحر ومشعوذ. قبل مرور أسبوع كامل على ذلك رأيت اسم ورقم (عواد) يُنير على شاشة هاتفي بعد منتصف الليل فأجبته وقال بصوتٍ مرتاح: لقد عاد (عبيد) لأمه.. شكراً لك

لم أدخل معه في أي تفاصيل عن من كانوا يحتجزون الطفل أو سبب خطفهم له أو ما المبرر الذي قدمه (عواد) للشرطة لتبرير معرفته بمكان (عبيد). كل ما عرفته أن الأمور سارت على ما يرام ولم يصب أحد بضرر وعاود (عواد) ممارسة عمله في العلاج وعدت أنا لروتيني السابق.

العالة في حالة الهالة

هذا الموضوع لا أتحدث فيه أو عنه كثيراً لكني أعيش معه كل يوم ومع كل شخصٍ أقابله أو أتواصل معه بطريقة أو بأخرى وتجنبي الحديث فيه هو لأني لا أعرف الكثير عنه فبالرغم من تأثيره الكبير على حياتي وفيما يبدو حياة (عمار) من قبلي إلا أني لم أقرأ سطراً عنه في كتبه وكل ما أعرف عنه هو ما أخبرني عن طرق تفعيلها وأنواعها وما حصلت عليه من خلال الملاحظة والتجربة اليومية التي لا تزال مستمرة حتى اليوم.

منذ أن فعّل (عمار) هالتي وأنا إنسان مختلف لكن لا أستطيع تحديد كيف.. أشاهد وأسمع الأمور بطريق مختلفة.. أرى الناس حولي من خلال منظار مغاير للسابق.. أعرف عنهم أموراً لا أدري إذا كانت حقيقية أم لا حتى أخبرهم أو أسألهم وأكتشف أني أصيب غالباً. موضوع هالتي المفعلة كبير ومتشعب وحقيقة لا أعرف من أين أبدأ بالحديث عنه لذا قد تجد السطور التالية مشوشة ومربكة وغير مترابطة فلا تستغرب فهذه أفكار رأسي لا أكثر وهي بهذا الشكل دائماً.

تلقيت اتصالاً من (عواد) مساء أحد الأيام يطلب فيه حضوري

لتشخيص حالة واجه معها بعض المشكلات وكما قلت سابقاً فهذا ليس بالأمر الخارج عن المألوف بل يتكرر من وقتٍ لآخر خاصة مع حالات السحر المأكول والموروث. طلبت منه تأجيل الأمر لليوم التالي لكنه أصر على حضوري لأن الحالة في حالة هيجان وهو محرج من أهلها. ركبت سيارتي وتوجهت للمنزل الذي زودني (عواد) بعنوانه ودخلت بعد ما استقبلني عند المدخل وهو في حالة متوترة جدّاً.

- ما الأمر؟.. لمَ استدعيتني

(عواد): هذه الحالة غريبة ولم أستطعِ السيطرة عليها؟

- ما هو تشخيصك المبدئي؟

(عواد): سحر تفريق لكنها عزباء وغير متزوجة لذلك لم أفهم العلة

كانت الحالة لسيدة تجاوزت الأربعين من العمر.. عزباء.. تعمل في قطاع التعليم.. طبيعية جدّاً خلال النهار لكن في الليل تنتابها من وقتٍ لآخر حالات أشبه بالصرع والجنون ولا يتم السيطرة عليها إلا بربطها حتى الصباح حيث تهدأ وتعود لطبيعتها. كنت أستطيع سماع صراخها من مدخل المنزل وأنا أتحدث مع (عواد) المرتبك. وضعت يدي على كتفه وقلت له وأنا أبتسم:

- ما بك؟..لم أرَكَ مرتبكاً هكذا من قبل؟

(عواد) وهو يمسح عرق جبينه: لقد وترتني بصراخها.. هل تصدق أنها حاولت أن تعضني؟

- لا تقلق الأمر هين بإذن الله.. تقدم وأرشدني إليها

الحالة لم تكن صعبة لكنها بالنسبة لـ(عواد) كانت كذلك لأنها أول مرة يواجه فيها نوعاً من السحر يسمى بـ«الأنشوطة» أو «العقدة» وهو سحر مكلف جدّاً ولا يجيده أي ساحر ومن ربط تلك المرأة المسكينة به كان حقّاً يكرهها. بالطبع أسرع طريقة لفك ذلك الربط هو بفك العمل نفسه لكن ولسوء الحظ سحر «الأنشوطة» يمكن دفنه في أي مكان بعيد عن المربوط ويبقى أثره قويّاً لذا كان لا بد من التعامل مع المريض مباشرة. بعد جلسة سريعة مع المريضة بحضور أخيها وإحدى أخواتها زودت (عواد) بالعلاج اللازم وقمت بتهدئة المرأة مؤقتاً بطريقة لن أذكرها. قبل رحيلي أخبرني (عواد) بأن والد المرأة ينتظرني فقلت له مستغرباً: ماذا يريد مني؟

(عواد): لا أعرف لكنه طلب مني إخبارك بأنه يريد مقابلتك

- أنت تعرف بأني لا أحب الاختلاط كثيراً بأهل المرضى.. ألا يمكنك الاعتذار منه؟

(عواد): مقابلة سريعة وأنا سأكون معك وأعدك بأنه لو أطال الحديث فسوف أختلق عذراً كي ترحل

- حسناً.. عشر دقائق كحد أقصى

طلب أهل المريض اللقاء بالمعالج أمر طبيعي جدّاً فبعضهم يريد

شكره شخصيّاً والبعض الآخر يريد أن يُعبر عن امتنانه بالمال الذي أرفضه دائماً بالرغم من أن عيني (عواد) لا تزالان تكادان تخرجان من مكانهما عند رؤيته. كان والد المرأة ينتظرني في المجلس وبالرغم من أن الوقت قد قارب منتصف الليل إلا أن الرجل أعد القهوة والشاي ومن الواضح أنه يخطط لحديثٍ مطول لم أكن أنوي المشاركة فيه لكن ما حدث هو أن الوقت سرقنا فالرجل كان ودوداً وحديثه جميل وبالرغم من محاولات (عواد) لإنهاء الحديث حسب اتفاقي معه إلا أني أنا من كان يطيل الحديث أكثر مع ذلك المسن.

من النادر أن تجد قلوباً جميلة تتحدث معها وذلك الرجل كان من أجمل الناس الذين تحدثت معهم. من ضمن الموضوعات التي تحدث فيها معي هو تفوق جميع أبنائه وبناته دراسيّاً وأنهم ورثوا عنه حرصه على التعليم ونيل الشهادات العليا وأصر على أن أقابل أحد أبنائه الذي تخرج مؤخراً من الثانوية العامة بتفوق.

- يشرفني ذلك لكن أليس الوقت متأخراً؟

(الرجل المسن): لا أبداً هو في الطريق الآن عائد من اجتماعٍ مع أصحابه

- متفوق ويحب السهر.. هذا أمر لا أستطيع فهمه

(الرجل المسن) ضاحكاً: هو الآن يستمتع بإجازة وإلا لما سمحت له بذلك!

(عواد) هامساً في أذني: ماذا حدث للرحيل مبكراً!.. لقد أمضينا ساعة كاملة مع هذا الرجل!

- حسناً سنرحل بمجرد أن يأتي ابنه ونسلم عليه.. قلتها بصوتٍ مسموع لـ(عواد) فقط..

بعد عشر دقائق حضر ابن الرجل وما أن حط بقدمه داخل المجلس حتى أصبت بحالة أقرب تشبيه لها هو الهبوط الحاد في ضغط الدم. كنت على وشك الإغماء.. أحسست بالاختناق ولم أكن أجد النفس وكان لزاماً علي أن أخرج فوراً من المكان وأن أبتعد عن ذلك الفتى بسرعة. بالطبع جهل (عواد) بالحالة التي كنت أمر بها لم يساعدني فقد وقف حائراً مع الرجل وهم يحاولون إسعافي ولم يكونوا يعلمون أن قرب ذلك الفتى مني هو سبب الحالة التي انتابتني فجأة.

نزلت رحمة الله وأمر ذلك الرجل ابنه باحضار كأسٍ من الماء لي مما اضطره للخروج من المجلس على عجالة وهذا ما أعطاني نافذة صغيرة للنهوض بثقل والخروج فوراً من المكان وأنا أبحث عن النفس وجسدي يئن ألماً وكأني ضربت بألف عصا من الخيزران.

ركبت سيارتي وحاولت جاهداً إخراج المفتاح ووضعه في فتحة التشغيل لأني كنت منهكاً جدّاً وكأن صاعقة قد ضربتني للتو وعضلات جسدي التي تنبض ألماً لم تساعدني كذلك.

ركب (عواد) بجانبي وهو يقول بتوتر شديد «ما بك؟!.. ماذا حدث؟!».

استطعت إخراج بضع كلمات من فمي مفادها أني أريد العودة للمنزل بسرعة. سحبني (عواد) لمكانه وخرج وحل محلي في القيادة وأدار المحرك ومع ابتعادنا من المكان بدأت حالتي تتحسن قليلاً وأخبرته بأني أحتاج ماء فتوقف عند محل بقالة وابتاع قارورة كبيرة من الماء البارد شربت بعضها وسكبت قليلاً منها على رأسي.

(عواد) بنبرة عالية ومرتبكة: ما الذي حدث لك؟.. هل تأثرت بسحر تلك المرأة؟!.. كنت أعرف أن ذلك سيحدث يوماً ما!!

أشرت له بيدي بأن يتحرك ويعود بي للمنزل لكنه رفض وقال بصرامة: يجب أن أعرف ما حدث لك!

- هذا ليس وقت الحديث بالموضوع يا (عواد).. قلتها وأنا منهك..

(عواد) وهو يسحب المفاتيح ويطفئ محرك السيارة: لن أتحرك قبل أن أعرف! فقد أصاب أنا بالعلة نفسها!

- هالتك غير مفعلة كي يحدث لك ما حدث لي..

(عواد) باستنكار: ماذا؟!.. هالة؟!.. أي هالة؟!

- هل يمكننا على الأقل الذهاب لمكان آخر للحديث؟

(عواد): مكان مثل أين؟

- مكان يكون الضوء فيه قليلاً..

(عواد) بتعجب: لا يخطر ببالي مكان ليس به ضوء

- نحن في الليل يا (عواد) تصرف.. اركن السيارة في أي مكان يخلو من إضاءة الشارع

(عواد) وهو يدير محرك السيارة: أمرك غريب!

بعد مسافة من السير بالسيارة على طريقٍ يقود لخارج المدينة توقف (عواد) وركن السيارة على قارعة الطريق وقال بتهكم بعد ما أغلق أضواء السيارة بالكامل: هل تريد أن أغطيك أيضاً؟

ابتسمت واعتدلت في جلستي وأكملت شرب ما تبقى في قارورة الماء وقلت: لا.. هذا المكان مناسب لأستعيد توازن هالتي

(عواد): أنت تدرك أني لا أفهم شيئاً مما تقوله الآن أليس كذلك؟

- حسناً اسمع..

(عواد) وهو يمد يده ويخرج مدونته من أسفل مقعده: انتظر سأدون ما ستقول

سحبت المدونة من يده وألقيت بها في المقعد الخلفي وأنا أقول له: لن تدون شيئاً مما سأقوله لك..

(عواد): لماذا؟

- أنصت فحسب..

(عواد): حسناً

- كل إنسان يولد بهالة تحيط به.. طاقة من نوعٍ ما.. تختلف درجاتها من شخصٍ لآخر لأسباب كثيرة وحديثو الولادة غالباً تكون هالتهم في قمتها ولا أعني بذلك قوتها بل أقصى ما يمكنها أن تصل إليه.. هي درجات.. من المتهالكة شبه المعدومة مروراً بالضعيفة والمتوسطة إلى ما فوق المتوسطة والقوية وفي حالات نادرة تصل إلى ما أسميه بالهالة «النجمية» لقوتها والفتى الذي قابلناه للتو هالته «نجمية» خاملة وغير مفعلة

(عواد) بفم مفتوح: حسناً..

ابتسمت لبلاهة شكل (عواد) وضياعه لكن لم ألمه فقد كنت مثله عندما حدثني (عمار) عن الموضوع نفسه أول مرة.. استأنفت حديثي وقلت:

- لو وضعنا المسألة بالأرقام فـ ٨٩٪ من الناس يولدون بهالات متوسطة وأقل من متوسطة ونصفهم يدمرها مع مرور الوقت واتباع بعض العادات والسلوكيات لتصل للحالة الضعيفة أو المتهالكة لأسباب عديدة أغلبها سلوكية.

(عواد): ماذا عن النسب الأخرى؟

- ماذا تقصد؟

(عواد): قلت إن ٨٩٪ منهم أصحاب هالات متوسطة وأقل فماذا عن النسبة المتبقية؟

- أنت منصت بانتباه إذاً؟.. قلت باسماً

(عواد): نعم ماذا كنت تظن؟

- لا أبداً.. النسبة المتبقية توزع كالتالي تقريباً.. ٥,٢٪ يولدون بهالة متهالكة أو ضعيفة من الأساس و٦٪ فوق المتوسطة و٢٪ قوية والـ ٥,٠٪ المتبقية تكون للهالات المفعلة والنجمية.

(عواد): وأنا ما هي قوة هالتي؟

- سأجيبك عندما أنتهي من الحديث

(عواد): كيف تستطيع تحديد قوة هالتي؟

- نظرة واحدة لعينيك تكفيني لأحدد ذلك

(عواد): ماذا كنت تعني بالهالة المشتعلة؟

- تقصد المفعلة..

(عواد): نعم نعم.. لم أفهم تلك الجزئية

- تفعيل الهالة في أي مرحلة يضاعف قوتها تقريباً ويجعلها أقل تأثراً بالمنغصات التي تسحب طاقتها فمثلاً لو تم تفعيل شخص بهالة متوسطة فإنها ستصبح قوية أغلب الوقت لكن لو تم تفعيل

شخص بهالة فوق متوسطة أو قوية فستصبح هالته نجمية على الفور.

(عواد): مثل ذلك الفتى..

- لا.. ذلك الفتى هالته خاملة ولو تم تفعيلها فسيكون أمراً خارقاً للطبيعة

(عواد): وكيف يمكن تفعيل هالة نجمية إذا كنت لا تستطيع الاقتراب منها هكذا؟

- لم أرَ من قبل هالة نجمية في حالتها المفعلة ولا يمكنني تصور الطاقة الناجمة عن تفعيلها لكن نظرياً يمكن لأصحاب الهالات المفعلة الاقتراب منهم ومحاولة تفعيلها لو قاموا بتثبيطها مؤقتاً.. لا أعرف لم أجرب من قبل

(عواد): هل فعلت هالة من قبل من بعد تفعيل هالتك؟

- نعم..

(عواد): من؟.. وكيف يتم تفعيل الهالة؟ وهل أصحاب الهالات المفعلة هم فقط من يستطيعون تفعيل الهالات ؟ ومن يحتاجها؟ ومن..

- لا تحول الموضوع لتحقيق يا (عواد).. أنصت كي تستفيد

(عواد): حسناً..

- أصحاب الهالات الضعيفة وبالرغم من أنهم الأحوج للتفعيل إلا أن تفعيل هالاتهم يستلزم جهداً وطرقاً متعبة لا يصبر عليها الكثير. سهولة تفعيل الهالة تعتمد على قوتها وهي في الحالة الخاملة لذلك كان تفعيل هالتي أمراً لم يتطلب الكثير من الجهد فقد كانت قوية في حالتها الخاملة منذ البداية.

(عواد): ومن فعل هالتك؟

- .. (عمار)..

(عواد): (عمار) من؟

- .. (عواد).. لا تقاطعني..

(عواد): أريد أن أفهم.. كلامك بدل أن يقدم لي إجابات يثير تساؤلات أكثر

- ماذا تريد أن تعرف؟

(عواد): هل لهذا التفعيل فوائد؟.. أقصد.. هل كان له أثر ايجابي على حياتك؟.. أم أنك فقط تصاب بالأغماء فقط من وقتٍ لآخر وتختبئ في الظلام بعدها؟

- معظم الوقت نعم..

(عواد): ستفعل هالتي إذاً؟

- لا بالطبع

(عواد): لماذا؟

- الأمر لا يأتي بلا مقابل ومقابل غالٍ جدّاً ناهيك عن النكسات النفسية والجسدية التي قد تصيب الشخص بعد تفعيل هالته. سأذكر لك بعض وليس «كل» المزايا والعيوب التي تأتي مع الهالة المفعلة مع الأخذ بالعلم أن الهالة الخاملة تمتاز بأنها تقدم المزايا دون العيوب وهي هبة من الله لا يمتاز بها إلا القليل.

(عواد): جيد أريد معرفة ذلك كي أفهم ولو جزء يسير من غرابة تصرفاتك..

- أصحاب الهالات القوية أو النجمية سواء الخاملة أو المفعلة يحظون بالكثير من المزايا النفسية والجسدية وأبرزها قراءة الناس إما من خلال أعينهم أو أحاديثهم أو حركاتهم وسكناتهم ويستطيعون شعوريّاً أو لا شعوريّاً الإحساس بغيرهم بدرجة عالية من الدقة قد تصل لمرحلة التقمص الحسي من مسألة معرفة وتوقع الأمور عن الأشخاص والأحدث

(عواد): لكن لا يعلم الغيب إلا الله وقراءته أمر مستحيل..

- هم لا يقرؤون الغيب لكنهم يستشعرون النوايا والأفكار دون قراءتها بصراحة ونسبة إصابتهم مرتفعة جدّاً ومع الممارسة تصبح تلك النسبة شبه كاملة ومن ضمن هؤلاء الفئات من يجيدون تعبير الأحلام والرؤى دون معرفتهم السبب وبعضهم يصل

إلى مرحلة من التماس مع الغير لدرجة أنه يرى رؤيا عن غيره ويفسرها مع نفسه ليجد أنها تحققت لاحقاً.. نوع من الفراسة الروحانية إن صح التعبير

(عواد): وهل أنت ممن وصلوا لتلك المرحلة المتقدمة من الفراسة الروحانية كما أسميتها؟

- ما رأيك؟

(عواد): هالتك مفعلة لذا فالإجابة غالباً نعم.. لكن كم عددكم؟

- تتحدث عنا وكأننا غرباء من الفضاء

(عواد): في الوقت الحالي هذا ما أشعر به نحوكم

- نظريّاً جميع الناس يمكنهم الوصول لهذه الحالة بالتفعيل لكن المشكلة تكمن في السلبيات اللاحقة لعملية التفعيل

(عواد): وما هي تلك السلبيات؟

- تذكر أن هذه السلبيات لا يعاني منها من هم أصحاب هالة قوية أو نجمية من الأساس في حالة الخمول..

(عواد): نعم نعم فهمت هذه النقطة لكن أخبرني مالسلبيات التي تلحق بعملية تفعيل الهالة؟.. أرجو أن لا يكون أحداها فقدان أحد حواسك الرئيسية

- لا.. أبرز السلبيات هي قلة أو انعدام النوم وكذلك الضيق

عندما تحتك أو تقترب من هالة قوية أو مفعلة أخرى وإذا كانت نجمية تصاب هالتك المفعلة بانهيار كامل

(عواد): مثل ما حدث لك للتو..

- بالضبط.. لذا تجد أن أصحاب الهالات القوية أو المفعلة لا يرتاحون في التجمعات الكبيرة ويتجنبونها قدر الإمكان وأغلبهم لا يعرفون السبب.

(عواد): هل تعرضت لمثل ما تعرضت له الليلة من قبل؟

- نعم أكثر من مرة..

(عواد): وفي كل مرة تمر بنفس ما حدث لك الليلة؟.. نفس الانهيار؟

- لا.. أحياناً تكون أسوأ إذا لم يبتعد عني صاحب الهالة النجمية بسرعة

(عواد): هل تذكر أسوأ حالة تعرضت لها؟

- لماذا تريد الخروج عن الموضوع؟

(عواد): حسناً لا تخبرني.. كنت أريد فقط معرفة أقصى ضرر يمكن أن يصل إليه صاحب الهالة المفعلة

- سأخبرك.. أسوأ حالة مررت بها واستشعرتها بقوة في حضرة هالة أخرى أقوى مني هي عندما كنت ذاهباً للسوق لابتياع أقراط ذهبية لأمي كهدية لها لمناسبة ما. الذهب الأصفر له تأثير

على الهالة لكني لن أتحدث عن ذلك الآن ولن أتحدث عن ما إذا كان ذلك التأثير سلبيّاً أم إيجابيّاً. المهم في الموضوع هو ما حدث لي عندما كنت واقفاً أنتظر الصائغ وهو يقوم بتعليب قرطين من الذهب الأصفر اخترتهما عن بعد بإشارة من أصبعي فقد أصبت بحالة الهبوط حتى أني أذكر تماماً أني انحنيت قليلاً على ركبي من شدة الوهن الذي شعرت به وقتها. تراجعت قليلاً لكرسي كان خلفي وقريباً مني وجلست عليه وأنا أتصبب عرقاً بالرغم من أن المكان مكيف.

(عواد): هالة الصائغ هي السبب.. أليس كذلك؟

- لا.. كنت سأشعر بها فور دخولي للمحل لكن الشعور ظهر فجأة وأنا أتحدث معه

(عواد): غريب.. ماذا كان السبب إذاً؟

- لم أعرف وقتها في الحال وكنت على وشك الإغماء لكن وبعد ثوانٍ من جلوسي رأيت السبب يدخل المحل أمامي.. طفلة صغيرة لم تتجاوز السادسة من العمر تصاحب أمها التي أتت لشراء شيء من محل الذهب.

(عواد) باستغراب: كيف أثرت عليك قبل دخولها المحل؟.. أليس من المفترض أن تكون بجانبك أو قريبة منك على الأقل؟

- هالة تلك الفتاة كانت طاغية وغير طبيعية بالرغم من أنها خاملة وغير مفعلة. كانت أول مرة أشاهد فيها هالة «نجمية» بتلك القوة وتكون قريبة مني بهذا الشكل. لم أستطع الوقوف لفترة واكتفيت بمراقبة تلك الفتاة وهي تلعب في المحل ومع حركتها هالتي تسحب وتنهار.

(عواد): موقف لا تحسد عليه.. وكيف نجوت؟

- مد الصائغ لي من خلف المنضدة علبة الأقراط وهو يقول «تفضل».. لم أستطع الوقوف وأشرت له بأني متعب قليلاً وأريد الراحة والحمد لله أن الرجل تفهم وقام بخدمة تلك السيدة مما عجل برحيلها مع ابنتها وفور خروجهما من المكان بدأت أستعيد عافيتي وقدرتي وبعد أن طلبت بعض الماء من الرجل استطعت النهوض وأخذت غرضي ورحلت وأنا أترنح كالمخمور.

(عواد): أمر عجيب.. لا يمكنني تصور أن مثل هذه الأمور موجودة وتحدث

- ما حدث لي في ذلك المحل أمرٌ ليس خارجاً عن المألوف فالهالات المفعلة تكون هالات مكسورة الحصانة وتأثرها بالهالات الأخرى محسوس جدّاً خاصة الهالات الخاملة الأقوى منها.

(عواد): نعم لاحظت أنك تتجنب التجمعات كثيراً.. كنت أظنك انطوائيّاً وغريب الأطوار فقط..

- عندما يكون صاحب الهالة المفعلة في محفل أو مكان يجتمع فيه عدد كبير من الناس ثق تمام الثقة أنه يعاني ويتألم أحياناً لأن من بين تلك الجموع سيكون هناك شخص بهالة أقوى منه وخاملة وستؤثر عليه وستجده يتصبب عرقاً ولو كان الجو بارداً ويرمش كثيراً وقد يصل الأمر به إلى أن تدمع عيناه من الألم وغالباً لن يطيل البقاء وسيرحل واستعادة توازنه تدريجيّاً تكون بتناول كمية كبيرة من الماء.

(عواد): ما سر الماء وما علاقته بالهالة؟.. لدي شعور بأنه عنصر مهم في هذا المجال

- سأخبرك بعد قليل..

(عواد): تعرف.. لقد قرأت عن هذا الموضوع وسمعت عنه من قبل لكني لم أعره أي انتباه ظناً مني أنها مجرد خرافات

- في الغالب كل ما سمعته غير صحيح واجتهادات خاطئة

(عواد): كيف؟.. أنت بنفسك الأن تؤكدها

- الحديث عن الهالات أصبح موضة مؤخراً وقد انتشرت الكثير من الكتب والمقالات والمحاضرات المرئية والمسموعة التي خاضت في تفاصيل دقيقة وغير صحيحة مثل درجات الهالة وألوانها وطرق تقويتها ونظريات في التأمل و«الشكارا» و«العين الثالثة» ووو.

(عواد): وما رأيك أنت بهذا الكلام؟.. خاصة وأن ماتقوله عن الهالة لايختلف كثيراً عن تلك الأقاويل

- رأيي الشخصي؟.. كلها خزعبلات وهذا العلم من أكثر العلوم غير المطروقة أو المدونة وعلمنا فيه محدود جدّاً جدّاً وقد تحول لمصدر رزق لبعض «النصابين» هذه الأيام. حتى كلامي الذي قلته ولم أقله لك عن الهالة لا أدعي أنه علمٌ مثبت لكنها مجرد ملاحظات شخصية ولا يمكنني أن أعطيها لقب «علم».

(عواد): هل يوجد كتب معينة يمكنك أن تدلني عليها لأستزيد من هذا العلم؟

- الموضوع كبير ومتشعب كما قلت لك يا (عواد) ولايوجد كتب سهلة المنال كي تحصل عليها وتقرأها لكن سأخبرك عن بعض النقاط الأخرى التي تخص الهالة وهي ملاحظاتي الخاصة من مدوناتي الشخصية وليست شيئاً قرأته في كتاب أو علماً نُقلَ لي.. بعضها سأتحدث عنه بالتفصيل والبعض الآخر لن أتحدث عنه مطلقاً ولا تسألني لماذا.. اتفقنا؟

(عواد): موافق.. لكن.. ألا تثق بي كي لاتخبرني؟

- لا علاقة للثقة بعدم افصاحي عن بعض الأمور لك حاول أن تفهم ذلك جيداً.. لنبدأ بسؤالك عن علاقة الهالة بالماء.. منذ صغري وأنا أحب السباحة وأعشق البحر وغرقي فيه مرتين لم

يزدني له إلا حبّاً وولعاً لكن ومنذ أن فعل (عمار) هالتي اهتزت علاقتي بالبحر وبالماء عموماً. شيء ما تغير.. من فعل هالتي كان رجلاً قليل الاستحمام وقد لاحظت ذلك لكن لم أعرف السبب إلا عندما استحممت أول مرة بعد تفعيل هالتي.. صاعقة.. هذا ما يمكنني أن أصف به ما حدث لي وأحسست به.. كان اصطدام الماء بي كتيار كهربائي نفض جسدي وأوقعني أرضاً

(عواد): لهذه الدرجة؟.. لكن لماذا؟

- لماذا؟.. لم أعرف وقتها لكن بعد زيارتي الثانية لمن فعل هالتي تحدثت معه عن الموضوع وأخبرني أن الهالة الحديثة التفعيل لا تتفق مع الماء العذب لفترة طويلة ويجب أن أستبدل بها ماء البحر حتى تستقر وأعود للاستحمام بالماء العذب مرة أخرى. توقعت أن المسألة لن تأخذ وقتاً طويلاً لكن حساسية هالتي للماء العذب تجاوزت العام كنت خلالها لا أستحم إلا بالماء المالح المذاب في حوض الاستحمام والغريب في الأمر أن الماء العذب يصبح بعدها أهم عنصر لإعادة توازن هالتك إذا تعرضت لخلل ما.

(عواد): تفعيل الهالة لم يعد مغرياً بالنسبة لي.. أعتقد أني سأكتفي بما أملك فقط من حواس

- لم أنتهِ.. قلتها مبتسماً

(عواد): كل ماذكرته كفيل بتغيير حياة أي شخص للأسوأ

- بقي أن أخبرك عن تأثير الهالة عندما تتعامل مع الناس..

(عواد): ماذا عنك؟.. هل ينفرون منك؟.. أنت تجيد ذلك ببراعة

- قابلت الكثير ممن يتمنون معرفة ما يدور في خلد من يتحدث إليهم ومدى صدق أحاديثهم وعباراتهم ونواياهم معهم.. صدقني الأمر ليس بالجمال الذي نظن.. أصحاب الهالات المفعلة يملكون قدرة عالية في استشعار الكذب مع من يتحدثون معهم قولاً أو حتى كتابة وزد على ذلك همس الأقران إذا كان المتحدث صاحب هالة ضعيفة أو متهالكة..

(عواد) بتوتر: همس الأقران؟

- تجاهل هذه العبارة لأنها من الأمور التي لن أتحدث عنها بالتفصيل..

(عواد): يكون أفضل.. لكن أنا لا أرى السوء في كشف الكاذب ومعرفة نوايا المتحدث معك.. هذه تعتبر ميزة وليست عيباً.. لا تتصور كم عدد الناس الذين أرغب في معرفة مايجول في خواطرهم وأولهم أنت

- مؤلم يا (عواد) أن تجامل من يهديك عبارات الود وأنت تعلم بأنه لا يكن لك سوى الكره ومؤلم أكثر عندما تضطر أن تهز رأسك لشخص يحاول استغفالك وهو لا يعلم بأن سجله يتلى في أذنك. ستفاجأ من كم النفاق في العالم وندرة أصحاب القلوب النقية..

تلك الندرة التي تدفعني أحياناً لمعانقة أصحابها لاشعوريّاً عندما أقابلهم أو أتحدث معهم ويتحدثون معي. أتهم بأني لا أبتسم كثيراً.. ابتسامتي لم تعد تجد طريقها إلا لهؤلاء الأنقياء فقط والحمد لله أنهم ما زالوا موجودين بالرغم من ندرتهم.

(عواد): وهل أنا من هؤلاء الأنقياء؟

- هل عانقتك من قبل؟

(عواد): كان يمكن أن تجيب بطريقة أقل قسوة من ذلك..

- سأخبرك عن الهالة وعلاقتها بالأمراض

(عواد): هل تسبب الهالة أمراضاً لمن يفعلها؟.. تصورت أنها تزيد من مناعة الشخص اكثر

- ليس تماماً.. تفعيل هالتك لن يمنحك علماً بالأعمار فعلمها عند الله وبيده لكن إحساسك بالخلل الذي يصيب الناس سيرتفع حتى قبل أن ينتقل لأجسادهم وهذا أمر غير مريح.. أخبرتك قبل قليل عن التدليس الذي ذكر ولا يزال يُذكر بخصوص ألوان الهالات.. نعم هناك ألوان لها لكن ليس بالشكل المذكور والمطروح على الساحة والذي وصفه كألوان زاهية تحيط بالشخص كحقل من الطاقة.. لا أبداً.. الأمر مختلف وخلاصته أن هناك مؤشرات ملونة تنبثق بشكل غير منتظم من النفس

البشرية تعطي بعض المؤشرات عن حالته الصحية والجسدية وتفسيراتها لا تزال محدودة بالنسبة لي لكن أعرف تمام المعرفة أن اللون الأسود هو أسوؤها.

(عواد): ماذا يعني اللون الأسود؟

- لننتقل لنقطة أخرى..

(عواد): كالعادة تتهرب من الاجابة على الأسئلة المهمة.. حسناً أكمل..

- النهم..

(عواد): النهم؟.. كل الناس يصابون بالجوع.. هذا أمر طبيعي

- لا أقصد الطعام فقط.. هذا موضوع حساس ولا أعرف كيف أتحدث فيه بأريحية وتفصيل معك وعلى الأرجح لن أفعل أبداً في أي مناسبة لكن موجزه هو أنك بعد تفعيل هالتك ستصاب غالباً بحالة من «النهم» الشديد للأمور التي كنت تحبها سابقاً وهذا يشمل كل شيء.. وتغذية هذا النهم خطرة جدّاً وحرمانه أكثر خطورة لذا سيكون لزاماً عليك مراقبة نفسك دوماً وضبط معايير نهمك كي لا تقع في المشكلات.

(عواد): مشكلات مثل ماذا؟

- مشكلات لا تريد الوقوع بها صدقني..

(عواد): هل أنتهت السلبيات أم أن هناك علل أخرى أسوأ من ذلك؟

- النشاط الذهني الذي سيطرأ بعد تفعيل الهالة..

(عواد): لا يبدو الأمر سيئاً فمن منا لا يريد أن يكون أذكى؟

- هذه الحالة قريبة من حالة «النهم» لكنها تكون حسية وذهنية وليست جسدية فعقلك بعد تفعيل الهالة سينفجر نشاطاً بمعنى الكلمة.. ستشعر بما يشبه العطش الذي لا يمكن لصاحبه أن يرتوي أبداً.. ظمأ غير حميد للتفكير في كل شيء وتحليل كل شيء والكتابة عن كل شيء.. ستتحول لآلة يجب أن تعمل طيلة الأربع والعشرين ساعة بشكل متواصل ولن تكتفي بأي إنجاز تحققه ولن ترضى عنه أبداً.. شيء مرهق ومؤلم أحياناً.

(عواد):...

- نسيت أمراً ما عندما أخبرتك عن علاقة الهالة بالأمراض.. نعم ستصاب ببعض الأمراض..

(عواد): هل هي أمراض خطيرة؟

- البعض قد يعاني من حساسية جسدية تجاه أمورٍ معينة مثل بعض الأطعمة أو المستحضرات أو الأدوية وغيرها من المواد التي تستهلك أو تلامس الجلد وأنا ومنذ ولادتي لم أعانِ شيئاً من هذا القبيل عدا حساسية شديدة لأحد المضادات الحيوية المشهورة

واكتشف أهلي ذلك عندما وصفه لي أحد الأطباء بعد إصابتي بالتهاب بكتيري في صغري لكن وبعد تفعيل هالتي أضيف لقائمة الأشياء التي تسبب الحساسية لي أمور غير اعتيادية تعرضني لخليط من الصداع والغثيان وأحياناً طفح جلدي.

(عواد): أشياء مثل ماذا؟

- بعض المعادن ولن أحدد ما هي وكذلك بدأت أتحسس من الروائح النفاذة والقوية وبعض خامات الأقمشة والجلود.

(عواد): هل هناك شيء آخر تريد أن تضيفه للائحة الموت هذه؟

- لا يمكن أن أذكر لك كل شيء لكن سأخبرك بنقطة أساسية في هذا الموضوع وأعتقد أنك خضت هذا المجال عندما كنت تحتال على الناس

(عواد): قلبك أسود ولاينسى الماضي أبداً

- قوة الذاكرة أحد مزايا الهالة لسوء حظك.. قلتها مبتسماً..

(عواد): ومالذي كنت أمارسه؟.. أو تظن أني مارسته في السابق

- تعبير الرؤى..

(عواد): هذا الموضوع يبدو كبيراً إذا لم يخب ظني..

- سأذكر لك فقط تجربتي الشخصية في الموضوع وأكرر هذه مجرد

ملاحظات لاحظتها ودونتها في مذكراتي الخاصة ولا أدعي انها حقيقة أو علم يستند عليه

(عواد): حسناً أنا متفهم لذلك ولاتقلق لن أحكم عليك كما تفعل معي.. قالها متهكماً

- قبل تفعيل هالتي كانت علاقتي مع الأحلام أو الكوابيس لا تختلف عن علاقة أي شخص طبيعي بها.. كنت أحلم من وقتٍ لآخر وأعاني من كابوس بين الفينة والأخرى ولا شيء خارج المألوف ولم أكن أبحث عن تفسيرات لها أو معنى لفحواها ورموزها.. كنت أعرف بأن بعض الناس لا يحلمون على الإطلاق وكنت مستغرباً من تلك المعلومة وأعلم أيضاً أن بعض الناس تكون أحلامهم ملونة والبعض الآخر بالأبيض والأسود فقط وهذه حقيقة علمية.

(عواد): أنا أحلم بالأبيض والأسود فعلاً ولم أكن أصدق أن هناك من يحلمون بالألوان

- أنا أحلامي كانت ملونة وكوابيسي كذلك وكانت علاقتي بها تنتهي بمجرد الاستيقاظ من النوم ولا ألقي لها بالاً أبداً لكن وبعد تفعيل هالتي وقراءة بعض الكتب من مكتبة من فعل هالتي والتي اختصت في هذا الموضوع تغيرت نظرتي تماماً لها وأدركت أنها «علم» بمعنى الكلمة.

(عواد): ماذا حدث بعد تفعيل هالتك؟

- تفعيل هالتي رفع نسبة رؤيتي للأحلام والكوابيس بحيث أصبحت شبه يومية لكن الاختلاف الحقيقي هو أني بدأت أستطيع ترجمة الرموز في تلك الأحلام ومعرفة مدلولاتها في الواقع ومتى يصبح «الحلم» رؤية ومتى يكون مجرد أضغاث. الكوابيس يمكن أن تكون رؤية فالبعض يخاف من أشياء لا تقع تحت تعريف «كابوس» فيختلط عليه الأمر ولا يدرك أنها رؤية.

(عواد): وكيف كنت تعبر الرؤى؟

موضوع تعبير الرؤى حساس جدّاً ويخلط البعض بينه وبين معرفة علم الغيب والذي هو من علم الله وحده ولا يدركه أحد أبداً لكن للتفريق بينهما سوف أضرب لك مثالاً بسيطاً..

(عواد): أنا منصت..

- عندما تسير في طريقٍ وترى حفرة أمامك وتقف قبل أن تقع فيها وتلتفت خلفك لترى شخصاً يجري بسرعة على الطريق نفسه فهذه هي «الرؤية» وتعبيرها هو أن احتمالية وقوع الشخص في تلك الحفرة عالٍ جدّاً ولم يصل لمرحلة اليقين لأنه لو وصل لليقين تحول لعلم «غيب» وهذا أمر مستحيل على البشر. تحذيرك للشخص من الوقوع في الحفرة ليس ادعاء علم غيب

بل مبني على علم اتضح لك وخفي عليه لا أكثر.. هل اتضح لك الفرق؟

(عواد): نعم.. فهمت.. أعتقد أني فهمت..

- بداية معرفتي بتلك القدرة على تعبير الرؤى لم تأتِ سريعاً واكتشفتها لاحقاً ومتأخراً جدّاً وكان أول من سمعت أحلامهم وفهمت رموزها هي أمي عندما حكت لي عن منام أثار استغرابها وبعد أن أنصت لتفاصيله خرجت بمدلولين رئيسين.. الحلم كان يتضمن تساقطاً للأسنان وبه شخص ميت وهذا يقود لمعنى واحد لن أذكره لك لكنه تحقق بعد يومين للشخص الذي حلمت به أمي ومع تكرار تلك الأمثلة مع أشخاص آخرين لم يكن من السهل تجاهل قدرتي على تعبير الرؤى لذا قررت تجربة تفسيرها لشخصٍ ما والتثبت أكثر لأني لم أكن سأعتمد على ملاحظاتي فقط.

(عواد): وماذا كانت النتيجة؟

- نجحت في المرة الأولى في التفسير.. والمرة الثانية ومعظم الرؤى التي فسرتها بعد ذلك حتى أصبح الأمر مقلقاً لي ومخيفاً لمن حولي فتوقفت نهائيّاً عن تفسير الأحلام ولم أعد إليها

(عواد): لمَ تتخلى عن هبة مثل هذه؟ لو كنت أملك مثلها لجنيت أموالاً كثيرة

- لأن معظم التعبيرات لم تكن أخباراً تسرُّ من يسمعها ولم أكن أقوى على نقلها إليهم ورؤية خيبة الأمل التي تعتريهم جراء سماعها.

(عواد): وكم من خيبة أهديت؟

- كثيراً يا (عواد).. كثيراً.. وأحمل هم كل واحدة منها..

(عواد): لقد أرهقتك بالحديث لكن لا أريد أن تصاب بأغماءة أخرى واضطر لحملك للمنزل

- دعني أختم لك بنقطة أخيرة

(عواد): خواتيمك دائماً ماتكون تعيسة.. تفضل..

- يجب أن أذكر لك الخلل الروحاني الذي يصيب هالة الإنسان سواءً المفعلة أو غيرها وأسبابها العديدة.. ذلك الخلل يقود لعلل صحية كثيرة تتدرج من البسيط العابر للمعقد المنغص للحياة. لا شك أن الحديث عن العلل الجسدية أمر حساس وشائك وربطها بعلل الروح والتوازن الروحي أمر مرفوض للكثير لكن هذا لم يمنعني ولن يمنعني يوماً من الحديث بما أنا مقتنع به دون فرضه على غيري.

(عواد): أنا لن أمنعك..

- كل إنسان يعيش حالة من التوازن الأثيري بغض النظر عن قوة

هالته وأي خلل يصيب ذلك التوازن بسبب المنغصات ينعكس سلباً في الغالب على صحته الجسدية والنفسية بدرجات متفاوتة.

(عواد): منغصات مثل ماذا؟

- الصدمات النفسية مثل الغضب أو الحزن الشديد أو الفزع المفاجئ أو اجتماع بعضها في الوقت نفسه. العمر له تأثير كذلك على نسبة ذلك الخلل ومدى تأثيرها علينا فالصدمات في الصغر تكون ذات تأثير مدمر أكبر وترميمها يكون أصعب.

(عواد): إذاً فالمنغصات نفسية فقط..

- لا.. فنوع التغذية وما نتناوله وماهيته والوضعيات التي نأكل ونشرب بها لها تأثير سلبي أيضاً والتفصيل في ذلك متاهة لكن ما سأقوله لك هو أن الصيام بأنواعه مفيد جدّاً لترميم الهالات كذلك التواصل والاحتكاك بهالات أخرى قوية أو مفعلة إذا كانت هالتك خاملة لذا تجد أن معظم أصحاب الهالات المفعلة يملكون قدرات علاجية عالية وعلى رأس قائمة المعالجين بالطاقة الروحانية أصحاب الهالات «النجمية» فلمسة منهم تحدث الكثير من الترميم والتوازن الروحاني حتى وإن كانوا لا يدركون ذلك.

(عواد): معنى ذلك أن سلامي على ذلك الشاب نفعني لأني خامل وضرك لأنك مفعل

- تماماً.. هيا لنعد لقد تأخر الوقت كثيراً وسرقنا الحديث

(عواد): فعلاً لم ألحظ ذلك.. أشكرك لأنك أخبرتني بكل هذا لكن لِمَ لم تسمح لي بتدوين هذا الكنز؟

- لأنه ليس كنزاً.. إنه لعنة..

(عواد): من حق الناس أن يعرفوا

- ومن حقي أن لا أتحمل مسؤولية الضرر الذي قد يتسبب به لغيري

(عواد): أفهمك.. أخبرني الآن.. ما مدى قوة هالتي؟

خلوة بالخليل

أعادني (عواد) بعد ذلك الحديث المطول عن الهالة للمنزل وقبل أن أنزل من السيارة أخبرته بمدى قوة هالته ولم نفتح ذلك الموضوع مرة أخرى.

مضت أيام لم أخرج فيها من المنزل وهذا أمر طبيعي بالنسبة لي لكن ما لم يكن طبيعيّاً لـ(عواد) هو أني لم أرد على اتصالاته لفترة طويلة.. لا لشيء لكني كنت بحاجة ماسة لعزلة ممتدة أستعيد فيها توازني و(عواد) وقتها قد وصل لمرحلة معي يتفهم فيها ذلك لكن ما لم يتفهمه هي المدة فعزلتي تلك كانت الأطول منذ أن تعرفت عليه وهذا الذي أثار قلقه خاصة وأنه التقى بأخي وأبي جمعتين دون حضوري وأخبراه بأني في عزلة لكنه لم يقتنع واستأذن منهما أن يصعد لغرفتي بالرغم من نصحهما له بعدم القيام بذلك إلا أن إصراره دفع أخي للسماح له بالصعود وطرق الباب علي.

خلال عزلتي لا أحب التواصل مع أحد وأستاء جدّاً ممن يقاطعها دون سبب مقنع.. بالطبع أمي وأبي مستثنيان من هذا الاستياء لذلك

وقبل كل عزلة مطولة أشرح لهما أهمية ما سأقوم به لنفسي وصحتي فيقتنعان أحياناً وأحياناً كثيرة لا.

طرق (عواد) الباب فلم أجبه في المرة الأولى.. طرقه مرة ثانية وهو يقول: هل أنت بالداخل؟

سمعت صوته.. سؤاله الأحمق دفعني للابتسام ولحسن حظه أن عزلتي كانت في أيامها الأخيرة وقد حققت الكثير من الغرض منها ولم أكن صائماً عن الكلام ففتحت له الباب وحدقت به دون أن أتحدث معه فقال بارتباك: هل أزعجتك؟

أشرت له بالدخول وكانت هذه أول مرة يزورني فيها في غرفتي.. دخل وبدأ ينظر حوله بتعجب منها ومن عتمتها ولم أكن مستغرباً من ردة فعله تلك لكني استغربت ما قاله بعد أن استعاد تركيزه.

(عواد): غرفة جميلة..

- أنت أول شخص يصفها بذلك

(عواد): هل تستقبل الكثير فيها؟

- لم يدخلها أحد من قبل عدا قاطني المنزل..

(عواد) مبتسماً: هذه سابقة أعتز بها

- ماذا تريد يا (عواد)؟.. قلتها وأنا أجلس على طرف سريري..

(عواد): آه.. نعم.. كيف حالك؟

- بخير.. الآن.. ما الذي دفعك لاقتحام عزلتي؟

(عواد): هل أنت غاضب مني لأني فعلت؟

- لو كنت غاضباً منك لهذا السبب أو غيره لما كنا نتحدث الآن؟

(عواد): جيد.. أريدك أن تخرج معي

- حالة مستعصية؟

(عواد): لا لا أبداً ليس لدي حالات اليوم ولا غداً.. في الواقع لم أتلقَّ طلباً منذ أيام

- هل تحتاج للمال؟

(عواد) وهو يجلس بجانبي على السرير مبتسماً: لا، الحمد لله ما تعطيني إياه يكفي

حالة (عواد) المادية لم تكن جيدة ولم يملك وظيفة مع أنه خريج جامعي لذا كنت أتفهم محاولته من وقتٍ لآخر إقناعي بأخذ بعض المال من الحالات التي كان يعالجها بالرغم من رفضي المستمر. خشيت بعد فترة من أن يقع ضحية للإغراءات المادية التي كانت تأتيه خاصة من العائلات الغنية التي عالج بعض أفرادها فقررت أن أصرف له راتباً شهريّاً استقطعته من راتبي الخاص ريثما أجد له عملاً يناسب شهادته وتخصصه.

- ماذا تريد إذاً؟

(عواد): أن نخرج..

- لقد أوضحت لي ذلك.. لكن لماذا؟.. وإلى أين؟

(عواد): نحن لا نخرج معاً إلا لزيارة المرضى وأنا أرغب أن نخرج لسبب آخر أيّاً كان

- تقربك هذا يا (عواد) خارج عن المألوف ولم أعتده منك

(عواد) بخيبة أمل: حسناً كما تشاء

- أخبرني بالحقيقة دون تذاكٍ وقد أفكر بالأمر

(عواد): في الحقيقة..

- نعم بالضبط.. الحقيقة.. هذا ما أريده..

(عواد) بتحرج غريب: أريد الزواج..

- أنت مدرك بالطبع أن طلبك وفي هذا المكان بالذات وأنت على سريري غير لائق

(عواد) وهو ينهض عن طرف السرير بتوتر: لا لا أنت لم تفهمني!

- ما بك يا أحمق أنا أمازحك فقط!.. قلتها ضاحكاً..

(عواد) بعبوس: لا تزدْني توتراً أرجوك!

- حسناً.. حسناً.. ومن هي تعيسة الحظ؟

(عواد): لَم تقول ذلك؟

- هات ما عندك يا (عواد) ولا تمسك بكل كلمة تخرج من فمي

(عواد): هل ستتحدث بتلك الطريقة عندما نذهب إليهم؟

- نذهب عند من؟

(عواد): عند أهل من سأخطبها

- وما شأني أنا كي تأخذني معك؟.. خذ أمك أو أباك أو كليهما

(عواد) وهو يجلس بجانبي مرة أخرى ويبتسم بغباء: سأفعل لكن بعد أن تفحصها؟

- .. (عواد)..

(عواد): لا لا.. افهمني..

- أفهم ماذا؟!.. هل ستتزوج أم ستبتاع سيارة؟!

(عواد): أريدك أن تفحصها روحانياً وعن ما إذا كنا نليق بعضنا ببعض؟

- ما هذا الكلام الفارغ؟.. قلتها وأنا أدعك جبيني بأصابعي..

(عواد): لا تقل لي بأن التوافق الروحاني ليس مهماً في العلاقات الزوجية

- وماذا تريد أن أفحص بالضبط؟.. قلتها متهكماً

(عواد): لا أعرف.. ما الذي يفحص عادة في مثل هذه الأمور؟

- لا شيء لأنه لا توجد عادة من الأساس

(عواد): الكثير من الروحانيين يقومون بذلك

- هؤلاء نصابون محترفون لا أكثر

(عواد) بشيء من الخيبة: معنى ذلك أنه لا يوجد فحص

- بلى يوجد..

(عواد) منتشياً: حقّاً؟!.. ما هو؟!.. وكيف أقوم به؟!

- الفحص الطبي للمقبلين على الزواج ويمكنك أن تجده في أي مستشفى أو مستوصف وأنصحك أيضاً بأن تضيف إليه فحصاً عقليّاً لك

(عواد): قل بأنك لا تريد مساعدتي لكن لا تسخر مني

- أساعدك في ماذا؟!.. قلتها وقد بدأت أتوتر من هذا الموضوع..

(عواد): في إجراء فحص لها يخبرني عن مدى صلاحيتها لي

- صلاحيتها؟

(عواد): نعم.. لا أريد أن أرتبط بشخصٍ غير مناسب لي

- صدقني أنها هي المخاطرة بهذا الارتباط.. ثم أخبرني كيف ستتزوج وأنت لا تعمل؟.. أم أنك تنوي الإنفاق على زوجتك من الراتب الذي أصرفه لك؟

(عواد): لا بالطبع.. بعد زواجي منها لن أحتاج للراتب الذي تصرفه لي

- لَمَ أحس أن زواجك هذا مشروع تجاري أكثر من كونه زواجاً؟

(عواد): وما المشكلة؟.. «تنكح المرأة لأربع..

قاطعته وقلت: أعرف الحديث.. وأنت «ستنكحها» لمالها؟

(عواد): نعم وما المشكلة؟

- وهي ستنكحك على ماذا؟

(عواد): ماذا تقصد؟

- لا شيء وعلى أي حال فهمك للحديث خاطئ..

(عواد): إلا هذه.. أنا آخذ منك أشياء كثيرة إلا علم الدين فلا تفتِ فيه أمامي

- سأقولها إبراءً للذمة وأنت وشأنك فيما تفعله.. الحديث معناه أن عادة الناس أن يرغبوا في المرأة ويختاروها لصفات معينة متعارف عليها وهي الجمال والمال والحسب والدين، والأولى أن يكون الدين هدفهم الأول وإذا أضيف إلى الدين الجمال وغيره من الصفات الأخرى فذلك جيد لكن الحث ليس عليها

(عواد): لا أريد أن أدخل معك في نقاش ديني..

- ولا أنا.. هل تريد شيئاً آخر قبل أن ترحل؟

(عواد): من قال بأني سأرحل؟.. ثم أنت لم تحقق لي طلبي كي تسأل إذا كنت أريد شيئاً آخر

- طلبك لا معنى له يا (عواد).. صل صلاة الاستخارة وادعُ الله بالتوفيق والهداية فقط

(عواد) مبتسماً: لم تسألني من هي؟

- تقصد تعيسة الحظ؟

(عواد) وهو لا يزال يبتسم: نعم

- إن لم تكن إحدى قريباتي فلا يهم من تكون ولست ملزماً بنصحها بالابتعاد عنك

(عواد): اسمها (سعاد) وهي غنية جدّاً

- لا حاجة للسؤال عن تدينها إذاً لأني أرى أن سبب النكاح الأساسي حاضر ببالك

(عواد): هل تريد معرفة كيف التقيت بها؟

- في الحقيقة نعم.. أريد معرفة كيف لفتاة غنية مثلها أن تنجذب لشخص مثلك.. ليس انتقاصاً لك يا صديقي.. لكن.. أنت معدم ماديّاً.. ومظاهر التدين خلصناها منك.. والجمال بالرغم من أنه أمر نسبي إلا أنه بالتأكيد ليس في مصلحتك.. فما السر؟

(عواد) مبتسماً: هي أخت إحدى الحالات التي عالجتها وقد أعجبت بقدرتي على علاج حالة أختها المستعصية

- إذاً فهي قد أعجبت بعلمك؟

(عواد): نعم يمكنك قول ذلك

- أنا لست موافقاً على هذا الزواج إذاً

(عواد): ماذا؟!.. لماذا؟!.. قلبي مرتاحٌ لها!

- عندما تجد من يرتاح له قلبك اطلب المشورة من عقلك..

(عواد): وأنا أطلبها منك!

- ألم تأتِ هنا لتسألني عن رأيي؟.. هذا هو رأيي.. هي غير مناسبة لك وليس العكس

(عواد) بخيبة: لكن لماذا؟.. أخبرني بالسبب على الأقل

- لا تهتم للسبب..

(عواد): كيف لا أهتم؟.. أريد معرفة سبب رفضك زواجي منها!

- أنا لا أملك هذا الحق ولا أستطيع منعك بالقوة.. طلبت مشورتي وقدمتها لك.. لست ملزماً بها على الإطلاق

(عواد): بلى أنا ملزم..

- وما الذي يلزمك؟

(عواد): ثقتي بك.. لكن أريد تبريراً عله يخفف من الألم الذي أحس به الآن جراء تراجعي عن قرار الزواج من (سعاد)

- لا تقلق سوف تتجاوز هذه «المحنة» بسهولة وستنساها..

صمت (عواد) وأنزل رأسه بخيبة أمل واضحة.. كنت أعرف أنه لن يقدم على تلك الخطوة دون مباركتي ولم أكن سأقدمها له مهما قال أو حاول إقناعي.. لماذا؟.. لأن ذلك الزواج لم يكن سيبنى على أساسٍ صحيح وسينتهي غالباً بالفشل.. أعرف أن المسألة قسمة ونصيب وما إلى ذلك لكن بعض الأمور تكون بدهية منذ البداية ولو كان اختياره موفقاً لتكفلت أنا بكل مصاريف زواجه حتى وإن كانت من اختارها ليست غنية. تعاملت مع (عواد) كأخ وأهديته الحقيقة المرة قبل أن يتذوقها لاحقاً بنفسه. قد يقول البعض.. وما الضير من التجربة والفشل؟

هذا المبدأ هو أحد أسباب تدمير كثير من حياة الشباب والبنات وضياع مستقبل الكثير من الأطفال.. لن أكرر مقولة «الزواج ليس لعبة» لكنه حقّاً ليس كذلك.

حديث (عواد) معي ذلك اليوم أكد لي أنه لا يزال يملك بعض الرواسب من عقله القديم وحياته السابقة وهذا كان مؤشراً خطراً وجب علي أن أنتبه إليه ولا أغفل عنه لكني لم أفعل.

بعد هذا اللقاء بشهرين تزوج (عواد) من فتاة أسعدته بحق ولم تكن غنية مال لكنها كانت غنية روح وهذا ما كان يحتاجه في حياته.. شخصاً

يحبه لنفسه وسيقف معه في السراء والضراء.. وحتى بعد أن شرح لها حالته المادية الضعيفة زاد تمسكها به وأخبرته بأنها لا تمانع أن تعيش معه في جميع الظروف حتى يفرجها الله عليه.

همس الجدران

يقال إن المعرفة تستلزم وعاءً ملائماً ليحتويها ويستفيد منها بشكل مناسب ولن نختلف على أن طلب العلم حق للجميع لكن الجميع بلا شك ليسوا مستعدين لذلك العلم وتلك المعرفة دائماً.

تلميذي الأول (عواد) كان شخصاً شغوفاً بطبعه ولا يكتفي بالقليل الدائم ويطلب المزيد دوماً وبالرغم من تقنيني للعلم الذي أسكبه في عقله إلا أنني من وقتٍ لآخر أجد نفسي أزوده بعلوم كان من المفترض أن لا أكشفها له لأنه لم يصل للمرحلة العقلية التي تؤهله لهضمها واستيعابها بهدوء دون أن تتضارب مع مبادئه وأفكاره التي كنت متيقناً أن عوالق منها لا تزال عالقةً وقابعةً في مكان ما في رأسه.

من ضمن المواقف التي اصطدمت فيها قيم (عواد) ومبادئه مع العلم الذي كان ينهله مني هي عندما لجأ لي كعادته لمساعدته مع حالة استعصت عليه. اتصل بي (عواد) هاتفيّاً صباح أحد الأيام وأخبرني بأن هناك شخصاً يطلب منه أمراً غريباً وقد. تواصل معي ليستفسر عن

إمكانية حل مشكلته. لم يطلب الرجل علاج حالة مرضية كالمعتاد بل طلب شيئاً آخر.. شيئاً خارج المألوف.

(عواد) عبر الهاتف: هل أخبرك بما يريده هذا الشخص أم أرد عليه بالرفض؟

- صيغة سؤالك تدل على أنك لست مقتنعاً بمساعدته

(عواد): لا أبداً لكني أجهل ما يختص بتطهير المنازل

- تطهير المنازل؟.. نحن لسنا شركة تنظيف يا (عواد)

(عواد): الرجل الذي تواصل معي يقول بأنه يملك منزلاً يريد بيعه ولم يستطع ذلك لأنه مسكون

- البيوت تبنى لتسكن.. قلتها متهكماً..

(عواد): أنت تعرف ما أقصد

- لا يا (عواد) لا أعرف

(عواد) بنبرة غاضبة قليلاً: حسناً إذا كنت تصر على المراوغة فسأتصل بالرجل وأخبره بأننا لا نستطيع مساعدته

- ما بك اليوم؟.. لا تبدو على سجيتك؟.. الأمر لا علاقة له بكلامي أو كلام الرجل.. ما الأمر؟

(عواد) وهو يزفر: لا شيء.. أعتذر لطريقة كلامي السابقة.. لا تقلق سوف أخبره بأنني لا أستطيع حل مشكلته

- لا.. تعال لمنزلي الآن لنتحدث قبل أن ترد عليه

(عواد) وهو يزفر مرة أخرى: حسناً..

بعد نصف ساعة تقريباً من إنهاء الحديث حضر (عواد) لمنزلي واستقبلته عند الباب ولم أطلب منه الدخول بل أشرت إليه بأن يركب سيارته لنتحدث فيها.

(عواد) وهو يقود السيارة مبتعداً عن منزلي ويحدق بالطريق أمامه: أعتذر لأني..

قاطعته وقلت: اسمع.. أعرف بأن الحياة الأسرية قد تمر بتقلبات من وقت لآخر لكن يجب أن تتعلم كيف تفصل بين حياتك الخاصة وحياتك العملية

(عواد): كيف عرفت؟

- الأمر لا يستلزم الكثير كي ألاحظ أنك لم تعد كالسابق من بعد زواجك ولا أقصد أنك أصبحت أسوأ وهذا أمر طبيعي عندما ينقسم تفكيرك واهتمامك بين أمرين لكن لا تسمح لذلك بأن يشوش على تركيزك

(عواد): أعدك بأني سأحاول أن أركز أكثر ولا أقحم مشكلاتي الشخصية في عملنا

- أنا لم أطلب منك ذلك ثم إن هذا مستحيل.. لا تتعامل مع الأمر بتجاهله..

(عواد): حيرتني.. ماذا أفعل إذاً؟

- فقط أدرك أن ما تمر به أمر طبيعي وحاول أن تفصل عواطفك عن عقلك خاصة خلال العمل

(عواد): بالنسبة للعمل.. كنت.. كنت أريد الحديث معك بشأنه..

- هات ما عندك

(عواد): أنت تعلم بأني ما زلت عاطلاً وبعد زواجي زادت مسؤولياتي وكبرت ولا مصدر دخل لي سوى ما تعطيني إياه من راتبك الخاص

- هل تريد أن أزيد لك المخصص الشهري؟.. يمكنني القيام بذلك

(عواد): لا.. لا أريد ذلك.. لا أريد أن تصرف لي مبلغاً من الأساس.. أريد الاعتماد على نفسي

- ومن منعك؟.. ابحث عن عمل

(عواد): أنا أملك عملاً لكنك تمنعني من الاستفادة منه

- ما نقوم به يا (عواد) ليس بهدف المال وأنت تعرف وقد أخبرتك بذلك منذ أول يوم التقينا فيه

(عواد): نعم.. لكن..

- إذا كنت ترى أن العلم الذي أقدمه لك لا يستحق مثل تلك

التضحية فأنا لن أجبرك على الاستمرار ولا تقلق راتبك الشهري لن يتوقف حتى تجد عملاً

(عواد): لم أقصد ذلك..

- انسَ هذا الموضوع الآن فأنا لم أستدعِك كي نتحدث عن حالتك المادية.. أريد معرفة تفاصيل أكثر عن ذلك المنزل الذي تريد «تطهيره» كما تقول.. قلتها بشيء من التهكم

(عواد) وهو يقف عند إشارة ضوئية ملتفتاً إلي: لا داعي للسخرية أخبرتك بأني سأرد على صاحب المنزل بالرفض

قلت مبتسماً: ومن قال بأني أسخر منك؟.. أنا فقط أسخر من عبارتك التي استخدمتها لوصف الحالة.. «تطهير المنزل»..

(عواد): هذا هو المسمى المعروف

- نحن لسنا في فلم يا (عواد) كي تسميها بذلك..

(عواد): ماذا تسميها إذاً؟

- دعك من المسميات الآن وحدثني عن الرجل والمنزل الذي يريد بيعه

فتحت الإشارة الضوئية فتحرك (عواد) وهو يقول: لم آخذ الكثير من المعلومات فكل ما أخبرني به هو ما أخبرتك به سابقاً.. أنه يملك منزلاً يريد بيعه لكنه لا يستطيع لأنه مسكون

- بالطبع لا أظنه يقصد أنه مسكون بمستأجر يرفض الخروج

(عواد) مستأنفاً حديثه وهو ممسكٌ بمقود السيارة محدقاً أمامه: يقول بأنه قام بتأجير المنزل عدة مرات وكل مستأجر لا يقيم فيه أكثر من أسبوع بسبب ما يتعرض له مع أسرته في ذلك المنزل وقد رُفعت عليه عدة قضايا لفسخ عقود الإيجار قبل أوانها وأصبحت سمعة المنزل سيئة ولا أحد يريد الاقتراب منه.. حتى المكاتب العقارية ترفض عرضه.. هذا فقط ما أخبرني به

- هل تعرف الرجل.. أقصد شخصيّاً؟

(عواد): لا لكنه معروف في المجتمع

- ماذا تقصد؟

(عواد): هذا الرجل يملك عدة شركات ومن أعيان البلد

- إذا كان كذلك فلِمَ لا ينسى أمر هذا المنزل؟ لا يبدو أنه سيخسر الكثير من ثروته لو استغنى عنه

(عواد): لا أظن أن مثل هؤلاء الناس أصبحوا أغنياء بالاستغناء عن شيء والدليل أنه بالرغم من ثرائه وعمل عشرات الموظفين عنده إلا أنه هو من تواصل معي وهو من سيقابلنا بنفسه

- صحيح.. هذا النوع من الحرص والمثابرة هو ما يقود للنجاح

(عواد): لكن لا أنكر أني أشاركك الاستغراب في حرصه على هذا المنزل

- سوف نعرف بقية التفاصيل منه عندما نقابله..

(عواد): أفهم من ذلك أنك قد وافقت على مساعدته؟

- وافقت فقط لأنك أنت من يريد ذلك بشدة.. لا تنكر..

(عواد) بتوتر: ماذا؟.. أنا؟.. لا دخل لي بالموضوع هو من..

قاطعته قائلاً: لا بأس يا (عواد) أعرف بأنك تريد أن تنهل من بعض العلوم المتقدمة وطريقتك الغبية هذه لن تنطلي علي.. قلتها وأنا أحدق أمامي مبتسماً..

صمت (عواد) ولم يعلق على كلامي لأنه يعرف بأني أقول الحق وأن شغفه لمعرفة المزيد دفعه للبحث عن حالة غريبة مثل هذه لا تتعلق بالعين أو السحر لأنه متيقن بأني لم أكن لأعطيه أيّاً من العلوم التي تختص بكينونات العالم الآخر بشكل مفصل وبطريقة مباشرة دون وجود سبب وحالة عملية أمامي.

- لِمَ صمت؟ مكتبة أحمد

(عواد): لا أملك شيئاً لأقوله..

- هل حقّاً تريد معرفة المزيد؟.. هل تستطيع تحمل ما سيلقى على مسمعك ويتجلى أمام عينيك؟

(عواد): نعم أنا مستعد.. منذ أول يوم وأنا أريد أن أتعلم وأنت تحجب عني علمك

- أنا أحاول حمايتك.. الأمر ليس بالسهولة التي تظنها

(عواد): هل قمت بالتقصير معك يوماً في أدائي أو استجابتي لأي من تعليماتك؟

- الأمر لا علاقة له بذلك.. هذا العالم ليس للجميع وقد تهتز وتفقد جزءاً من نفسك في ظلامه

(عواد): لن يحدث ذلك.. أنت ستكون معي..

- بالرغم من أن كلامك لا علاقة له بما عنيت لكن سوف أجرب..

(عواد) مبتسماً: حقّاً؟

- نعم.. لكن الأمر يستلزم بعض التفاصيل التي يجب أن أسأل عنها.. أعدني الآن واتفق مع الرجل كي نقابله قبل المغرب أمام منزله

(عواد): حسناً.. شكراً

- على ماذا؟

(عواد): لثقتك بي..

- هذه ليست ثقة يا (عواد).. هذه أمانة سائتمنك عليها وأتمنى أن تكون أهلاً لها

(عواد): لن أخذلك.. هل تريد مني أن أحضر شيئاً عندما نذهب للرجل؟

- فقط بعض الشموع السوداء..

(عواد) باستغراب: شموع سوداء؟

- نعم.. لِمَ أنت مستغرب هكذا؟

(عواد): هذه أول مرة تطلب شيئاً كهذا.. في العادة طلبات العلاج تكون أموراً طبيعية

- نحن لسنا في رحلة علاج هذه المرة يا (عواد)..

قبل صلاة المغرب بساعة تقريباً عاد (عواد) ذلك اليوم وركبت معه وتوجهنا للمنزل «المسكون» كما كان يسميه وعند وصولنا وجدنا صاحبه ينتظرنا داخل سيارته أمام المنزل وما أن رآنا نقترب حتى ترجل من سيارته وبدأ يلوح بيده وكأننا لا نراه.

- ما به صاحبك يلوح لنا هكذا؟

(عواد) مقترباً أكثر بالسيارة من المنزل: إنه ليس صاحبي.. هذه أول مرة أقابله فيها شخصيّاً.. أخبرتك بذلك

- يبدو متحمساً أكثر منك..

(عواد) وهو يوقف السيارة ويطفئ محركها: وقد يكون مرعوباً..

- لنرَ ما هي حكايته إذاً.. قلتها وأنا أترجل من السيارة..

سرنا بضع خطوات نحو الرجل الذي كان يلوح لنا وما أن أصبحنا أمامه حتى مد كفه نحوي وهو يقول: مرحباً سيد (عواد)!

- أنا لست (عواد)..

(الرجل) وهو يوجه كفه نحو (عواد) قائلاً: المعذرة.. أهلاً سيد (عواد)!

(عواد) مصافحاً الرجل بشيء من التوجس: أهلاً..

(الرجل) مشيراً بإبهامه للخلف: هذا هو المنزل.. ما المطلوب مني الآن؟

- نريد منك الإجابة على بعض الأسئلة

(الرجل) بحماس وتوتر غريب: حسناً.. حسناً..

- ما بك؟.. لَمَ أنت غير مستقر هكذا؟

(الرجل) وتوتره يزداد: لا شيء.. تفضل ما هو سؤالك؟

- ما مشكلة المنزل تحديداً؟

(الرجل) وهو يأخذ بضع خطوات مبتعداً عن المنزل ويشير لنا باللحاق به وكأنه يخشى من أن يسمعه أحد: المنزل به مشكلة..

- معلومة مفيدة.. ماذا أيضاً؟

(عواد): نعم نعرف.. أنت قلت بأنه مسكون

(الرجل): نعم.. نعم.. لكن..

- حدثني عن الأمور الغريبة التي تحدث به

(الرجل) وهو يلقي نظرة خاطفة للمنزل خلفه بقلق: إذا كنت سأخبرك عن ما رآه من سكنوا فيه فالقائمة طويلة لكني سأكتفي بإخباركما عن ما رأيته أنا بنفسي

(عواد): حسناً نحن منصتان..

(الرجل): أنا أملك شركة تستثمر في العقارات وقد بنيت هذا المنزل قبل عامين بعد ما اشتريت العقار السابق المقام عليه وقد كان منزلاً قديماً ومتهالكاً ولكون الحي مرغوباً قررت الاستثمار فيه وتشييد منزل أكثر حداثة وتأجيره بقيمة مجزية لكن كل من قام باستئجار المنزل مني لا يستطيع الإقامة فيه أكثر من عدة أيام مدعياً أن أموراً غريبة ومرعبة تحدث لهم داخله فلم أصدق في بادئ الأمر وظننت أنها حجة للتملص من العقد عندما أخبرني بذلك المستأجر الأول وبعد خلافات كثيرة أنهيت تعاقدي معه وأبرمت اتفاقاً جديداً مع شخصٍ آخر وحدث الشيء نفسه معه وبعد تكرار الأمر مع المستأجر الثالث قررت التحقق بنفسي

- ماذا فعلت؟

(الرجل): بت ليلة فيه وليتني لم أفعل

(عواد) بتوتر: لماذا؟.. ما الذي حدث؟

(الرجل) والضيق ظاهر على وجهه وفي نبرة صوته: عندما هممت بالنوم فيه تلك الليلة ألقي في قلبي رعب شديد لم يكن له مبرر في البداية

لكن كل صوت سمعته أرعبني حتى وإن كان طبيعيّاً.. لا أعرف.. الطمأنينة نزعت من صدري فجأة.. بدأت أحس بنسمات باردة تهب في المكان بالرغم من أننا كنا في الصيف.. همسات.. نعم.. بدأت أسمع همسات تأتي من حولي.. من الجدران والسقف..

- ما فحوى تلك الهمسات؟

(الرجل): لم أستطع تمييزها لكني استشعرت بأنها كانت عدائية وغير مرحبة بي

(عواد): هل هذا فقط ما حدث؟

(الرجل): لا.. لقد رأيت.. رأيت أشياء أو أشخاصاً.. لا أعرف.. كانوا يخطفون أمامي ويفتحون ويغلقون الأبواب.. ما حسم المسألة بالنسبة لي ودفعني للهروب من المكان هي الضحكات.. كانت ضحكات غريبة لصوت أغرب.. شيء لم أسمع مثله من قبل.. المنزل مسكون بلا شك

- وماذا تريد منا أن نفعل؟

(الرجل): تخلصا منهم.. من زودني برقم السيد (عواد) أخبرني بأنه معالج بارع في علاج السحر

- ما يحدث في منزلك لا علاقة له بالسحر..

(الرجل): له علاقة بماذا إذاً؟

- اسمع.. سوف نخلصك من هذه المشكلة لكن يجب أن نتفق على المقابل

وجه (عواد) نظره نحوي باستغراب لأنه لم يتعود مني أن أقوم بطلب مقابل لمساعدة أحد..

(الرجل): كم سيكلفني الأمر؟

- لن يكلفك مالاً.. أريد شيئاً آخر

(الرجل): تفضل.. ماذا تريد؟

وضعت يدي على كتف (عواد) وقلت: أن تجد وظيفة لـ(عواد) في إحدى شركاتك إذا خلصناك من مشكلتك

(الرجل) موجهاً نظره لـ(عواد): وما هي مؤهلاته؟

- هل حقّاً ستجري له مقابلة وظيفية الآن؟

(الرجل): لا أبداً.. إذا تخلصتما مما يسكن ذلك المنزل أعدك بأني سأعينه في وظيفة مرموقة بشرط أن يثبت نفسه ولا يتقاعس لأنه تعين بالواسطة

(عواد) بتحرج لي: لا داعي لذلك..

- لنحل مشكلة المنزل أولاً ثم ناقشني في الأمر

(الرجل) وهو يمد مفتاحاً لي: هذا هو مفتاح المنزل.. كم سيستغرق الأمر؟

- يعتمد ذلك على من يقطن منزلك.. قلتها وأنا آخذ المفتاح من يده

(الرجل): ماذا تقصد؟

- لقد قلت بأن منزلك مسكون.. من قصدت أنت بهذا الكلام؟

(الرجل): لا أعرف.. جن ربما.. هل هناك غيرهم؟

- لنتمنَّ أنهم جن وليس شيئاً أسوأ

(الرجل): أسوأ مثل من؟

تجاهلت سؤاله وسرت تجاه المنزل بعد ما أشرت لـ(عواد) بأن يتبعني وقلت للرجل: يمكنك الرحيل الآن وسنتصل بك بعد ما ننتهي..

خلال وقوفنا أمام المنزل ننظر إليه بصمت رُفع أذان صلاة المغرب فقال (عواد): ما رأيك أن نصلي قبل أن ندخل؟

- اقتراح جيد.. قلتها ونظري منصب على نوافذ المنزل..

(عواد): هيا بنا إذاً المسجد قريب من هنا..

- اذهب أنت وسوف أكون بانتظارك بالداخل.. سأترك لك الباب مفتوحاً لكن تثبت من إغلاقه بعد دخولك

(عواد): ألن تصلي؟

- سأصلي في الداخل..

(عواد): الصلاة في المسجد أفضل

- وهل منعتك من الذهاب؟.. قلتها دون أن أحيد بنظري عن المنزل

(عواد): لا ولكن.. أريد أن تحظى بأجر صلاة الجماعة

- ابقَ معي إذاً وصلِّ معي داخل المنزل

(عواد): لكن..

سرت نحو الباب قبل أن يكمل (عواد) حديثه فأنا لم أكن مستعدّاً لخوض نقاش معه عن فضل صلاة الجماعة..

فتحت الباب المقفل وقبل أن أدخل وجدت (عواد) خلفي يهم بالدخول فقلت له: ألن تذهب للمسجد؟

(عواد) مبتسماً: لا.. لا أريد أن أحرمك من فضل الجماعة وسأصلي معك

- حسناً لكن تحقق أنك على طهارة كي لا يضيع الأجر.. قلتها مبتسماً

ضحك (عواد) وهو يغلق الباب لكن ضحكته توقفت عندما ضحك شخص أو شيء آخر معه.. كان صوت الضحكة آتياً من بعيد لكنه في حدود المنزل ولم يكن من الخارج.

(عواد) وهو مرعوب: هل سمعت ما سمعت؟

- نعم.. يبدو أننا لن نضطر للبحث عنهم كثيراً

(عواد) بجزعٍ شديد: نبحث عن من؟!.. من أصدر تلك الضحكات؟!

- ما بك؟.. لَمِ أنت مرعوب هكذا؟.. ألم تكن هذه رغبتك؟

(عواد): رغبتي؟!.. رغبتي في ماذا؟!

- في التعمق في العلم.. قلتها وأنا أسير نحو مدخل المنزل الآخر

(عواد) يلحق بي بخطواتٍ متسارعة ويلتفت حوله يميناً ويساراً: وما علاقة ذلك بما يحدث الآن؟

- أنت مقبل على ما هو أسوأ فكن مستعدّاً..

دخلنا للمنزل وقد كانت جميع الأنوار مغلقة فهم (عواد) بإشعالها لكني منعته وقلت: هل أحضرت الشموع التي طلبتها منك؟

(عواد) وهو يخرج ثلاث شمعات سوداء من جيبه: نعم

- أشعل واحدة واستعن بها لتنير طريقك في المنزل ولا تشعل أيّاً من الأنوار لأي سبب هل تفهم؟

(عواد) بتوتر: لماذا؟

- هذا ليس وقت الجدال يا (عواد) نفذ فقط.. قلتها وأنا آخذ شمعة من يده

أشعل (عواد) الشمعة التي معه بولاعة أخرجها من جيبه..

(عواد) وهو يحمي لهب شمعته بكفه وينظر إلي: ماذا الآن؟

- هل تحتاج أن تتوضأ لنصلي؟

(عواد): حتى لو لم أكن أحتاج لذلك أريد أن أجدد وضوئي

- حسناً.. ابحث عن دورة المياه وتوضأ وأنا سأكون بانتظارك هنا

(عواد): ألا تريد إشعال شمعتك أنت أيضاً؟

- لا.. ليس الآن

بدأ (عواد) يستكشف الغرف في الطابق السفلي بحثاً عن الحمام وبعد بحثٍ قصير مستعيناً بالشمعة السوداء في يده وجد دورة المياه ودخلها وبقيت أنا جالساً في غرفة المعيشة أنتظره. بعد دقائق خرج (عواد) وقال وهو يسير نحوي: هل أنت جاهز؟

- نعم.. أين القبلة؟.. قلتها وأنا أنهض من مكاني..

(عواد) وهو يلتفت حوله ثم يشير لأحد الاتجاهات: أعتقد أنها بهذا الاتجاه

- تعتقد؟

(عواد): لا لا ، أنا واثق

- حسناً أقم الصلاة كي نبدأ بعملنا

نفخ (عواد) لهب الشمعة وأطفأها ثم وضعها في جيبه الأمامي وبدأ في إقامة الصلاة..

بعد ما انتهى أشرت له بأننا سنصلي على السجادة الكبيرة التي توسطت غرفة المعيشة فقال: هل تظن أنها طاهرة؟

- لا تضيع الوقت يا (عواد) وكبر

(عواد): ألن تكون أنت الإمام؟

- ولِمَ لا تؤمنا أنت؟

(عواد): أريد سماع قراءتك

- هل هذا اختبار تلاوة؟.. قلتها بتهكم

(عواد): لا أبداً لكني أريد سماع قراءتك للقرآن فأنا لم أسمعك تقرؤه من قبل

هززت رأسي وأنا أبتسم من تصرفات (عواد) الغبية وكبرت وبدأت بالقراءة بصوت جهوري..

وقف (عواد) على يميني وكبر..

بعد ما انتهيت من قراءة الفاتحة بدأت بقراءة أول سورة «البقرة» عمداً وخلال قراءتي بدأ (عواد) يتحرك وكأنه يقاوم شيئاً ما حتى قطع صلاته وهو يصرخ قائلاً: هناك شيء يشدني للخلف!!

قطعت صلاتي أنا أيضاً وقلت: جيد.. هم جن إذاً

(عواد) وهو مرعوب ويتنفس بثقل: عن ماذا تتحدث؟!.. من الذي شدني؟!

- اسمع.. ليصلِّ كلٌّ منا منفرداً ولنبدأ بسرعة

(عواد): نبدأ في ماذا؟!

تجاهلته وكبرت وصليت وحدي..

انتهيت من صلاتي وسلمت التسليمتين ورأيت أن (عواد) لم يصلِّ بل أشعل شمعته وبقي واقفاً خلفي يحدق بي مرتعباً.

- ماذا تفعل؟.. لَم لم تصلِّ؟

(عواد) بتوتر شديد: كيف أصلي؟!.. هذا المكان ليس آمناً!!

نهضت من مكاني وأخذت الشمعة من يده وقلت: صل وأنا سأقف خلفك لا تقلق..

كبر (عواد) وصلى على عجالة وبدون أي خشوع وبعد أن سلم نهض بسرعة وخطف الشمعة من يدي وهو يقول: هل ستخبرني الآن عن ما يحدث؟!

- ليس هنا.. يجب أن نستكن..

(عواد) بتساؤل: نســ.. ماذا؟

سرت نحو السلالم المؤدية للطابق العلوي و(عواد) المتوتر خلفي وصعدت وبدأت أفتح الغرف واحدة تلو الأخرى وصاحبي المرعوب

يقف ورائي بتلك الشمعة السوداء حتى وجدت ضالتي وقلت: هنا مكان مناسب؟

(عواد) بقلق: مناسب لأي غرض؟

نفخت الشمعة التي كانت بين يديه فصرخ قائلاً: لمَ فعلت ذلك؟!

- حافظ على هدوئك فهذا ليس وقتاً مناسباً لتفقد فيه أعصابك..

مهما حاولت تهدئة (عواد) لم يجِد ذلك نفعاً وكان لا بد أن أجد طريقة مناسبة أخفف بها من توتره قبل أن يواجه الأمر الذي يستحق الخوف بالفعل ويفقد عقله. كان يجب أن أتحدث معه وأشرح له قليلاً مما كان يحدث حوله فالجهل أساس الخوف. دخلنا لتلك الغرفة المظلمة التي اخترتها لخلوها من الأثاث وجلسنا على الأرض مسندين ظهورنا لأحد جدرانها بعد ما أغلقنا بابها وبقينا صامتين لثوانٍ في العتمة حتى تحدث (عواد) في ذلك الظلام الدامس وقال: أرجوك.. قلبي لا يحتمل ما يحدث..

- لم يحدث شيء لتكون بهذه الحالة يا (عواد).. ثم ماذا حدث لرغبتك في تعلم المزيد من العلوم؟

(عواد) بنبرة حانقة وصوت خفيض مكتوم: أي علم؟!.. أنا لم أتعلم شيئاً منذ قدومنا إلى هنا سوى أنواع وألوان الفزع!

ابتسمت في العتمة وقلت: ماذا تريد أن تعرف؟.. تفضل اسأل ما شئت؟

(عواد) بعصبية وبصوتٍ هامس: من شدني خلال الصلاة؟!.. ولِمَ طلبت شموعاً سوداء؟!.. هل هذا سحر؟!.. هل العلم الذي ستلقنني إياه سحر؟!.. إذا كان كذلك فأنا لا أريد تعلمه!.. ولِمَ دخلنا هذه الغرفة؟!

ضحكت.. أضحكتني الحالة التي كان بها (عواد) ولم أجبه..

(عواد): لا تضحك وأجبني!

- الإجابة المختصرة لكل هذه الأسئلة هي أني كنت أريد أن أعرف نوع الكينونة التي تسكن هذا المنزل..

(عواد): كينونة؟

- نعم.. عما إذا كانوا جناً أم شياطين والحمد لله أنهم جن لأن ذلك سيسهل مهمتنا إلى حدٍّ ما

(عواد): هل تعني أن من شدني خلال الصلاة كان من الجن؟!

- نعم ويبدو أنه لم يلحق أن يصلي المغرب وأراد أن يحظى بأجر الجماعة مثلك.. قلتها ممازحاً (عواد)..

(عواد) بعصبية: لا تمزح في مثل هذه الأمور فقلبي لا يزال يدق بسرعة وقد يتوقف في أي لحظة!

- من الواضح أنك لست مستعداً لهذه المرحلة..

(عواد) مستجمعاً نفسه: لا.. لا.. سأصمت

- لا أريدك أن تصمت.. أريدك أن تستوعب..

(عواد): أستوعب ماذا؟

- ما رأيك أن تأخذ فكرة عن الكينونات التي نتعامل معها خلال انتظارنا؟

(عواد) بقلق: انتظارنا ماذا؟

- دعك من ذلك الآن.. أجبني الآن.. هل تعرف الفرق بين الجن والشياطين ومراتبهم؟

(عواد) بنبرة مرتعبة: هل من الضروري أن نتحدث عن هذا الموضوع في هذا المكان المظلم؟

لم أكن أستطيع رؤية ملامح (عواد) وهو يتحدث معي بسبب العتمة لكني كنت أبتسم وأنا أتخيل وجهه المرعوب وقلت: هذا أنسب وقت للحديث عن هذا الموضوع..

(عواد) وأنا أسمعه يبلع ريقه: حسناً.. لا.. لا أعرف الفرق بينهما

- لنبدأ بالجن ومراتبهم حيث إنها الأقل تعقيداً..

(عواد) وهو لا يزال متوتراً: توكل على الله..

ابتسمت وقلت: الجن خلقٌ مؤمنون على العموم مع بعض الاختلافات كما في البشر ومراتبهم تعتمد على العمر أكثر من المكانة فكلما عمرَ الجني أصبحت مكانته أعلى ولكن ليس بالضرورة أن يكون

ذا شأن بين أقرانه فالجن يتبعون النظام القبلي فقط وليس لهم أي تنظيم آخر يجتمعون تحته، فشيخ القبيلة هو أعلى المراتب التي يمكنهم الوصول إليها بين الجن وغالباً يتم تناقلها بالنسب ومن المألوف رؤية جني بعمرٍ صغير يحكم قبيلته من بعد أبيه. الغدر والانقلاب على الشيوخ نادر جدّاً بين الجن فهم يقدرون شيوخهم ومن ينحدر من أنسابهم وقد تجد قبائل تُحكم من النسل نفسه لمئات السنين. انتقال الحكم من نسبٍ لآخر يحدث بالتنازل أو بالاندماج مع قبيلة أخرى ولا تراه يحدث بسبب حرب أو غزو إلا في حالات خاصة ونادرة وظروف ضيقة جدّاً.

(عواد): طيب..

ضحكت وقلت: ما بك؟.. لا تبدو سعيداً كعادتك لتلقي معلومات جديدة

(عواد): وأي سعادة تريد مني الإحساس بها وأنت تقول مثل هذا الكلام وفي هذا المكان؟!

- يجب أن يكون قلبك أقوى من ذلك يا (عواد)..

(عواد): ولِمَ تخبرني عن قبائلهم وشيوخهم وما إلى ذلك؟.. لا أفهم الفائدة من هذه المعلومات

- ستعرف بعد قليل..

(عواد): كل كلمة تخرج من فمك توترني أكثر وأكثر

- أفهم من ذلك أنك لا تريد سماع بقية الكلام عن الشياطين ومراتبهم؟

(عواد): الأمر خرج عن سيطرتي الآن.. تفضل أكمل

- الشياطين كفرة على العموم ولا يؤمنون بأي كتاب سماوي وهم خليط من أعراق منحدرة من شيطانهم الأكبر ومن الجن الذين كفروا وهنا يختلف التصنيف فالشياطين التي تكون من أنساب الجن الكافرة تعامل معاملة مختلفة حتى وإن تناسلت لأجيال كثيرة يبقى نسبها الأصلي للجن عالقاً بها وهي التي تكون في تجمعات قبلية وتحكم بالمشيخة فقط.

(عواد) ونبرة الخوف لاتزال في صوته: ماذا عن الشياطين التي يعود نسبها للشيطان الأكبر كما أسميته؟

- الشياطين التي يعود نسبها للشيطان الأكبر أو ابنته (وله) يعاملون معاملة مختلفة معظم الوقت ويكون لهم السبق والأولية في أي منصب قيادي بين القبائل ومع مرور الوقت قرروا عزل أنفسهم عن طبقة الشيوخ بحمل لقب «الأمراء» وفصلوا أنفسهم في تجمعات قليلة من حيث العدد وكبيرة من حيث المقام لكنهم احتفظوا بمسمى «قبيلة» واستبدلوا بلقب «الشيخ» لقب «أمير» و«ملك».

(عواد): هل تتحدث بجدية أم أنك تحاول السخرية مني لإضاعة الوقت؟

- ولِمَ أسخر منك؟

(عواد): لا أعرف لكن علمك أخذ منحى مختلفاً تماماً

- هل ترغب مني التوقف عن الحديث؟

(عواد) بتوتر: لا.. أكمل.. صمتك الآن سيزيد من توتري وهرطقاتك أفضل من الهدوء المؤلم

- حسناً.. بالرغم من البدايات المتواضعة لهذه التجمعات «الأميرية» إلا أن أعدادها ازدادت مع الوقت واختارت أن تكون لها تجمعات مختلفة وبعيدة عن قبائل الجن والشياطين المعروفة بتجمعها في الوديان والصحاري والجبال واختاروا أماكن لم تعهدها تلك الكينونات من قبل مثل المدن المكتظة بالإنس وشواطئ البحار. هناك تقسيمات أخرى تخص شياطين البحر والجن القاطنين فيه لكن لن نتحدث عن هذا الموضوع الآن.

(عواد) برعب وتهكم: لِمَ لا؟.. أنت فيما يبدو مستمتع بإخافتي بالحديث عن هذه الأمور في هذا المكان الموحش

- لأن الوقت قد حان كي نتفاهم مع من يقطنون في هذا المنزل

(عواد) بتوتر: ألا يوجد طريقة أسهل وأسرع غير ما نقوم به الآن؟

- بلى لكني عاهدت نفسي ألا أعود لتلك الطرق أبداً

(عواد) وهو مرعوب: إذا كانت ستخرجنا من هنا بشكل أسرع فلا تتردد في استخدامها

قلت مبتسماً: حتى وإن كانت مخالفة شرعية يا شيخ (عواد)؟

(عواد): لا تقلق سأزودك بمخرج شرعي مناسب

- ما هو؟.. قلتها وأنا لا أزال أبتسم..

(عواد): لا أحد ينكر أنك مجنون لذا قم بما تريد القيام به بلا تردد ولن يلحق بك أي إثم فليس عليك حرج

ضحكت.. ضحكت بقوة من كلام (عواد) المرتعب وقلت: حسناً توقف عن الكلام الآن لقد حان الوقت..

(عواد) بقلق: وقت ماذا؟

- اسمع يا (عواد).. مهما رأيت الآن فلا تصدر صوتاً هل فهمت؟.. ابقَ صامتاً فقط..

(عواد) بتوتر: ما الذي سيحدث؟!

- مُد لي الولاعة التي معك

مد (عواد) الولاعة في الظلام فمددت يدي وحركتها حتى أمسكت بها وأشعلت الشمعة السوداء التي كانت معي ثم قمت بقلب الشمعة

ليذوب جزء من رأسها على الأرض على هيئة نقاط تراكمت تدريجيّاً لأغرس قاع الشمعة بها وأثبتها أمامنا.

(عواد) وهو يراقب ما أقوم به بتعجب: ماذا تفعل؟

اعتدلت في جلستي وقلت لـ(عواد) وأنا أحدق بلهب الشمعة دون أن ألتفت إليه: يجب أن نحدق بلهب الشمعة دون أن نرمش قدر المستطاع كي نراه..

(عواد) بقلق شديد: نرى من؟!.. كف عن التلاعب بأعصابي!

قلت ونظري لا يزال منصبّاً على لهب الشمعة: لا تتحدث وانظر للشمعة دون أن ترمش..

نفذ (عواد) ما أمرته به وبعد أقل من دقيقة حدث ما كنت أتوقعه وأنتظره فقد خرج من إحدى زوايا الغرفة المظلمة رجلٌ ملتحي بملابس لم تكن من زمننا فشماغه وعقاله وثوبه كانت مثل تلك التي ارتداها أجدادنا قبل مئة سنة وجلس أمام الشمعة وشاركنا التحديق بها بعدماً خلع شماغه كاشفاً عن رأسه الخالي من الشعر. بالطبع لم يمر ما حدث على (عواد) مرور الكرام وكاد يُخرب كل شيء عندما قفز للوراء وكتم صرخة بيده أطلق جزءاً يسيراً منها. بقيت أنا على حالي أحدق بلهب تلك الشمعة مع ذلك الرجل الذي حضر حتى تحدث وقال:

«رمي الرمد لن يعيد غائباً ولن يصرف حاضراً»

أجبته: «هُدم البئر وطُمر، ورحل المسافر بما حمل»

تبسم الرجل وحاد بنظره عن لهب الشمعة ووجهه نحوي وهو يقول: أفصح..

رفعت نظري عن الشمعة السوداء لكني لم أنظر في عينيه بل وجهت نظري للأرض أمامي وقلت: أصحاب المنزل يريدونه..

(الرجل الغريب): لا حق لهم في مسقطنا..

- خذ العوض وارحل..

(الرجل الغريب): لا غريم لدبيبنا على سطحها..

- كم دبة في الدار؟

(الرجل الغريب): نسلي ونسلهم فقط..

- لن ترحلوا إذاً؟

صمت الرجل الغريب واستمر بالتحديق بي لأكثر من دقيقة بصمت وأنا أنظر للأرض أمامي ثم قال: سنهجر البقعة..

اختفى بعدها وأدرت نظري نحو (عواد) الذي كان يحدق بي بأعين دامعة ويده لا تزال على فمه.. ابتسمت وقلت له: هيا بنا لقد انتهينا..

نهض (عواد) وخرج من الغرفة دون أن يقول شيئاً لكني لاحظت أن خوفه تبدل لاستياء وكان من الواضح أنه غاضب لكني تجاهلته ونفخت لهب الشمعة السوداء وأطفأتها ونهضت خلفه. عندما خرجت من باب

المنزل الرئيس كان الوقت قبل العشاء بقليل فأغلقته بالمفتاح واستدرت لأرى (عواد) يقف بعيداً عند السيارة وعندما وصلت إليه وجدته سارحاً بوجهٍ عابس فقلت له: ألن نرحل؟

(عواد) بتجهم وهو يحدق أمامه: ألم يكن تشغيل القرآن في المنزل أولى مما قمت به؟

- هؤلاء جن مسلمون.. هل تعتقد أن كلام الله سيزعجهم؟ حاول أن تستخدم عقلك أكثر يا (عواد)..

(عواد) بغضب: كلام الله أفضل من شعوذتك بتلك الشمعة السوداء!

- هل تعتقد أن استخدامي لتلك الشمعة كان شعوذة؟.. قلتها بهدوء..

(عواد) وهو يصرخ ويوجه نظره نحوي: ماذا يكون غير ذلك؟!.. كنت أظنك مجرد طبيب شعبي أو روحاني يملك بعض العلوم المتقدمة على أكثر تقدير!.. لكن لم أتوقع أنك منغمس في السحر الذي من المفترض أننا نحاربه!

ابتسمت وقلت: أنت لست مستعدّاً يا (عواد).. لست مستعدّاً..

(عواد) بنبرة ساخطة: بالفعل لست مستعدّاً أن أصبح مثلك!

رُفع أذان العشاء وخلاله بقينا ننظر بعضنا لبعض بصمت.. علمت وقتها أن تلميذي الأول قد طوى قيده وقرر أن يقدم استقالته لأنه لم يُطقْ معي صبراً..

عودة (عواد) لعادته

بعد عدة أشهر من البطالة حصل (عواد) أخيراً على وظيفة بعد ما نفذ ذلك الرجل وعده بتعيينه في إحدى شركاته لكن تلك الوظيفة كانت في مدينة أخرى تبعد عن مدينتنا مسيرة ساعتين بالسيارة. كنا جميعاً سعداء لأجله وبالرغم من صدامي معه تلك الليلة بعد خروجنا من المنزل «المسكون» إلا أنه عبر عن حزنه لي ولأهلي لأنه سيبتعد عنا لكنه لم ينقطع عن عادة زيارتنا كل جمعة وتناول الغداء معنا عندما كان يزور مدينتنا لزيارة أهله وأهل زوجته.

لم يتوقف (عواد) عن ممارسة العلاج الروحاني لكن تواصله معي بشأن الحالات المرضية أصبح شبه معدوم لأن عمله في العلاج انتقل معه لتلك المدينة وأنا كنت مسروراً لذلك فلم أكن أريده أن يرتبط بي للأبد في هذا المجال واستقلاله كان أمراً مهماً بالنسبة لي خاصة وأنه لم يكن مؤهلاً أو راغباً بالانتقال للمرحلة الثانية واكتفى بذلك العلم فقط.

خلال عام من بعد تعيينه في تلك المدينة بدأت ألحظ عليه بعض التغيرات في كل مرة كان يزورنا فيها بعد صلاة الجمعة. أشياء بدأت

بسيطة لكني لاحظتها مثل عودته لتربية لحيته وتغييره لسيارته لأكثر من مرة وفي كل مرة تكون سيارته أكثر غلاءً من السابقة. لم أثر الموضوع معه ولم أناقشه حتى قال بشكلٍ عارض وهو يتحدث مع أبي ونحن نحتسي الشاي بعد غداء الجمعة بأنه قد اشترى منزلاً في حي راقٍ جدّاً في مدينته التي انتقل إليها مع زوجته فقلت له بدون تردد وأنا أحدق بقدح الشاي بيدي: من أين أتيت بالمال؟

توتر (عواد) وأجاب باجابة غبية كعادته عندما يُحاصر وقال: من راتبي..

- لقد قلت للتو إنك دفعت قيمة المنزل بالكامل هل راتبك الشهري يتحمل ذلك؟

(أبي): الله يرزق بغير حساب يا بني

- لكن أنا سأحاسب هذا الاستغلالي..

(عواد) بغضب: ماذا تريد مني؟!.. لقد كنت خادماً لك لفترة طويلة ولم أعد بحاجتك الآن!

(أخي) باستغراب: ما الأمر يا (عواد)؟.. لَمَ أنت غاضب؟.. أخي لم يقصد ما قاله

(عواد) وهو ينهض ويوجه كلامه لأخي بسخط: أخوك ساحر! وأنا لا أتشرف بمعرفته!

خرج (عواد) من المجلس بعد ما استأذن من أبي تاركاً الجميع في حالة من الذهول وأنا أبتسم وأراقبه وهو يرحل..

(أخي) بتعجب: ما الحكاية؟

- لا يوجد حكاية.. مرحلة وانتهت..

(أبي) بقلق: ماذا كان يقصد بكلمة ساحر يا بني؟

قلت مبتسماً: ربما قصد ملامحي التي ورثتها عنك

(أبي) وهو يبادلني الابتسام: هداكم الله جميعاً..

(أخي): لعله شرٌّ أبعده الله عنك..

- ليس كل من يبعده الله عنك كان شرّاً لك فلربما كنت أنت الشر الذي أبعده الله عنه

(أخي): ماذا تقصد؟

أشرت لأخي بأن يتبعني للخارج لأتحدث معه. خرجنا لفناء المنزل وقبل أن أتحدث قال: ما به (عواد)؟ لَمَ انفجر غضباً هكذا؟

- دعك منه الآن أريد الحديث معك بأمرٍ آخر

(أخي): ما هو؟

- ما بها أمي؟

(أخي): أمي؟.. ماذا تقصد؟

- لقد دخلت عليها أكثر من مرة هذا الأسبوع ورأيتها تبكي

(أخي): لا أعرف لم ألاحظ ذلك.. هل جربت سؤالها؟

- أنت تعرف أمي.. لن تخبرنا بما يضايقها مهما فعلنا

(أخي): لِمَ لا تجرب سؤال أبي؟

- لا.. لا أريد أن أقلقه ولا أظن أن له علاقة بالموضوع

(أخي): لقد أقلقتني أنا بكلامك..

- انسَ الموضوع لقد سألتك فقط قبل أن أتصرف

(أخي): تتصرف؟.. ماذا تنوي أن تفعل؟

- لدي حدس وأتمنى أن لا يصدق لكن على أي حال لا تثر الموضوع مع أحد وخصوصاً أبي وأمي

(أخي): حسناً..

مساء ذلك اليوم قررت الجلوس مع أمي والحديث معها بشكل اعتيادي ومحاولة جر الموضوع نحو سبب بكائها المتكرر خاصة أول الصباح بعد ما تستيقظ من النوم فقد كنت أخشى شيئاً وللأسف صح توقعي.

تعليمي لـ(عواد) تلك العلوم الخاصة بعلاج السحر على مدى الشهور الماضية كان سيثير سخط أحد من العالم الآخر وكنت على يقين

من ذلك لكني لم أهتم كثيراً لأنهم لن يتعرضوا لي بشكل مباشر خاصة بعد توقفي عن قراءة طلاسمهم وسد جميع الثغرات في حصانتي بممارسات أعرفها جيداً ونسبة تعرضهم لأحد من أفراد عائلتي أمرٌ مستبعد جدّاً لكنه حدث فكما أخبرتني أمي بعد تجاذب الحديث معها أن سبب بكائها هو أن جدي يزورها كل ليلة في المنام ويوبخها كثيراً ويلومها على أمورٍ لم تفعلها لذا شعرت بالضيق الشديد لذلك التوبيخ من شخصٍ أحبته كثيراً وكان راضياً عنها طيلة فترة حياته. تعبير الرؤيا التي سردتها علي أمي لم يكن مطمئناً فقد كانت فيه رسالة واضحة بأن تلك المضايقات ستستمر وتتطور لأمرٍ أسوأ بكثير.

عندما تمسكني من يدي التي تؤلمني لا تتوقع أني سأخضع لك بل سوف أقبض الأخرى وأوجهها بين عينيك.. أمي كانت وما زالت خطّاً أحمر..

الطين والنار

وعدت أمي تلك الليلة بأن تلك الكوابيس لن تزورها مرة أخرى وأنها مجرد أضغاث أحلام وجدي رحمه الله يحبها وأن ما رأته لم يكن سوى من عمل الشيطان. ابتسمت لي وآلمني أني لم أرَ تلك الثقة في كلامي التي كنت أراها دائماً في عينيها مما زاد من سخطي على من كان يعبث بها وبثقتها بي.

صعدت لغرفتي وأغلقت الباب خلفي وفتحت صندوقاً لم أظن يوماً أني سأفتحه مرة أخرى. صندوقاً كان لا بد أن أتخلص منه عندما هجرت ذلك العالم.. لكني لم أفعل. احتوى الصندوق على كتبٍ من مكتبة (عمار) أهداها لي قبل رحيلي من منزله أول مرة وقد أخذتها مجاملة له بالرغم من أني قرأتها سابقاً في مكتبته لكنه وكما قال «إذا كنت لن تستخدمها فاعتبرها ذكرى مني..»

لقبوني بما تشاؤون.. ساحر.. مشعوذ.. دجال.. لقد تجاوزت مرحلة التأثر بالتصنيف وعقلي كان قد فسد وانتهى الأمر وهؤلاء الأوغاد لم يكونوا ليتركوني وشأني مهما فعلت لذا أخذت كتاب «البيدق» بين يدي

وأمعنت النظر فيه لثوانٍ وأنا أتذكر حالتي عندما قرأته أول مرة. كتاب مظلم يفتح أبواب الشر على كل من يقرؤه وأبواب جهنم لكل من يردد طلاسمه لكنه يمنح تذكرة عبور للسؤال والمفاوضة وهذا ما كنت أريد الحصول عليه.

قرأت الطلسم الخاص باستدعاء نوع من الشياطين يعرفون بـ«المغاتير» وهم من قبيلة اختصت باستراق السمع في الماضي والاتصال بهم له تبعات سيئة لمن لا يجيد التعامل معهم ومع مراوغاتهم. بعد قراءتي للطلسم حضر الشيطان في الغرفة ولكنه لم يتشكل أمامي وقد تيقنت من حضوره من النسمات الباردة التي هبت فجأة في المكان. الشيطان غالباً يختبر من يستدعيه ويحاول إثارة الخوف فيه لخلق ثغرات في حصانته ليمسه ولكني لم أترك له تلك الفرصة وبدأت أخاطبه وآمره بالتشكل. لم يستجب في بادئ الأمر فكررت طلبي وبدأت أسرد عليه أسماء شيوخ قبيلته فعلم أني لست جاهلاً به فتشكل في الحال وقال:

«طين أم نار؟»

هذا السؤال الغرض منه معرفة نوع المعلومة التي أبحث عنها.. هل هي عن بشر من طين أو شيطان من نار. سؤالي كان عن من يؤذي أمي بالكوابيس لذلك قلت له: طين.. منبتي.. من يهيم فوقها؟ ومن أرسله؟

(شيطان المغاتير): من يريد عودتك..

- ومن يريد عودتي؟

(شيطان المغاتير): طين..

- بشر؟.. من هو؟

(شيطان المغاتير):.. «الكف الأبيض»..

كنت أعرف صاحب هذا الاسم.. ساحر.. يقيم شمال الجزيرة. كانت أول مرة سمعت عنه فيها عندما كان (عمار) يسرد علي أبرز السحرة في المنطقة العربية عندما سألته عمّا إذا كان هناك سحرة آخرون مثله وبعلمه نفسه.

- وماذا يريد مني تحديداً؟

(شيطان المغاتير): هذا علم لا أستطيع البوح به

- ستبوح به..

(شيطان المغاتير): الأمر لصاحب الأمر وهو أعلى منك رتبة..

- وما أدراك برتبتي؟

(شيطان المغاتير): «المغاتير» لا يستعين بهم إلا من هم أدنى من المستشارين.. «الكف الأبيض» مستشار وأنت لست كذلك..

ما لم يكن يعرفه ذلك الشيطان بالرغم من علمه المسروق أني قد نُصبت في منصبٍ أعلى من ذلك منذ زمن طويل خلال الفترة التي قضيتها مع قبيلة (جسار) ولكن استعانتي به كانت كي لا ألفت الأنظار نحوي فكلما زادت رتب من أستحضرهم انتشر خبري أكثر عن طريق

المدونين وهذا ما لم أكن أريده وقتها لأنها كانت ستكون بمثابة الإعلان عن عودتي لذلك العالم وأخبار «المغاتير» لا تدون إلا عند قبائلهم فقط وعلمهم محدود فيما يختص بالمراتب الأعلى من المستشارين لذا قررت إنهاء الحديث معه وقلت:

- حسناً انصرف..

انصرف الشيطان ولم أستفد منه سوى معرفة من المتسبب بكوابيس أمي وعلمت أيضاً أن ما كان يقوم به مجرد تحذير بسيط للفت انتباهي وقد نجح. كنت مخيراً بين أمرين.. محاولة علاج وتحصين أمي وتجاهل (الكف الأبيض) أو زيارته ومعرفة ما يريده مني بالضبط وهو في الغالب دعوتي للعودة ضمن صفوفهم والعمل من بلدي كمندوب لهم. علاج أمي لم يكن سيدوم إذا زاد ذلك الساحر من قوة هجماته عليها ولم أكن سأخاطر بذلك. ومسألة عملي عنده أو حتى معه لم أكن سأستسيغها لاحتقاري له ولأمثاله لذا قررت أن أرسل له ولغيره من سحرة الطين رسالة واضحة وصريحة.

أخرجت من الصندوق كتاب «(العهد») الذي استخدمته لتسخير (جسار) زعيم قبيلة «الكثبان» فهذا الكتاب هو الوحيد من نوعه ولم يكتب (عمار) غيره وقد أخذته معي في الفترة التي عدت فيها لبلادي بعد هزيمة (ملاس) على يد (جسار). الكتاب حوى في معظمه طلاسم تسخير لشيوخ وقبائل الجن والشياطين والتعامل معه خطر جداً لأن أي

تسخير أو تقييد لشيطان برتبة عالية سيعتبر مهانة وسيثير قبيلته كلها علي وسأدخل في متاهة جديدة.

قد يستغرب البعض لكني لم أقرأ الكتاب بالكامل منذ أن عدت به في الماضي فلم يكن لذلك حاجة عندي واحتفاظي به كان لقيمته المعنوية فقط لكن بعد أن قررت التعامل مع ساحر مثل «الكف الأبيض» اضطررت لقراءته بحثاً عن وسيلة لردعه ووجدتها. الحل كان بتسخير شيخ قبيلة تعرف بـ«المراجيم» وهم قبيلة مختلطة من الجن والشياطين يستعين بهم السحرة لإيذاء الناس وقتلهم أحياناً فهم كالقتلة المأجورين ولا يحملون ولاءً لأحد ولا أحد من القبائل الأخرى تدين لها بأي عهد أو حماية لذا كانت السيطرة على شيخهم بمثابة السيطرة على القبيلة بأكملها لكن المشكلة تكمن في أنني لا أستطيع تحريره أبداً لأني لو فعلت فسيقتص مني مباشرة ولن أستطيع ردع قبيلته بالكامل من إيذائي وإيذاء أهلي.

الطلسم لم يكن سيعطي أي أثر إلا على شيخ القبيلة فقط ولو مات لأي سبب ينتقض العهد ولا ينتقل لمن سيرثه لكن كون أعمار الشياطين تمتد لمئات السنين لم يكن هذا الأمر مصدر قلق لي وقتها.

لم أكن سأحاول تسخير شيخهم والذي عُرف بـ(غيبان) في منزلي فالأمر ليس بتلك السهولة ومن المؤكد أنه سيصرخ ويعوي كما يفعل كل شيخ أو سيد يتم ربطه. تسخير شيوخ الجن والشياطين يتم بالإقناع خلال تقييدهم وفرض قوتك عليهم لذا يجب أن تختار من تقيد بعناية فبعضهم

تأخذه العزة بالإثم ويفضل الموت على أن ينصاع لبشر فـ(جسار) لو لم يكن موافقاً على تسخيره لما استطعت ذلك حتى مع طلسم الربط في كتاب «(العهد») فهو من أرشدني على الكتاب وطلب مني تسخيره لإنقاذ أخته (جند) من (ملاس) وهذا سبب تجاوبه السريع معي وقبوله طوعاً بالخضوع والتسليم لي.

أخذت إجازة من عملي لمدة ثلاثة أيام وأخبرت أهلي أني ذاهب مع أصدقائي في رحلة خلوية وهذا أمرٌ طبيعي أقوم به من وقتٍ لآخر. اختيار المكان كان مهماً فأنا لا أعرف كم المدة التي سأحتاجها لتسخير هذا الشيطان خاصة وأنه يقود قبيلة من المتمردين ولا شك أنه عنيد وسيقاوم كثيراً فقد تتراوح بين ساعة إلى أيام على حسب مقاومته. خرجت بسيارتي للصحراء وأشعلت ناراً في المساء وبقيت أستمتع بجمال المكان والسماء وأنا أحتسي بعض الشاي الذي أحضرته معي حتى انتصف الليل ثم قرأت الطلسم الخاص بتحضير وتقييد شيخ قبيلة «المراجيم» وحرصت أن لا أحضر كتاب «(العهد») معي وحفظت الطلسم عن ظهر قلب وبالفعل ما أن انتهيت من الطلسم حتى تحركت ألسنة لهب النار التي أشعلتها سابقاً بقوة عم بعدها هدوء غريب. انتظرت حدوث شيء لكن طال الهدوء ولم تأتِ العاصفة. اعتقدت بعد مرور مدة من قراءتي للطلسم أني أخطأت بشيء ما لكن فجأة وقبل أن أراجع نفسي ظهر أمامي بعيرٌ أسود يتقلب ويصرخ على الرمال فعلمت أن شيخ «المراجيم» قد حضر.

اقتربت منه وبدأت بالتحدث معه بصيغة سيادية آمرة لكنه لم يرد أو يستجبْ لي وبقي يتلوى على الأرض ويصرخ بصوت بعير.

جلست أمامه بهدوء وبدأت أتحدث معه وأخبره بأني أعرف من يكون وأنا من حضره وقيده وهو الآن تحت سيطرتي لكنه استمر بالتظاهر بأنه بعير طبيعي لأنه لم يكن مستوعباً ما يحدث له وكيف أتى لهذا المكان بتلك الحالة. كنت متوقعاً هذا النكران من شيخ قبيلة كبيرة مثل «المراجيم» لذا نهضت وبدأت بتسخين سيخ حديدي أحضرته معي في النار. مع احمرار طرف السيخ سرت عائداً نحو البعير الأسود وحدث ما كنت أتوقعه فقد توقف فجأة عن الصراخ والحركة ولف عنقه الطويل باتجاهي وقال بصوتٍ بشري: إياك أن تمسني بتلك النار..

ابتسمت ورميت السيخ جانباً وقلت: جيد يمكننا الحديث الآن يا شيخ (غيبان)..

(غيبان): أي ساحر مجنون يربط شيخ الـ«مراجيم» ؟

- أنا لست بساحر..

(غيبان): من أنت يا طين؟

- أنا (خوف)..

(غيبان): الخوف هو أقل ما سيصيبك وسيصيب قبيلتك بأكملها عندما أتحرر..

- حسناً كي لا نضيع الوقت بتهديدات فارغة.. أريدك أن تقوم بأمر ما لي..

الشياطين تهاب الثقة لذلك شيخ «المراجيم» لم يقاوم كثيراً واستوعب بسرعة أنه تحت سيطرتي ورؤيته لذلك السيخ أكدتِ له أنه يتعامل مع شخصٍ يعرف ما يخيفهم ويؤذيهم فقال بهدوء: ماذا تريد؟

جلست أمامه وقلت: هل تعرف ساحرًا باسم «الكف الأبيض»؟

(غيبان): نعم.. نتعامل معه.. «ساحر النهرين» هو لقبه الآخر..

- ستوقفون التعامل معه وستمنعون غيركم من التعامل معه أيضاً ومع أي ساحر في منطقته

(غيبان): أنا أفترض أنك تعرف قوانيننا.. مثل هذا الأمر سنعاقب عليه..

- من سيعاقبك؟

(غيبان): القبائل الأخرى..

- أنتم قبيلة منشقة ولا تأبهون للقبائل الأخرى..

(غيبان): ولِمَ أقوم بذلك؟.. من أنت كي أنفذ أمرك؟

- بعد ما تعاهدني على الولاء لن تحتاج سبباً..

(غيبان) بهدوء: اقتلني..

- هل أنت مستعد لآخرتك؟

(غيبان): هل أنت مستعد لها يا ابن آدم؟

نهضت ووقفت أمام شيخ «المراجيم» وقلت: لا تلعب هذه اللعبة معي وعاهدني الآن وإلا أرسلتك لآخر مكان تريد الذهاب إليه أيها المُعمر..

حرك (غيبان) عنقه الطويلة وقَبَّلَ الرمال بين أقدامي وهي إشارة صريحة لخضوعه تحت إمرتي. حللت رباطه بطلسم آخر فنهض وبدأ بالسير نحو النار وعندما وصل للهبها المشتعل نفَخ عليها وأطفأها وبدأ يأكل جمرها المتقد بصمت. سرت عائداً نحو سيارتي بعد ما أخذت الحصيرة وحافظة الشاي اللتين أحضرتهما معي وعدت للبيت.

وصلت قبل الفجر ولم أتوقع أن أجد أحداً مستيقظاً في تلك الساعة ولكني وجدت أمي وحدها في غرفة المعيشة تجلس بهدوء وعندما رأتني قالت: لقد عدت باكراً من رحلتك..

- لِمَ أنتِ مستيقظة يا أمي في هذا الوقت؟.. قلتها وأنا أجلس بجانبها..

(أمي): لا شيء.. فقط لم أشعر بالنعاس..

- لا تقلقي ستنتهي تلك الكوابيس قريباً أعدك بذلك..

رُفع الأذان لصلاة الفجر ونهضت أمي لتؤدي الصلاة وصعدت أنا لغرفتي..

للإجابة على السؤال الذي خطر ببال «البعض» للتو وهو «هل صليت؟».. نعم صليت.. ونعم قد يقال إنه تناقض أو إن هذه الصلاة لن تقبل ولا نفع منها ولكن أنصح بتجاوز هذه المرحلة من الوصاية على الناس.

مضت الأيام ولم أكن أعرف ما إذا كان شيخ «المراجيم» قد نفذ ما أمرته به لكنني لاحظت تحسناً في مزاج أمي وأنها بدأت تنام بلا قلق وتحققت من ذلك بعد سؤالها وإخبارها لي بأنها لم تعد تشاهد أي منامات مزعجة.

عادت كتب (عمار) للصندوق وعدت معها لحياتي الروتينية مرة أخرى وكنت مستمتعاً بها دون منغصات تُذكر بالرغم من أن فكرة ارتباط شيخ «المراجيم» بي كانت تضايقني من وقتٍ لآخر لأنها صلة ما زالت تربطني بذلك العالم ولا أستطيع التخلص منها دون تعريض نفسي وأهلي للخطر لذا حاولت تجاهلها كلما طرأت على بالي وكنت على يقين أن (غيبان) لن يتركني وشأني وسيحاول بطريقة ما تحرير نفسه من قبضتي ليقتص مني.

المُطَوّعة

حلت إجازة الصيف بما تحمله من فترة هدوء أعشقها فعزلتي هي أكثر عادة أقدسها لدرجة أنني خلال الإجازات الصيفية لا أتردد كثيراً على أصحابي في المساء لأن ربط الليل بالنهار في ممارسة العزلة والصيام من الأمور التي من النادر جدّاً أن أجد لها وقتاً بدون إزعاج. تواصلي البشري في تلك الفترة كان مقصوراً على أهلي فقط خاصة مع من يبذل عناء الصعود لغرفتي ذات الجدران السوداء المصمتة. دخلت أمي علي عصر أحد تلك الأيام التي كنت فيها منعزلاً وصائماً عن الحديث مع الناس والطعام فقط دون الماء وفي يدها مبخرٌ مشتعل وبدأت تُبخر المكان وأنا على سريري أراقبها بصمت ممسكاً كتاباً بين يدي. تحدثت مع نفسها وأخذت تتذمر من بشاعة غرفتي كعادتها وترتب المكان خلال عملية التبخير وأنا صامت ولا أرد كي لا أكسر صيامي. عندما وجهت أمي الحديث لي حاولت جاهداً أن أجيبها بالإيماءت لكن إصرارها علي بالرد دفعني لكسر الصيام والقول مبتسماً: ماذا تفعلين يا أمي؟

(أمي): أبخر غرفتك التي لا يدخلها الهواء.. لا أفهم لمَ جعلتها

هكذا؟ طمست النوافذ ومنعت دخول نور الشمس إليها وحولتها إلى قبر

- هل سنتناقش في الأمر مرة أخرى؟.. كان حديثي معها دائماً بابتسام دون عبوس أو تجهم..

(أمي): البخور سيطرد الشرور من الغرفة..

- في الواقع لم يثبت علميّاً أو شرعيّاً أن البخور له تأثير إيجابي بل على العكس تماماً يا أمي.. الشيء الوحيد الذي قد تطردينه من هنا هو أنا لأني بدأت أحس بالاختناق..

(أمي): أريد الحديث معك في موضوع.. قالتها وهي لا تزال ترتب المكان بعد أن وضعت المبخر على المنضدة..

- أعرف الموضوع فأنتِ لا تثيرينه إلا مع إشعال البخور خاصة كل جمعة..

(أمي): وما مشكلتك مع هذا الموضوع؟.. ما الذي يمنعك؟

لم أجب عليها ونهضت من فراشي وقبلت رأسها وخرجت من الغرفة فصيامي قد كُسر وانقطعت عزلتي..

كان ذلك نهاية عصر يوم الجمعة.. أذكر ذلك جيداً لأني لم أشارك أهلي الغداء ذلك اليوم.. نزلت للطابق السفلي ووجدت أخي يشاهد

التلفاز فجلست بجانبه ولم أتحدث معه وشاركته المشاهدة. بعد دقائق من الصمت قال: لقد رأيت (عواد) اليوم؟

- ماذا؟.. (عواد)؟

(أخي): نعم.. رأيته عند باب منزلنا عندما خرجت لرمي القمامة قبل ساعة

- وماذا كان يريد؟

(أخي): لا أعرف.. قمت بالسلام عليه ودعوته للدخول لكنه رفض وركب سيارته ورحل

- ماذا كان يفعل خارج المنزل؟

(أخي): أعتقد أنه كان ينتظرك ويريد مقابلتك

- هل قال ذلك؟

(أخي): لا لكن لا يوجد تفسير آخر لوقوفه بهذا الشكل

- لَم لم يطرق الباب أو يتصل بي؟

(أخي): هاتفك مغلق منذ أيام هل نسيت؟

- نعم كنت في عزلة..

(أخي): لا أظنه أراد طرق الباب كي لا أراه أنا أو أبي بتلك الحالة

- أي حالة؟

(أخي): كان يلبس نظارة سوداء لكن من الواضح أنه تعرض لضربٍ مبرح فزرقة الجلد حول عينه كانت جلية وأعتقد أن شفتيه مجروحتان أيضاً

- يبدو أنه نال ما يستحق من أحد زبائنه الذين يحتال عليهم

(أخي): ربما..

دار الحوار بيني وبين أخي دون أن يلتفت أحدنا على الآخر بل كنا نتابع البرنامج المتلفز ونتحدث بهدوء وأريحية عن الموضوع لكن بعد ما صمتنا شعرت بالقلق على ذلك الأبله. حاولت تجاهل شعوري بالاهتمام وإقناع نفسي بأنه يستحق ما حدث وسيحدث له لكنني في النهاية فتحت هاتفي واتصلت به وخرجت لفناء المنزل للتحدث معه بعيداً عن أخي.

(عواد): مرحباً..

- أهلاً (عواد).. كيف حالك؟

(عواد): الحـ.. الحمد لله.. كيف حالك أنت؟

- أين أنت؟

(عواد): في منزلنا أزور أبي وسأعود اليوم

- هل زوجتك معك؟

(عواد): لا.. قمت بإيصالها لبيت أهلها وسأعرج بها خلال عودتي

- يقول أخي بأنك مصاب..

(عواد): خرجت من المستشفى بالأمس..

- لماذا؟.. هل تعرضت لحادثٍ ما؟

بدأ (عواد) بالبكاء بطريقة غريبة.. بطريقة مؤلمة مليئة بالقهر فأخبرته بأني قادم إليه فلم يرد علي واستمر في البكاء..

وصلت لمنزله الذي لم أزره إلا مرة واحدة عندما عرج (عواد) به في إحدى المرات لأخذ شيء ما خلال ذهابنا لإحدى الحالات ولم أدخل لداخل منزله قط. قرعت جرس الباب ففتح لي ورأيت وجهه بحالة مزرية كما وصف لي أخي وأسوأ فبياض إحدى عينيه كان محمرّاً ومتجلطاً فقلت له:

- أي مصيبة أوقعت نفسك فيها أيها الأحمق؟

أجابني بحزن: لندخل للمجلس أولاً وسأحكي لك كل شيء.

دخلنا للمجلس وبدأ بالحديث مباشرة: بالطبع تعرف أني بدأت أعالج الناس بمقابل في آخر لقاء كان بيننا.. جنيت الكثير من المال وكسبت أيضاً شهرة وذاع صيتي لخارج البلاد لدول الخليج المجاورة ومنها بدأت تنهال علي طلبات علاج بمبالغ خيالية أكثر بكثير مما كنت أتقاضاه هنا ولم أستطع مقاومة إغرائها.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

(عواد): اتصل بي شخص من دولة خليجية وقال بأنه يريد مني علاج

ابنته التي تعاني من سحر فسألته عن الأعراض فوجدت أنها تتطابق مع أعراض عالجناها أنا وأنت في السابق

- أي حالة؟

(عواد): تلك التي كانت تعاني من سحر مدفون والذي وجدته أنت تحت الشجرة في فناء منزلها

- وهل كانت مسحورة بسحر مدفون بالفعل؟

(عواد): بالطبع لا.. ألا ترى وجهي؟

- هل ما حدث لوجهك له علاقة بتلك الفتاة؟

(عواد) : سأكمل لك وستفهم .. تَحَمل والدها نفقات سفري وأرسل سيارة لتقلني من المطار فقد كان فاحش الثراء وهذا ما زاد من حماسي أكثر لعلاج تلك الحالة بنجاح فهذا بلا شك سيزيد من دائرة زبائني من الطبقات المخملية وسأترك علاج متوسطي الدخل للأبد فالمبلغ الذي كنت سأحصل عليه منه يعادل ما كنت أتقاضاه من مئة حالة من الحالات الأخرى

- ألم تفكر بأنه لم يعرض مثل هذا المبلغ إلا أن حالتها كانت مستعصية أم ظننت أنه ساذج؟

(عواد): نعم بالفعل أعتقدت أنه لم يجد معالجاً مناسباً أو أنه غير مُلم بالأسعار التي كنت أعالج بها لذا بدا لي عرضه سخيّاً جدّاً

- أكمل.. ماذا حدث بعد ما وصلت لمنزل الفتاة؟

(عواد): قصر.. لم يكن منزلاً.. كان قصراً بمعنى الكلمة.. سور عظيم.. حديقة ضخمة جدّاً.. استغرقنا الوصول للبوابة الرئيسة بعد تجاوز بوابة السور دقيقة كاملة بالسيارة

- أنت كما أنت يا (عواد).. تنبهر بالأشياء اللامعة.. قلتها مبتسماً..

(عواد): لقد دفعت ثمن هذا الانبهار لا تقلق..

- دعنا من القصر وضخامته وادخل في صلب الموضوع

(عواد): حسناً.. بعد مقابلة قصيرة مع أمها وأبيها وشرحهما الموجز عن حالتها طلبت منهما مقابلتها فأخبروني بأنها لا تقيم في القصر بل في أحد الملاحق التابعة له.. كان هناك أربعة ملاحق على ما أتذكر وجميعها كالفلل الصغيرة المجهزة بالكامل.. استغربت في بادئ الأمر من أن لا أحد منهما أراد الذهاب معي بل اكتفيا بالطلب من أحد العاملين في القصر إيصالي لها وحتى هو لم يدخل معي فقد أوصلني ورحل بعد ما أشار بأصبعه لباب الملحق.. طرقت الباب ولم يجبني أحد وعندما وضعت أذني على درفة الباب سمعت صوتاً خفيضاً لأغنية أجنبية صاخبة بدا لي أنها آتية من غرفة بعيدة.

- وماذا فعلت؟

(عواد): لحقت بالعامل الذي أوصلني لأنه عاد سيراً على قدميه

وعندما شرحت له الوضع قال لي «يمكنك الدخول مباشرة فالباب غير مغلق»

- تدخل دون استئذان؟

(عواد): هذا ما قاله لي وهذا ما قمت به وما أن دخلت حتى ازدادت قوة صوت الأغنية التي سمعتها سابقاً وكانت آتية من الطابق العلوي فصعدت درجات السلم بحذر حتى وصلت واستطعت تحديد الغرفة التي كان يصدر منها الصوت وطرقت الباب برفق في المرة الأولى وعندما لم أجد استجابة طرقته بقوة أكبر فتوقفت الأغنية وعم الهدوء المكان.

- ودخلت؟

(عواد): ترددت في بادئ الأمر لكني أدرت المقبض وفتحت جزءاً من الباب بعد ما استأذنت بقول «هل يوجد أحد هنا؟».. رد علي صوت أنثوي قائلاً «ادخل..» فتحت درفة الباب بالكامل وأخذت خطوتين فقط ورأيت فتاة غريبة الشكل تقف محدقة بي بتجهم.

- لَم قلت إنها غريبة؟

(عواد): شكلها.. هيئتها.. كانت تلبس ملابس غريبة وجسدها نحيل جدّاً، عيناها مكتحلتان بشكل مبالغ فيه وأظافرها طويلة ومطلية باللون الأسود والوشوم تملأ ذراعيها ورقبتها. لو أنها لم تتحدث معي بالعربية لظننت أنها أجنبية.. أخذت نفساً من سيجارة كانت بين أصابعها

ونفخت دخانها تجاهي وقالت «هل أنت الشيخ الذي سيقرأ علي؟».. ارتبكت وقلت «أنا هنا لمساعدتك..» أخذت بعض الخطوات نحو أريكة سوداء في الغرفة وجلست عليها واضعة ساقاً على ساق وقالت «ومن قال لك إني أحتاج مساعدة؟»

- صف لي غرفتها أكثر..

(عواد): لا أذكر الكثير لكن ما أتذكره هو أن معظم الأثاث كان أسودَ.. حتى الجدران والسقف صبغت باللون الأسود عدا جداراً واحداً مطليّاً بالأحمر.. نعم تذكرت.. الأرض كانت من الرخام الأسود كذلك فرش عليه فراء

- باللون الأسود أيضاً..

(عواد): نعم.. تذكرت غرفتك وقتها

- أكمل.. ماذا فعلت بعدها؟

(عواد): تقدمت وجلست على طرف السرير مواجهاً لها وهي تدخن وتنظر أمامها في تجاهل تام لي لذا قررت قراءة القرآن بصوتٍ جهوري عليها

- هل شخصت الحالة وعرفت علتها؟

(عواد): لم أرَ شيئاً مما تعلمته منك ظاهراً عليها بدت طبيعية وغير طبيعية في الوقت نفسه

- ماذا حدث بعد أن بدأت بالقراءة

(عواد): نهضت من مكانها بغضب وبدأت تبصق علي وتكيل لي السباب والشتائم

- هل هي من ضربك؟

(عواد): لا لم تمسني لكنها شغلت أغنية صاخبة وبدأت ترقص أمامي بطريقة استفزازية

- وأنت مستمر بالقراءة؟

(عواد): نعم.. شعرت أن قراءتي تؤثر بها بطريقة ما وكنت عازماً على قراءة جزء كامل عليها

- وماذا فعلت بعد أن انتهيت من القراءة؟

(عواد): لم ألحق أن أنهي قراءتي فقد كان معها بالغرفة

- من كان معها؟

(عواد): لا أعرف.. شيء.. قوة هائلة.. شخص ما ظهر خلفي وبدأ يضربني بعنف.. وجه لي في البداية ضربة قوية خلف عنقي وبعد سقوطي على الأرض استدرت نحوه لأراه لكنه انهال علي بالضرب المبرح وتلك الفتاة تضحك وترقص حتى أغمي علي

- ألم تتمكن من رؤية ملامحه؟

(عواد): لا.. لم أشعر سوى بلكماته المتكررة التي وجه معظمها لوجهي وصدري.. لم أستيقظ إلا في المستشفى وفي اليوم نفسه تلقيت زيارة من أبيها الذي ناولني مبلغاً كتعويض عما حدث لي وكي لا أتحدث

- لا تتحدث عن ماذا؟

(عواد): عن ابنته وأن أتنازل ولا أُحرر محضراً أو بلاغاً ضدها بالرغم من أني لم أكن أنوي ذلك.. كنت أريد العودة للديار فقط

- الحمد لله أنك بخير

(عواد): الحمد لله.. لكن..

- لكن ماذا؟

(عواد): هذه الحادثة حدثت قبل عدة أشهر

- قبل عدة أشهر؟.. ألم تقل بأنك خرجت من المستشفى بالأمس؟..ثم إن الكدمات على وجهك تبدو جديدة

(عواد): نعم.. ذلك الشيء لا يزال يعتدي علي بين وقتٍ وآخر بعد ما أنام وبعض الأحيان يخرج الأمر عن السيطرة وأصاب بإصابات بالغة تستلزم نقلي للمستشفى

- ألم يُثر ذلك شك الأطباء المعالجين لك؟ ألم يسألوك عن سبب الإصابات؟

(عواد): فترات دخولي للمستشفى متباعدة ولم تثر ريبة أحد ثم

إني كنت أدعي دائماً أني تعرضت للضرب في الشارع وحررت بلاغاً في الشرطة مرة واحدة بعد إصرار أحد الأطباء على إبلاغهم وزودتهم بصفات وهمية لمن اعتدى علي

كان واضحاً أن ما يتعرض له (عواد) هو عبث من شيطان يريد الانتقام منه بسبب تلك الفتاة التي فيما يبدو لها تواصل مع العالم الآخر بطريقة ما وما يحدث معه ما هو إلا نوع من الحماية والتأديب. تيقنت من ذلك عندما رُفع أذان صلاة المغرب ووضع (عواد) يده على رأسه لإصابته بصداعٍ شديد فقلت له:

- هل تتعرض لنوبات الصداع خلال الأذان؟

(عواد): نعم دائماً..

كان لا بد أن أكفر عن ذنب إقحام (عواد) في هذا العالم حتى وإن كان ما قام به بقرار منه لكن إحساسي بالمسؤولية والذنب أكبر من أن أتجاهل عذابه فقلت له:

- كم مدونة دونت خلال عملك معي في السابق؟

(عواد) وهو يعتصر من ألم رأسه: ماذا؟.. لمَ تسأل؟

- أجبني فقط..

(عواد): ثلاث مدونات..

- هل هي معك الآن؟

(عواد): نعم.. في السيارة

- أحضرها لي إذا كنت تريد مني أن أساعدك في التخلص مما تعاني منه

(عواد): حاضر.. قالها وهو يهم بالنهوض ويده على رأسه..

أحضر (عواد) المدونات ووضعها أمامي فأخذتها وقلت: سوف تترك هذا العمل من الآن وصاعداً.. هل تفهمني؟

(عواد): لكن..

- أعرف أن المال يغريك بالاستمرار لكن البقاء على قيد الحياة أهم وأكثر قيمة وقدمك قد زلت في الهاوية ويجب أن تخرج منها قبل أن تغرق

(عواد): أي هاوية؟

- هاوية وقعت فيها أنا ويبدو أني لم أخرج منها بعد.. كم عرض عليك ذلك الرجل لعلاج ابنته؟

(عواد): مبلغاً كبيراً جدّاً لكني لن أعود أبداً لذلك المكان!

- لست أنت من سيذهب له..

(عواد): ولا أنت!.. هذه الفتاة مجنونة وسوف تؤذيك!

- الحامي هو الله.. هل ما زال رقمه معك؟

(عواد): نعم..

- تواصل معه وأخبره بأنك وجدت معالجاً قد يستطيع علاج ابنته بشرط أن يضاعف لك المبلغ

(عواد): لن يوافق.. ثم ماذا حدث لمبدئك عن عدم أخذ المال من المرضى؟

- سيكون هذا المبلغ ثمن مدوناتك ومكافأة نهاية خدمتك كي لا تحتاج للعودة لهذا العمل مرة أخرى

(عواد): لا تقلق لن أعود أبداً.. سأعالج نفسي وينتهي الأمر

- لن تتعافى ما دامت تلك الفتاة تمارس ما تمارسه

(عواد): ماذا تقصد؟

- خلال غيابي أريدك أن تتبع بعض التعليمات لصد هجمات ذلك الشيء وهذا ليس علاجاً دائماً لكنه سيعطيني الوقت الكافي حتى أتعامل معه ومع من أرسله

(عواد): لا أفهم شيئاً مما تقول..

- فقط كن على طهارة أغلب وقتك قدر المستطاع ونم على الأرض بدل السرير واستخدم وسادة قاسية ولا تتناول أي شيء مصنوع من القمح.. هل فهمتني؟

(عواد): نعم فهمت لكن أرجوك لا تخاطر بنفسك فعلمنا لن يجدي نفعاً معها لقد حاولت

- علمك أنت وليس علمي..

(عواد) بخجل يخالطه بعض الندم: أعتذر عما قلته لك بالسابق..

- لقد قلت أشياء كثيرة لكن هذا ليس وقت مناقشتها الآن.. ذلك في الماضي..

نهضت من أمامه وأخذت المدونات معي وقبل أن أهم بالرحيل وقف (عواد) ومد يده لمصافحتي لكني لم أصافحه.. عانقته.. وخلال عناقي له قال بحزن وأعتقد أنه بكى قليلاً: كنت أظن أنك لا تعانق إلا أصحاب القلوب النقية؟

- وما زلت لا أعانق غيرهم.. قلتها وأنا أربت على ظهره مبتسماً..

أنهيت عناقي لـ(عواد) ونظرت لوجهه المبتسم والمختلط بالدموع وقلت وأنا أهز كتفه: ثم إن أمي تحبك ولا أظنها تحبك بلا سبب..

(عواد) وهو يمسح دموعه باسماً: اشتقت لطعامها

- لقد فوت غداءها اليوم لكن أتوقع حضورك الجمعة القادم بعد عودتي من السفر

(عواد) بقلق شديد: أرجوك لا تذهب الأمر لا يستحق أن تخاطر بحياتك

- لن تكون هذه أول مرة.. قلتها مبتسماً وهممت بالرحيل

اتفقت مع (عواد) أن يبلغني حالما يتم الاتفاق مع والد الفتاة على زيارتها مرة أخرى وطلبت منه أن لا يتكفل بأي شيء من تكاليف سفري لتلك الدولة لأنها كانت قريبة.

محرّك العرائس

لن أدخل في تفاصيل كثيرة فما حدث باختصار هو أن والد الفتاة وافق على العرض وبعد أيام كنت في تلك الدولة أجري اتصالاً عليه بعد تجاوزي الحدود للحصول على عنوانه. بعد ما عرفت مكان إقامته طلبت من صاحبي الذي أقلني أن يعود للوطن حالما يقوم بإنزالي أمام بوابة القصر وسوف أتصل به لو احتجت أحداً ليعيدني. بالرغم من رفضه وإصراره على انتظاري في البداية إلا أن إخباري له بأني قد أمضي أسابيع هنا ثبط عزيمته وأقنعه بالعودة.

وصلت للبوابة الرئيسة للقصر قبل العشاء بقليل وكان هناك تعليماتٌ بالسماح لي بالدخول وخلال دقائق كنت أجلس في المجلس نفسه الذي جلس به (عواد) مع الأشخاص أنفسهم أسمع الحديث نفسه تقريباً لكن ما اختلف هو أن والد الفتاة أخبرني بأنها في الخارج وستعود ليلاً فأخبرته بأني لا أريد مقابلتها في الحال وأني أرغب الإقامة في أقرب ملحق من الملاحق الأربعة لمكان إقامتها وأريد أن يخصص لي مرافق خلال فترة إقامتي ليلبي بعض الطلبات. لم يستغرب والد الفتاة من طلباتي أو يرفضها لكنه علق بقول «لا أظنك ستبقى كثيراً هنا»

- أنا لا أنوي البقاء أكثر من ثلاثة أيام

(الأب): هل تظن أنه يمكنك خلالها علاج (جواهر)؟

- ابنتك اسمها (جواهر)؟

(الأب): نعم..

- هل تعرف ما بها من الأساس؟

(الأب): أعتقد أنها مسحورة أو شيء من هذا القبيل فهي منذ أن عادت من الخارج وهي متغيرة وبهذا الحال

- هل كانت في رحلة دراسية أم سياحية؟

(الأب): ذهبت لزيارة أختها المقيمة هناك مع زوجها وعادت لنا مختلفة تماماً ويوماً بعد يوم أصبحت تتغير للأسوأ

- هل عرضتها على أطباء؟

تدخلت الأم في الحوار وقالت: لم يعد أحد منا يستطيع الاقتراب منها..

- هل يتعرض ذلك الشيء لكما أيضاً؟

صمت الجميع ولم يرد علي أحد.. فبادرت بالحديث مرة أخرى ووجهت كلامي لوالدها قائلاً: هل تملك ابنتك كتباً؟

(الأب): هي تحب القراءة نعم..

- أقصد كتباً من نوع آخر.. كتباً لا تباع في المكتبات

(الأب): ماذا تقصد بلا تباع في المكتبات؟

- أخبرني صاحبي المعالج السابق أنها موشومة بوشوم على جسدها.. كيف سمحتم لها بذلك؟

(الأب): عائلتنا لا تمانع ذلك.. ربيت بناتي على التعبير عن أنفسهن بحرية

- إذاً لا جدوى من سؤالك أين هي الآن فأنت بلا شك لا تعرف

(الأب): أخبرتك بأنها في الخارج وهذا أقصى ما يحق لي معرفته

- حسناً هذا لا يهم الآن.. أين الشخص الذي سيرافقني للملحق؟

(الأب): لاحظت أنك لم تحضر معك أي حقائب أو أدوات..

- أدوات؟.. لن أحتاج إلا لبعض المواد التي يمكن شراؤها من السوق وسوف أطلب من المرافق أن يحضرها لي

نهض والد الفتاة وخرجت معه خارج القصر حيث نادى على أحد العاملين ووجهه لإيصالي للملحق المجاور لملحق ابنته والبقاء معي وتلبية طلباتي كلها.

- أحتاج أن أدخل غرفتها قبل عودتها وقبل أن أذهب للملحق الخاص بي..

(الأب): لا بأس سيأخذك المرافق لهناك..

حضر المرافق وتوجهت معه للملحق الخاص بالفتاة ودخلنا وقادني لمدخل غرفتها وطلبت منه البقاء في الخارج. دخلت.. والغرفة كما وصفها (عواد) تماماً. كنت أبحث تحديداً عن ما إذا كانت تلك الفتاة تملك كتباً من نوع معين وقادني ذلك البحث لرفٍّ على أحد الجدران به مجموعة من الكتب والدفاتر. تصفحتها جميعاً وكانت مجرد كتب ومجلات عادية لكن إحدى المدونات كانت مذكراتها الخاصة وبعد تصفح سريع للصفحات وقعت عيني على هذه الصفحة:

«هناك شعور ينتابني كل ليلة عندما أطفئ أنوار غرفتي وأقرر الخلود للنوم.. لا أعرف إذا كان هناك أحد غيري يمر بنفس ما أمر به كل ليلة.. أشعر دائمًا بأن أحدًا يراقبني.. يحدق بي من خلال تلك العتمة الحالكة بصمت.. لا يشاركني فراشي سوى أفكاري التي تحلق بين خيالاتي وتخطيطي للغد.. تفكير في الماضي والمستقبل.. في الأمس واليوم.. أعتقد أن هذه الأفكار التي تجتاحني كل ليلة ما هي إلا وسيلة للهروب.. للهروب من ذلك الهدوء المخيف في الغرفة والذي يحيط بي من كل جانب ويحتضنني بقوة.. خاصة في ليالي الشتاء الباردة.. أتعمد أحياناً التقلب في الفراش فقط لكسر ذلك الصمت والهدوء الخانق بصوت جسدي وهو يحتك بالوسادة واللحاف.. من وقت لآخر أسمع صوتًا أو أتوهم أني سمعت صوتًا.. صوتًا من آخر الغرفة.. صريراً.. أو شيئاً

مشابهاً له.. هنا تبدأ معاناتي وتتبدل أفكاري الجميلة لهواجس مخيفة تغزو عقلي وتجثم على صدري.. أسوأ ما في تلك الأصوات هو عدم قدرتي على التنبؤ بموعدها، فبمجرد سماعي لها أول مرة خلال استعراض شريط أفكاري تصيبني بالشلل التام والتسمر والتجمد المؤلم ترقبًا للمرة التالية التي ستباغتني فيها.. أحاول قدر الإمكان تبرير تلك الأصوات بأنها أمر طبيعي وأحاول بصعوبة العودة لتلك الأفكار والخيالات الجميلة التي كنت أتصفحها منذ قليل في عقلي، لكنني أعود لها لأجدها أصبحت مظلمة ومخيفة ومليئة بالوساوس والقلق.. بعد ما كانت تلك الأفكار هروبي من ذلك الصمت والهدوء المخيف أصبحت هي من يقودني عنوة نحوه.. بعد سماعي لذلك الصوت أصبح الصمت والهدوء مطلبي وجل أمنياتي بعد ما كان هاجسي.. تمنيت أن يبقى الصمت حاضرًا حتى أغفو لكن ترقبي لصوت آخر يكسر حاجزه يجعلني في تكهن مؤلم وتوتر دائم.. صوت أنفاسي أصبح يخيفني.. أتمنى عدم سماعه.. الهدوء المؤقت أسوأ بكثير من الهدوء الدائم.. أشعر أن شيئًا قريبًا من وجهي.. يراقبني في تلك العتمة.. يهيأ لي أن أنفاسي ترتد من على وجهه لوجهي.. لا يمكنني الجزم فالظلام دامس.. أغمض عينيّ خشية رؤية شيء يوقف قلبي حتى وإن كانت العتمة تعمي بصري.. أشعر براحة أكبر بعد ما أغمضت عيني.. أحس بأنها غطاء واقٍ من كل الشرور التي تتربص بي في الظلام وتختبئ خلف الصمت.. الخوف يتراكم شيئًا فشيئًا في قلبي من

شيء أجهله ولا أراه لكني أحس به.. أحتاج غطاء آخر.. سأرفع اللحاف فوق رأسي.. شعور جديد بالأمان.. أحس بأن الخوف بدأ يزول بعد ما وضعت حاجزًا بيني وبين من يراقبني.. الحرارة الخانقة لأنفاسي تزداد.. أحتاج للنفس.. لا يمكنني الاستغناء عن درعي الواقي.. ماذا أفعل ؟.. سأحاول الاسترخاء واستعادة أفكاري الجميلة.. لا فائدة.. يجب أن أرفع الغطاء وأحرر تلك الحرارة الخانقة لأنفاسي.. سأرفع الغطاء وعيناي مغمضتان.. هذا أفضل بكثير.. أحس بنسمة باردة تعيد الحياة لأنفاسي.. كنت كالغريق وقد خرجت للتو من الماء.. أشعر بالنعاس الآن.. سأنام وأخوض تلك التجربة وذلك الشعور المرير مرة أخرى غدًا..»

قرأت الصفحة بالكامل في غرفتها واستغربت أنها ذيلت بـ«جواهر ١٩٩١م».. هذا التاريخ يعود لفترة لم تولد فيها هذه الفتاة فلماذا تؤرخها به؟.. أغلقت المذكرات وخرجت من الغرفة وطلبت من مرافقي أخذي للملحق الخاص بي وقد كان مجاوراً لملحق (جواهر).

وصلت للملحق ودخلت مع المرافق الذي أشعل الأنوار وبدأ يشرح لي عن مرافق المكان فقاطعته قائلاً «زودني برقم هاتفك» ففعل ثم أخبرته بأن يحضر لي كمية كبيرة من الملح الخشن ويفضل أن يكون ملحاً بحريّاً وليس معالجاً وطلبت منه كذلك أن يحضر لي ديكاً فقال لي متعجباً: «ديك؟»

- نعم ديك؟.. هل هناك مشكلة؟

(المرافق): لا أبداً يا سيدي..

- هل المكان به طعام؟

(المرافق): نعم يا سيدي فالثلاجة عامرة ودواليب المطبخ كذلك

- أحتاج للأرز فقط..

(المرافق): يوجد كمية وافرة منه هل ترغب في أن أطبخ لك الآن بعضه؟

- لا.. أحتاجه لغرضٍ آخر..

انقطع حديثنا عندما رفع الأذان لصلاة العشاء وكان صوت الأذان واضحاً وقريباً منا فسألت العامل المرافق لي وقلت «هل هناك مسجد قريب من هنا؟»

(المرافق): نعم.. هذا المسجد بناه السيد الكبير على نفقته الخاصة وهو مجاور للقصر

- هل يصلي فيه؟

(المرافق): ماذا تقصد؟

- ماذا تعني ماذا أقصد؟..سؤالي واضح.. هل يصلي سيدك في المسجد الذي بناه؟

(المرافق): لا أعرف..

- لا تعرف أم لا تريد القول؟

(المرافق): هل تحتاج شيئاً آخر يا سيدي؟

- نعم.. هل يوجد نظام سمعي في المكان؟

(المرافق): نظام ماذا؟

- جهاز لتشغيل الأغاني

(المرافق): آه.. نعم نعم.. المكان كله موصل بجهاز لتشغيل الأقراص المضغوطة في غرفة المعيشة هل ترغب في سماع أغنية محددة هناك مكتبة كاملة

- هل هناك قرص مضغوط يحتوي على سورة البقرة؟

(المرافق): لا أعتقد..

- أضف ذلك لما طلبته منك سابقاً

(المرافق): متى تريد هذه الطلبات؟

- قبل أن تعود سيدتك (جواهر).. قلتها وقد بدأت بالسير مبتعداً عنه وتفحص المكان بنظري..

(المرافق): لن أتأخر فالسوق قريبٌ من هنا..

- هل هناك أحد غيرها يقيم في الملحق المجاور لي.. قلتها ملتفتاً إليه..

(المرافق): لا.. السيدة (جواهر) فقط وحدها تقيم في ذلك الملحق والبقية خاوية

- حسناً هيا اذهب وأحضر ما طلبته منك بسرعة

(المرافق): حاضر..

- ما اسمك بالمناسبة؟

أنا (صابر) يا سيدي

- حسناً يا (صابر) اذهب ولا تتأخر.:

رحل (صابر) وخلال غيابه بدأت بتجهيز المكان فقد كنت أعد العدة لاستقبال تلك الفتاة عندي دون الذهاب إليها لأني لو فعلت فسوف يهاجمني ذلك الشيء الملتصق بها وهو في الغالب شيطان عاشق ذو رتبة عالية كون أذاه امتد لـ(عواد) واستمر حتى بعد رحيله وعلى الأرجح أن من كان يقوم بمهاجمة صاحبي أحد أعوانه وليس هو وهذا دليل على أنه من الأسياد وليس سفليّاً ومواجهته وجهاً لوجه ستكون خطرة.

قد يتساءل البعض لمَ لم أستخدم الخليط الذي عالجت به زوجة الرجل الذي رأيته مع أخي عندما كنا عند «المتمشيخ». الخليط لن ينفعها لعدة أسباب أهمها أن هذه الفتاة تبدو راضية ومستمتعة بما يحدث معها وسترفض أي علاج يقدم لها وهناك احتمال كبير أنها هي من قامت بتحضيره واستدعائه وتسليمه نفسها وهنا يكون العلاج أصعب بكثير والشيطان المستحوذ في هذه الحالة يصبح أشد خطورة وأكثر عدائية.

علاج مثل هذه الحالة يكون باستثارة الشيطان المتسلط بحيث يرغب في التعرض بالأذى للمعالج الذي يجب أن يتحصن في ما يعرف بـ«الجحر» وهو كالحصن الروحاني الذي لا يمكنه اختراقه ويستمر المعالج في تعذيب ذلك الشيطان عن بعد حتى يرحل. سورة البقرة ستوفر لي بإذن الله الوقاية التي أحتاجها والديك سيكون مثل نظام التنبيه المبكر لو استطاع ذلك الشيء التسلل للمكان خلال نومي لسبب ما، أما الملح الخشن والأرز فهما لترميم بعضٍ حصانة تلك الفتاة التي وبالتأكيد ستجبر على زيارتي من قبل ذلك الشيطان لمحاولة تخريب عملي وستكون حصانتها محطمة بالكامل وعند مشيها على الملح والأرز ستفقد الكثير من سيطرة ذلك الشيء عليها ولن يدخل معها ويمكنني وقتها الحديث معها بهدوء وتشخيص حالتها بشكل أدق.

عندما عاد (صابر) بالحاجيات التي طلبتها منه قبل منتصف الليل بساعة طلبت منه قبل رحيله إرسال رسالة نصية لهاتفي عندما تعود (جواهر) من الخارج وتدخل ملحقها. أمضيت الفترة بين رحيل مرافقي وانتظار رسالته النصية في رش الأرض بالملح الخشن والأرز وخصوصاً الزوايا والممر من مدخل الباب الرئيس والمؤدي لغرفة المعيشة وقمت بإطعام الديك بعض الأرز وتركته يجول في المكان كيفما شاء. أعددت بعض الشاي وجلست في غرفة المعيشة أحتسيه وهاتفي بجانبي على المنضدة. بقيت أحتسي الشاي وأراقب الديك وهو ينقر حبات الأرز على

الأرض. كان الهدوء صارخاً ولم يكسر صوت تلك النقرات وصوت رشفي من كوب الشاي من وقت لآخر إلا نغمة استلام رسالة نصية جديدة. رفعت هاتفي وفتحت صندوق الرسائل الواردة ووجدت الرسالة التالية من (صابر):

«السيدة (جواهر) وصلت ودخلت الملحق».

نهضت من مكاني بهدوء وشغلت سورة البقرة وفعلت خاصية الدوران الذاتي بحيث لا تتوقف السورة عن التلاوة وعدت لمكاني وما هي إلا دقائق حتى سمعت طرقاً قوياً على باب الملحق الرئيس. توجهت لعتبة الباب وفتحته لأجد فتاة حنطية البشرة نحيلة الجسد حافية القدمين وتحمل أغلب الصفات الجاذبة للشياطين العاشقة مثل قصر القامة، طول الشعر وسواده الحالك، اتساع المسافة بين الأعين. وكذلك لاحظت أنها عبثت بنفسها لتكون أكثر جذباً للشياطين العاشقة فقد كانت الأوشمة تُغطي ذراعيها ورقبتها ومعظم ما ظهر من جسدها المغطى بلباسٍ أسود كالليل. أظافرها طويلة ومطلية بالأسود أيضاً وحاجباها قد حلقا ورسما مقترنين بعضهما ببعض. لبست في كل أصبعٍ من أصابعها خاتماً واحداً على الأقل وقد قامت بتخريم أنفها ووضع بين فتحاته. ذراعاها وسواعدها لم تكن بحال أفضل فقد امتلأت بالجروح التي على الأرجح أنها أحدثتها بنفسها مستخدمة مشرطاً حادّاً. هالتها وحصانتها كانتا محطمتين بالكامل

وشبه معدومتين ومن الواضح أنها حرصت على ذلك. الشيء الذي لفت نظري بحق هو أن الفتاة وعلى عكس ما توقعت لم يظهر على أي جزء من جسدها المكشوف وسم شيطاني من أي نوع وعزوت ذلك لتواري الوسم خلف أحد الوشوم أو أن يكون في مكانٍ خفي تحت ملابسها.

الفتاة بدت في حالة غير مستقرة وكأنها مخمورة أو قد تعاطت مخدراً ما وكلماتها التي تفوهت بها متلعثمة ومتقطعة وهي تحاول أن تطلب مني بغضب إطفاء الموسيقى. أجبتها بهدوء عند عتبة الباب: لا يوجد موسيقى هنا..

(جواهر): أغلق مصدر الإزعاج أياً كان!!.. قالتها بغضبٍ وخدر..

- تفضلي أغلقيه بنفسك.. وأنا أشير لها بالدخول..

دخلت الفتاة بتجهم وعلى عجالة وما أن وطئت أقدامها الحافية على خليط الملح الخشن والأرز حتى توقفت وعانقت نفسها قائلة: لَم المكان بارد هنا؟

أغلقت الباب وسرت نحو غرفة المعيشة قائلاً: لأن مصدر الدفء لم يدخل معك..

(جواهر) تراقبني خلال سيري نحو غرفة المعيشة وهي لا تزال محتضنة لنفسها: أغلق الصوت..

- تقصدين القرآن؟.. قلتها وأنا أدير قابس مستوى الصوت وأرفعه أكثر..

وضعت كفيها وسدت أذنيها وبدأت تصرخ وتقول: أغلقه!..أغلقه!

- اجلسي أمامي وسأغلقه..

جرت الفتاة فوق الملح الخشن والأرز حتى دخلت غرفة المعيشة وجلست أمامي وهي لا تزال مغلقة لأذنيها وتصرخ: أغلق الجهاز!.. بسرعة!

بالطبع لم أكن أستطيع فعل ذلك فشيطانها العاشق لا شك وأنه ينتظر عند الباب ليدخل ويفتك بي والتلاوة هي الحاجز الوحيد المانع له والحائلة بيني وبين قبضته فعلمي مهما كان لن يستطيع ردع شيطان عاشق علوي يريد الانتقام مني وقتلي وكلام الله هو الأقوى والأكثر بركة في كل الأحوال. خفضت صوت المشغل لأقل مستوى فظنت (جواهر) أني أغلقته فرفعت كفيها عن أذنيها وهي تتنفس بثقل وقالت: من أنت؟

- أنا المعالج الجديد الذي إستعان به أبوك..

(جواهر): سيكون مصيرك مثل البقية..

- كم شخصاً قبلي حاول علاجك؟.. قلتها وأنا أجلس على الأريكة المقابلة لها

(جواهر): لا أذكر.. عددهم كثير..

- كيف حضرتِه؟.. كتاب؟.. أم شخص حضره لكِ؟

تغيرت نظرة الفتاة عندما سألتها هذا السؤال فهي قد اعتادت على

طرق العلاج التقليدية والتي تنتهي بفتك ذلك الشيطان بالمعالج الذي يقترب منها وقالت: لمَ لا يستطيع الدخول؟

- تقصدين عشيقك؟

(جواهر): لا أحس بوجوده معي هنا..

- لأنه لا يستطيع الدخول وقريباً سيرحل عنك

(جواهر) وهي تصرخ: سيقتلك مثلما قتل غيرك!

- سنرى.. ما اسمه؟

(جواهر): لمَ تريد معرفة اسمه؟

- أريد تحديد رتبته وقبيلته

(جواهر): ومن قال بأني سأخبرك؟

- ومن قال إني أسألك؟

(جواهر): تسأل من إذاً؟

- تدميرك لحصانتك جعل قرينك نشطاً جدّاً وشبه متحرر منك وهو الآن يهمس في أذني بكل ما أريد معرفته

(جواهر): أنت كاذب!!

ما لم تعرفه تلك الفتاة أن أصحاب الهالات المفعلة يمكنهم التواصل مع الأقران بسهولة خاصة لمن تكون حصانتهم وهالاتهم ضعيفة

ومتهالكة وكنت فقط أريد أن تكون أمامي لأتحدث مع قرينها وليس معها. حصلت على جميع المعلومات التي رغبت بها خلال دقائق قضتها (جواهر) في الصراخ والسب والشتم بعصبية وكنت أعرف أنها لن تنهض وترحل بسرعة لأن تأثير الملح الخشن والأرز ما زال قوياً عليها ولن تستعيد القدرة على الوقوف والمغادرة حتى أنتهي من تحصيل المعلومات بالكامل وهذا ما حدث. عندما لاحظت أن إحدى ركبتيها بدأت تهتز بتوتر علمت أنها بدأت تستعيد شيئاً من قدرتها على الحركة وقلت:

- أخبرني قرينك أن شيطانك العاشق اسمه «(ميجس)»..

في تلك اللحظة بدأ الباب الرئيس يُطرق بقوة شديدة وهذه ردة فعل طبيعية للشيطان المتصنت علينا والعاجز عن الدخول.

(جواهر) باستغراب: كيف عرفت؟

- عرفت أشياء كثيرة غير ذلك.. عرفت أنكِ قمتِ بتحضيره أول مرة من خلال عبثك ببعض الكتب مع مجموعة تعرفتِ عليها عندما كنتِ تزورين أختك بالخارج واعتقدتِ في بادئ الأمر أن المسألة مزحة عندما طلبوا منك تلاوة «قسم التسليم» لـ(ميجس) ومنذ ذلك الوقت وهو مسيطر عليك ويأمرك بتشويه جسدك كي يستحوذ عليك أكثر وأكثر ومؤخراً بدأتِ تستمتعين بذلك وتتقبلينه ونسيتِ نفسك تماماً.

رأيت في عيني (جواهر) شيئاً من التأثر عندما ذكرتها بنفسها قبل أن

تنخرط في هذا العالم وكان ذلك مهماً لعلاجها فلو تخلت عن فكرة قبول هيمنة (ميجس) عليها سيكون علاجها أسهل بكثير.. بعد صمتٍ دام لثوانٍ دمعت خلاله قالت: إنه لا يريد أن يرحل ويعاقبني بشدة لو لم أنفذ رغباته..

- التخلص منه سهل جدّاً.. المهم أن تكوني أنتِ راغبة بذلك..

عاد الطرق على الباب بقوة وشدة أكبر من السابق..

التفتت (جواهر) نحو مصدر الصوت بوجه مرعوب وأعين اتسعت من الرهبة..

- تجاهليه وركزي معي.. هل تريدين التخلص منه؟

الطرق مستمر بقوة..

(جواهر) وهي تعيد نظرها نحوي وتقول: أستطيع سماعه.. إنه يهددني..

- لا تقلقي لن يستطيع الدخول إلى هنا إنه يحاول إخافتك فقط.. أريد فقط أن تنطقي بها

(جواهر): أنطق بماذا؟

- برغبتك في التخلص منه..

صمتت (جواهر) وأنزلت رأسها ثم وضعت كفيها على وجهها..

- أعدك بأنه سيرحل لو رغبتِ بذلك..

رفعت رأسها بعد ما باعدت كفيها عن وجهها وقالت: لكنه كل ما تبقى لي..

- تبقى لكِ في ماذا؟

(جواهر): في الدنيا..

- هو الآن ليس بجانبك ولا يمكنه التشويش على عقلك.. فكري بعقلانية.. هذا شيطان ولن تري منه سوى الأذى

(جواهر): لست مقتنعة بفكرة التخلي عنه

- لن أستطيع مساعدتك إذاً

(جواهر): أنا لم أطلب مساعدتك على أي حال..

- وأنا لن أساعدك حتى تكوني راغبة في ذلك

أمضينا بعدها بضع دقائق في صمت وتوقف معها الطرق على الباب..

(جواهر) بشيء من التوتر: ألن ترحل؟

- أرحل إلى أين؟

(جواهر): تعود من حيث أتيت..

- سوف أتخلص من عشيقك بطريقة أو أخرى ولن أرحل قبل أن أفعل ذلك

(جواهر): أخبرتك بأني لا أريد مساعدتك

- أنا هنا لأساعد صديقي بالدرجة الأولى وليس أنتِ

(جواهر): صديقك؟.. وما علاقته بـ(ميجس)؟

- شيطانك العاشق يدمر حياة كل من يقترب منكِ وصديقي كان أحد المعالجين الذين حاولوا علاجك في السابق وهو يعاني الآن من عبث سيودي بحياته

(جواهر): يمكنني الحديث معه إذا رغبت

- الحديث مع من؟

(جواهر): مع (ميجس).. ما اسم صاحبك؟.. سأطلب منه أن يكف أذاه عنه

- لا ، شكراً أنا من سيتولى ذلك حتى بعد أن صعبتِ الأمر علي برفضك العلاج

(جواهر): أنا لا أريد أن أعود وحيدة.. رحيله عني سيبدد كل جهودي

- جهودك في ماذا؟.. في تشويه نفسك؟.. في سلخ هويتك؟.. أنتِ مجرد لعبة يتسلى بها لأجل محتوم وسوف تلقين حتفك قريباً

(جواهر): أنت لا تعرف ذلك.. (ميجس) يحبني..

- وهل تحبينه أنتِ؟

ترددت (جواهر) بالإجابة قليلاً ثم قالت: نعم.. لا أعرف.. منذ أن دخلت هنا ومشاعري نحوه متضاربة لا أعرف لماذا

- لأن استحواذه عليك تعكر.. مشاعرك نحوه ليست حقيقية.. ليست سوى مشاعر أسير فقد الأمل بالخلاص وهذا بالتأكيد ليس بحب

(جواهر): ماذا يكون إذاً؟

- استعباداً..

عاد الطرق مرة أخرى وبقوة على الباب ففزعت (جواهر) وهي تحيد بنظرها عني وتوجهه نحو مصدر الطرق..

- هل حقّاً تريدين أن تكوني أسيرة لذلك الشيء؟

(جواهر) وهي تضع كفيها على وجهها: أنت تعبث بعقلي..

- لا أحد يعبث بعقلك غيره.. تخلصي منه الآن قبل فوات الأوان..

(جواهر) تغطي أذنيها بكفيها وتقول: إنه يهمس في أذني.. يهددني..

- هل يهدد الحبيب حبيبه؟.. أفيقي مما أنتِ فيه..

رفعت (جواهر) رأسها ونظرت لعينيّ مباشرة بثقة وقالت:

«أريده أن يرحل ويخرج من حياتي..»

صرخ ما كان يطرق الباب بقوة وعم بعدها هدوء لم يعطره إلا التلاوة المنخفضة لسورة البقرة..

(جواهر) وهي تضم كفيها لقبضتين وتضعهما تحت إبطيها وتهز جذعها للأمام والخلف وتحدق بي: ماذا الآن؟

نهضت من مكاني وقلت: هذه الليلة سنرتاح وغداً سنتخلص منه خلال النهار لأنه سيكون أضعف..

صرخت (جواهر) بقوة ورفعت قدميها فوق الأريكة وقالت مشيرةً للأسفل: هناك شيء ما أمسك بقدمي!!

وجهت نظري حيث كانت تشير فتبسمت عندما رأيت الديك ينقر بعض الأرز تحت قدميها. حملته بين ذراعي وقلت مطمئناً لها: لا تقلقي هذا مجرد منبه لي خلال نومي..

(جواهر): منبه؟.. يمكنك الاستيقاظ على منبه الهاتف

- لا.. هذا منبه لشيء آخر..

(جواهر): ما زلت أسمعه.. قالتها وهي تضع يدها على جبينها وتغمض عينيها في حالة من الدوخان واضحة

- ماذا يقول لكِ؟

(جواهر): يطلب مني الخروج..

- لا تفعلي ذلك أبداً وإلا فسيقتلك.. كلها ساعات وتشرق الشمس ونتخلص منه

(جواهر): لِمَ لا نتخلص منه الآن؟.. لِمَ علينا الانتظار؟

- أخبرتك بأنه سيكون أضعف بعد الإشراق ولن يتطلب الأمر سِوى احتسائك لخليط بسيط.. ثم إني لا أملك مكونات الخليط الآن ويجب أن أطلب من (صابر) ابتياعها غداً أول الصباح من السوق

(جواهر): تقصد (صابر) المزارع؟

- لا أعرف ما عمله عندكم.. لقد عينه أبوك لمرافقتي وتلبية احتياجاتي

(جواهر): كيف وجدك أبي؟

- ماذا تقصدين؟

(جواهر): أبي يحضر لي الكثير من المعالجين منذ زمن طويل ولم يفلح أحد منهم في علاجي

- أنا لم أفلح بشيء بعد ثم إن أي تحسن ستحسين به سيكون بفضل ومشيئة الله فقط

حدث أمر غريب عندما ذكرت لفظ الجلالة «الله» أمامها فقد تحركت وكأن شيئاً وكز خاصرتها وأخرجت زفرة بصوتٍ غريب. تصرفٌ لم أرَه أو أقرأ عنه من قبل ولم أجد له تفسيراً ولم أطل التفكير فيه وقتها وبادرتها بقول: أين تريدين أن تنامي؟

(جواهر): لا أعرف..

- غرفة المعيشة هي أكثر غرفة محصنة وقربك من التلاوة سيرمم هالتك ويجعلك تنامين بشكل أفضل

(جواهر): وأنت أين ستنام؟

- في الطابق العلوي مع منبهي.. قلتها وأنا أرفع الديك للأعلى قليلاً..

(جواهر): حسناً سأحاول النوم بالرغم من وساوسه التي تنخر رأسي

- تجاهليه فقط وسينتهي كل شيء قريباً

(جواهر): هل تعدني بذلك؟.. هل تعدني بأنك ستخلصني مما أنا فيه؟

- نعم.. أعدك..

استلقت (جواهر) على الأريكة فقمت بتغطيتها ورش المزيد من الملح الخشن والأرز حولها. حملت الديك وضممته لصدري بيد وباليد الأخرى أطفأت جميع الأنوار وقبل أن أصعد للطابق العلوي لأخذ قسطٍ من الراحة في غرفة النوم الرئيسة أمسكت (جواهر) بيدي عندما مررت بجانبها وقالت: هل يمكن أن تبقى معي حتى أغفو.. أنا خائفة..

- حسناً.. هل تريدين أن أشعل الأنوار

(جواهر): لا.. أنا أحب الظلام

وضعت الديك على الأرض وجلست على الأريكة المقابلة.. بعد عدة دقائق لاحظت أنها لم تغمض عينيها وبقيت تحدق بي بصمت.

- أغمضي عينيك كي تستطيعي النوم

(جواهر): لا أريد ذلك

- يجب أن تنالي قسطاً من الراحة

(جواهر): لِمَ تهتم؟

- أهتم بماذا؟

(جواهر): براحتي.. لا أحد يهتم بها

- أهلك يهتمون بها وإلا لما بحثوا لكِ عن علاج

(جواهر) وهي مستلقية وأعينها تحدق بي: هم لا يفعلون ذلك لأجلي.. بل لأجل أنفسهم

- وما الفرق؟

(جواهر): إنهم يشعرون بالعار لأني ابنتهم.. يرون أني مصدر حرج لهم

- لا أظن أن ذلك بدون سبب..

(جواهر): يريدون أن أكون دمية ولا يريدون مني أن أختار حياتي بنفسي

- لم أستشعر ذلك من حديثي القصير مع أبيك.. لقد بدا لي رجلاً يمنح الكثير من الحريات لأبنائه.. أكثر من اللازم في الواقع

(جواهر): لم أقصد ذلك عندما تحدثت عن اختيار كيف أعيش حياتي

- أنا لا أرى فتاة مقيدة أمامي.. أنتِ تمارسين ما تريدين بحرية دون تدخل أحد

(جواهر): هل تقصد الوشوم والسهر والعيش وحدي هنا؟

- ومتيقن أن هناك أشياء أخرى لا أعرفها..

(جواهر): لكني احتجت لما هو أكثر ولم يمنحه لي أحد.. هل تعلم بأن أمي لم تعانقني من قبل في حياتها.. حتى أبي.. لا أذكر يوماً أنه ضمني لصدره أو أهداني كلمة عطف.. الاهتمام الوحيد الذي يعرفه ويقدمه لي هو عندما تكون لي حاجات مادية فقط

- وما علاقة ذلك بما تقومين به؟

(جواهر) ودمعة قد لمعت في أحد محاجرها: الشيطان الذي تحاول إبعاده عني هو أول شخص عانقني في حياتي.. (ميجس) كان أكثر عطفاً علي من أمي وأبي.. يحبني أكثر منهما.. يريدني أكثر منهما

- الشياطين العاشقة لا تعشق القلوب.. همها الأجساد فقط وأظنك تدركين ذلك أكثر من غيرك

(جواهر): لا يهم.. لقد وهبته جسدي عن طيب خاطر مني

- هل تظنين أنك تتحدثين مع أحمق؟.. لقد وهبتِه جسدك بعد أن انتزعه منك مراراً وتكراراً رغماً عنكِ حتى فقدتِ القدرة على المقاومة.. لا تخلقي وهماً وتصدقيه.. لستِ الوحيدة في حياته ولن تكوني الأخيرة.. استيقظي من غيبوبتك

(جواهر) وهي تغمض عينيها مبتسمة: كيف أستيقظ وأنت تريدني أن أنام..

- إذا كانت الشكوك تراودك بتقبل فكرة التخلص منه فسوف نواجه مشكلة

(جواهر) بأعين مغمضة: لا أبداً.. كنت أتحدث فقط.. لا تقلق.. شكراً لأنك أنصت لي..

نهضت ورفعت صوت التلاوة أكثر وصعدت للطابق العلوي ولم أكن أريد أن أكمن وقتها لكنني كنت بحاجة ماسة للراحة ولو لساعة واحدة وهذا ما قمت به بعد ما وضعت الديك على الأرض وأغلقت الأنوار واستلقيت في الفراش مغمضاً عينيّ منصتاً لتلاوة سورة البقرة الخفيض الآتي من الطابق السفلي. الكمون درجات.. خفيف ومتوسط وعميق والنوع الثالث قريب جدّاً من النوم ويفصلك عن الواقع جزئيّاً وقد تمكنت من الوصول لهذه المرحلة من الكمون بعد سنوات من الممارسة فمن تُفعل هالته لا يستطيع النوم نهائيّاً حتى يعتاد ويتمرن على ترويض جسده للخضوع لدرجات كمون أعمق.

قبل كموني ضبطت منبه هاتفي كي أستيقظ قبل أذان الفجر بدقائق لكني استيقظت وفتحت عينيّ فجأة على صياح الديك. نهضت مفزوعاً من السرير وخلال لحظات من التفكير المتوتر في الظلام الدامس والهدوء الجامد أدركت الحقيقة المرعبة وهي أن صوت التلاوة لم يكن يُسمع في الأرجاء وقد توقف.

نزلت جرياً للطابق السفلي متوجهاً لجهاز التشغيل وبدأت أضغط أزراره بسرعة وتوتر في الظلام لأعيد تشغيله وبالفعل أضاءت أنواره لكن مهما كبست على زر التشغيل لم يخرج صوت فحاولت إخراج القرص من مكانه لتفحصه.. ولم أجده.. لم أجد القرص المضغوط.. المشغل فارغ.. استدرت ببطء خلفي موجهاً نظري للأريكة التي استلقت (جواهر) عليها فلم أجدها هي الأخرى.

علمت وقتها أني ارتكبت خطأً جسيماً بالصعود للطابق العلوي وترك تلك الفتاة تصارع وساوس شيطانها العاشق وحدها. خطأ لا يقترفه المعالجون الهواة وكنت سأدفع ثمنه لا محالة. الوقت كان ضيقاً وخياراتي باتت محدودة وفي تناقص. لم ألحق أن أتخذ أي قرار لأن شيئاً ما أطبق على عنقي في الظلام ورفعني وألصقني بقوة في الجدار. لم يكن الأمر لغزاً فهذا بالتأكيد (ميجس) وقد تمكن من الدخول بعد ما أغلقت (جواهر) التلاوة وسيقتلني بلا شك.

بعض الشياطين تحب التلاعب بضحاياها قبل أن تنتزع أرواحهم

لكن ومن خلال قبضة (ميجس) وإحكامه على عنقي بقوة هائلة أيقنت أنه لن يمنحني رفاهية التلاعب بي قبل قتلي لمدة طويلة وسيهشم عنقي في أي لحظة. رأيت بصيص أملٍ طفيفاً وأنا أصارع الموت معلقاً ومثبتاً في جدار غرفة المعيشة المظلمة عندما بدأ ذلك الشيطان يهمس في أذني. لم يتحدث معي بالعربية لأنه فيما يبدو لم يكترث إذا كنت سأفهم كلامه أو لا لكنها كلمات ضاق بها صدره وكان يريد إخراجها. اللغة التي تحدث بها لم تكن إحدى اللغتين اللتين أجيدهما من لغات العالم الآخر والتي حرص (عمار) على تلقيني وتعليمي إياهما خلال فترة بقائي معه بل كانت لغة جديدة علي. تحدث (ميجس) بنبرة غاضبة لكن بصوت خفيض في أذني اليسرى بعبارة لم أستطع فهم شيء منها سوى كلمة واحدة.. «كومن تاج».. وهي المرادف لاسم (جواهر) بلغة العالم الآخر العامة فالأسماء لا يتغير نطقها في عالمهم مهما اختلفت اللغة مثل ما يحدث في عالمنا تماماً.

دنت ساعة موتي ولم أملك حتى القدرة على نطق الشهادة. أغمضت عينيّ متقبلاً نهايتي مستحضراً خالقي وخالق ذلك الشيطان المطبق على أنفاسي ودعوته بقلبي أن ينجيني.

سقطت على الأرض.. أخذت شهيقاً قوياً أعاد لي أطراف روحي التي همت بالرحيل عن جسدي.. اعتدلت في جلستي واضعاً يداً على عنقي واليد الأخرى على صدري المرهق من انقطاع الهواء وعيناي تجوبان غرفة المعيشة المظلمة في رهبة وحذر. بالرغم من أن المكان شبه معتم ولم تصله

إلا إنارة خفيفة من نافذة كبيرة تطل على فناء الملحق الخارجي المنار إلا أني تمكنت من رؤية ما يحدث أمامي بوضوح وسماعه بشكل أوضح. تقلب الأثاث وتطاير في كل ركن ومن الواضح أن عراكاً عنيفاً بين كينونتين مخفيتين قد نشب. أحدهما بلا شك كان (ميجس) والآخر فيما يبدو أتى لنجدتي.. لكن من هو؟.. ولمن ستكون الغلبة؟

في ضيافة الشيخ

مع اشتداد العراك بين الكينونتين بدأت بعض معالمهما تظهر وتتشكل تدريجيّاً حتى اتخذا تشكلاً كاملاً على هيئة كلبين يعتركان بضراوة أحدهما أبيض اللون والآخر أسود وبذلك استطعت التفريق بينهما فـ(ميجس) كان لا بد أن يكون الكلب الأبيض فهذا هو اللون المفضل للأسياد عندما يقررون التشكل أما الآخر وبسبب اختياره اللون الأسود فهو غالباً من الجن وليس شيطاناً وهذا ما أثار استغرابي خلال مراقبة عراكهما لأن الجن نادراً ما يتصادمون مع الشياطين لأي سبب لأنهم مؤمنون ويتجنبونهم قدر الإمكان.

الكفة بدأت ترجح لـ(ميجس) مع استمرار النباح والزمجرة والصدام المستمر بينه وبين ذلك الكلب الأسود لأن الشياطين العاشقة من طبقة الأسياد تملك قوة استثنائية خاصة إذا كانت معمرة ولم أكن أستطيع مد يد العون خاصة وأني لم أتيقن حتى الآن من نوايا الطرف الآخر تجاهي فقد أكون واهماً في مسألة أنه أتى لمساعدتي وأدفع ثمن أي تحرك غير مدروس تجاههما لذا قررت البقاء مكاني وانتظار نتيجة النزال الذي بدا أنه سيحسم لمصلحة (ميجس).

أطبق الكلب الأبيض بأنيابه على رقبة الكلب الأسود وثبته للأرض وأخذ يهزه بعنف وهو يزمجر بوحشية فنهضت بثقل لأخرج من المكان لكن وقبل أن أبدأ بالتحرك نحو باب الخروج رفع أذان الفجر وافتتح بـ«الله أكبر» ممدودة بصوتٍ جهوري بعث الطمأنينة في قلبي والفزع والجزع في الكلب الأبيض الذي لفظ عنق الكلب الأسود النازف من بين أنيابه وبدأ يعوي بطريقة غريبة ونبرة متقطعة يخالطها بعض الصياح وكأنه متوجع من شيء ما. لم يبقَ (ميجس) في المكان خلال الأذان واختفى على الفور تاركاً الآخر على الأرض ينزف بغزارة. سرت نحوه بحذر واقتربت منه وكان كأي كلبٍ مصاب وبالرغم من ظلمة المكان الجزئية إلا أني أذكر بوضوح لسانه المتدلي وصوت أنفاسه اللاهثة.

حاولت على قدر استطاعتي إسعافه وإيقاف نزف جرح عنقه لكن نبع الدماء لم يتوقف حتى بعد ربطي له بقطعة من القماش وسقيه بعض الماء. حملت الكلب الأسود ووضعته على الأريكة وهو يلهث ويتنفس بسرعة وقد كان جليّاً لي أنه يحتضر. بقيت بجانبه بلا حيلة أراقبه بصمت حتى تذكرت معلومة من علمي الذي لا ينتفع به وخرجت للخارج وتوجهت لأقرب مكان فيه تربة وحملت بعضها بين كفي وعدت له مسرعاً ووضعت حفنة التراب على رقبته وتراجعت بضع خطواتٍ للوراء وأنا أشاهد الكلب وهو يتلوى ويصدر بعض الأصوات كالأنين. توقفت الأصوات وتوقف الكلب عن التلوي ولم ينهض ولم يتحرك

فظننت أنه مات لكن وقبل أن أسير عائداً نحوه قفز بسرعة من أمامي خلف الأريكة. لم أجد شيئاً لأفعله أو أقوله في تلك اللحظة سوى «هل أنت بخير؟». ما أن أتممت سؤالي إلا ورأيت شخصاً عارياً أسمر البشرة يقف من خلف الأريكة وهو يقول «شكراً..»

لا أنكر أني ارتبكت قليلاً مع أنها لم تكن أول مرة أتعامل فيها مع كينونة متشكلة لكني قلت: العفو.. من أنت؟

أنا (صمصام) نُصبت وقرنت بك لحمايتك..

- من قِبل من؟

(صمصام): شيخ «المراجيم» الشيخ (غيبان)..

- .. (غيبان)؟.. لمَ يعين حراسة علي؟.. أليس من مصلحته أن أموت كي يتحرر من عهده لي؟

(صمصام): أنا أنفذ أوامر الشيخ فقط..

- أنت لست بشيطان أليس كذلك؟.. أنت من الجن.. ومسلم

(صمصام): نعم.. نحن نأتمر للشيخ (غيبان) شياطين وجنّاً

- كيف للجن المسلم أن يتبع شيطاناً كافراً؟

(صمصام): لم يطلب الشيخ منا ترك عقيدتنا لذا لا نمانع أن نجتمع تحت رايته..

- الشياطين والجن لا تجمعهم راية.. إلا راية دم مثل التي يرفعها

شيخكم.. كلكم قتلة ومجرمون لا تختلفون بعضكم عن بعض

(صمصام): الشيخ طلب مني إحضارك في حال تعرضت لأذى..

- إحضاري إلى أين؟

(صمصام): لمكان تجمع القبيلة..

- لم أتعرض للأذى والحمد لله.. يمكنك العودة الآن لشيخك

(صمصام): أنا لم أبارحك منذ أن عدت لمنزلك بعد مبايعة الشيخ لك..

- فهمت الآن.. اختارك (غيبان) لأنك من الجن وهم أكثر قدرة على التخفي من الشياطين ولذلك لم أشعر بوجودك

(صمصام): اختارني لأني الأفضل في ما أقوم به..

- لا أعتقد أنك تقصد الحماية فذلك الشيطان العاشق كاد يفتك بك لولا أن لطف بك الله ورُفع الأذان لصلاة الفجر

(صمصام): لو لم أكن مأموراً بحمايتك من الشيخ (غيبان) لفتكت بك أنا الآن.. قالها وهو يزمجر بخفة.

- شيخك بايعني على الولاء لذا فأمري نافذ عليك كما هو عليه

بدأ ذلك الجني بالتحرك نحوي وبدأت معالمه تتضح أكثر حتى وقف أمامي وكان كأي رجل يمكن أن تقابله في الشارع.. عيناه جاحظتان ومحمرتان وبشرته السمراء صافية وخالية من الندب والشعر. لم يتحدث

معي وبقي يحدق بي ظنّاً منه أنه سيرهبني لكنه عندما رأى أني لم أكن مكترثاً له قال:

«يجب أن تذهب معي الآن للشيخ..»

- أخبرتك بأني لن أذهب معك إلى أي مكان.. يجب أن أجد الفتاة وأساعدها

(صمصام): الفتاة هي من ساعد ذلك الشيطان على الدخول هنا بإيقاف التلاوة

- توقعت ذلك لكني لا ألومها فقد تركتها وهي لا تزال تحت تأثير (ميجس)

(صمصام): هي الآن ليست هنا لقد رحلت معه وبقاؤك لا فائدة منه وسيعرضك للخطر

- كيف أرحل والفتاة مخطوفة؟!.. ماذا أقول لأهلها؟!

(صمصام): هناك من سيحل مكانها..

- عن ماذا تتحدث؟

لم يجبني (صمصام) لكني رأيت خلفه ظل شخص يظهر تدريجاً.. لقد كانت (جواهر) تسير نحونا فقلت بتعجب: انظر.. لقد عادت!

أجابني دون أن يلتفت عليها: هذه ليست هي لكنها ستحل مكانها كي لا تقع في مشكلات مع أهلها

- هل هي جن متشكل؟

(صمصام): شيطانة متشكلة من قبيلتنا..

- وإلى متى ستبقى هنا؟

(صمصام): إلى أن يأمر الشيخ بأمرٍ آخر..

كانت خياراتي محدودة وبقائي لم يكن له نفع في غياب (جواهر) لذا وافقت على مضض للذهاب مع (صمصام) حيث كان يريد أخذي. الانتقال والتنقل مع الجن يختلف عنه مع الشياطين فهي تدخلك بعد موافقتك في حالة أشبه بالإغماءة حتى تصل بك للمكان المنشود على عكس الشياطين التي تحلق بك في عنان السماء وعلمت لاحقاً أن الجن يملكون القدرة على نقل البشر بطريقة الشياطين نفسها أيضاً لكنهم يفضلون غالباً الطريقة الأولى لأسباب ما زلت أجهلها.

استيقظت من إغماءتي التي أدخلني فيها (صمصام) في صحراء مفتوحة أول الصباح والشمس لا تزال تشق الأفق البعيد. معلوماتي كانت محدودة عن قبيلة «المراجيم» لكني أعرف أنهم يستوطنون «الدهناء» وكثبان الرمال الحمراء التي أحاطت بي أكدت لي ذلك. كنت وحدي ولم أرَ الجني الذي نقلني في المكان ولم أعرف ما الذي يجب علي القيام به فنهضت وبدأت بالسير شرقاً معتمداً على موقع الشمس في الشرق. توقعت أنني سوف أقابل أحداً أو ألتقي بأحدٍ قبل أن تشتد حرارة الشمس لكن ذلك لم يحدث حتى بعد أن مشيت لساعات تحت

حرارتها المحرقة. لم يكن هناك أي معالم للمدنية أو الحياة في تلك الرقعة الشاسعة وحتى الشجيرات الصغيرة التي مررت بها من وقتٍ لآخر كانت قليلة ومحدودة. اضطررت لخلع جزء من ملابسي وتغطية رأسي بها لحمايته من حر الشمس التي تعامدت في السماء. دخلت في صراعٍ مع نفسي بين الوقوف أو الاستمرار في المشي. قررت تجاوز أكبر مسافة أستطيع قطعها خلال النهار لكن قواي بدأت تخور مع اقتراب العصر وجلست فوق أحد الكثبان الرملية أستعيد بعض عافيتي.

لمحت في الأفق البعيد شيئاً مختلفاً عن بساط الصحراء الرملي الأحمر.. شيئاً كالسيارة أو البنيان الصغير وكنت شبه واثق أن ذلك المجسم لم يكن موجوداً خلال سيري لكني لم أستطع الجزم. قررت تغيير مساري والتوجه نحوه مجازفاً بذلك بما تبقى لي من طاقة ذلك اليوم على أمل أن أجد بعض الماء أو شخصاً يساعدني. مع تقلص المسافة بيني وبين ذلك الشيء في الأفق اتضح لي أنه كان منزلاً طينيّاً صغيراً وسط الصحراء فخاب أملي أن أجد أحداً داخله أو بعض الماء ومع ذلك أكملت المسير نحوه حتى وصلت لبابه الخشبي المتهالك. لم أتردد في الدخول والاحتماء مما تبقى من حر النهار فدخلت ووجدته منزلاً مُكوناً من غرفة واحدة صغيرة خالية من الأثاث. مجرد جدران طينية مشققة وعلى يساري كان هناك فقط ما يشبه الحوض الحجري المرتفع. ألقيت نظرة داخل ذلك التجويف لعله يكون بئر ماء لكني لم أرَ له قاعاً فقد كان مظلماً جدّاً. صرخت بداخله

وأكد لي صدى صوتي أنه عميق وعلى الأرجح فارغ وجدرانه صخرية وليست ترابية. حاجتي للماء دفعتني للخروج والبحث عن صخرة أو حجارة أرميها داخل البئر. كان لا بد أن أتيقن من خلوه من الماء.

قد يظن البعض أنني وجدت مرادي بسرعة لكن ما حدث هو أني وعلى اتساع تلك الصحراء الحمراء لم أجد حجراً واحداً فاضطررت للعودة وخلع حذائي الأيمن ورميه داخل ذلك التجويف. رميت الحذاء ووجهت أذني منتظراً سماع صوت ارتطامه لأحدد ما إذا كان هناك ماء في القاع أم لا.. انتظرت وانتظرت ولم أسمع شيئاً وكأن ذلك التجويف بلا قاع. أقنعت نفسي بأني لم أركز جيداً وأني لم أنتبه للصوت فخلعت الحذاء الآخر وقبل أن أرميه وجهت أذني داخل التجويف ثم رميته وكما حدث في السابق بقيت لأكثر من دقيقتين متصلتين دون أن أسمع شيئاً.

جلست في إحدى زوايا المكان الذي أنير بنور الشمس المخترقة لشقوق الباب الخشبي المتهالك وكسرٍ صغير جدّاً في سقف المنزل الخلفي وبعد دقائق من الصمت والتفكير تمكن التعب مني أخيراً واستلقيت على الأرض الرملية وأغمضت عينيّ وغفوت.. نعم غفوت ولم أكمن.. كانت هذه المرة الأولى التي أنام فيها بشكل طبيعي منذ أن قام (عمار) بتفعيل هالتي. لم أعرف السبب وقتها لكنني علمت لاحقاً أن قوة هالتي في ذلك المكان قد تبددت وكأن طاقتها سُحبت أو تدمرت بالكامل.

هل تعرف ما الذي يمكن أن يخيفك لدرجة تجعل قلبك يريد

التوقف؟.. أن تستيقظ في مكانٍ مظلم وأنت لا تذكر أين أنت ولَم أنت هنا وكيف وصلت.. هذا ما حدث معي عندما فتحت عينيّ ليلاً في ذلك المنزل الصغير وسط الصحراء الحمراء. أصبت بالجزع الشديد.. ظننت لوهلة أني فقدت بصري وهدوء المكان الصارخ لم يزدني إلا جزعاً ورهبة. لم أكن أسمع سوى أنفاسي المتسارعة والمتقطعة ولم أشعر بشيء سوى بنبضات قلبي المؤلمة وقطرات العرق الساخنة التي بدأت تنساب على جبيني. مع اعتدال الرؤية في عينيّ واعتيادهما على الظلمة بدأت أرى بعض النور في الخارج يتسلل من بين شقوق الباب الخشبي فنهضت وخرجت مبتعداً بضع خطوات عن المكان وجلست على الرمال تحت سماءٍ امتلأت بالنجوم المشعة يتوسطها قمرٌ شبه مكتمل.

بقيت وحدي أتأمل النجوم والأفق بصمت لدقائق حتى سمعت أو هيئ لي أني سمعت أحداً يناديني. لم أتمكن من تحديد اتجاه أو مصدر الصوت في بادئ الأمر لكنه عندما تكرر عرفت بأنه كان يأتي من المنزل الطيني الصغير الذي خرجت منه للتو. لم أستطع فهم مضمون النداء بالكامل فقد كان الصوت خفيضاً محمولاً على ريح الصحراء ونسيمها البارد العابر عند مسامعي. حسب ما أتذكر كانت مجرد كلمات مقتضبة ومتقعطعة مثل «تعال» أو «عد». نهضت من مكاني ووجهت نظري لدرفة باب المنزل نصف المفتوحة وبدأت بالسير ببطء نحوها. قد تكون الريح وقد يكون شيئاً آخر لكن مع تقدمي نحو المنزل أخذت درفة الباب

تتحرك وتتسع. وقفت أمام مدخل المنزل الطيني أحدق بتلك الغرفة المظلمة وأنا في حيرة من أمري والخوف والارتياب يتصارعان في جوفي. فجأة وبدون مقدمات خرج رجلٌ من المنزل ووقف أمامي مما دفعني للتراجع مفزوعاً للوراء والسقوط على الرمال. اعتدلت بسرعة لكنني لم أقف وبقيت أنظر لذلك الرجل المحدق بي حتى تحدث معي وقال: أريد الحديث معك..

نهضت ونفضت الرمال من علي وأنا أقول: ومن أنت؟

(الرجل): تربطني بعهدٍ ولا تعرف من أنا؟.. أي نوعٍ من السحرة أنت؟.. قالها وهو يمد إناءً كان بيده تجاهي..

- لم أعرفك بلا سنامك يا شيخ (غيبان) ثم أنا لست بساحر.. قلتها وأنا آخذ الإناء من يده وقد كان ماءً شربته بنهم من شدة العطش..

(غيبان): لِمَ تعبث إذاً بتلك الطلاسم؟

- لحظة ضعف وانتهت..

(غيبان): لم ينتهِ شيء.. اتبعني..

دخل شيخ «المراجيم» للمنزل الطيني وبمجرد دخوله أضاء المنزل وكأن الشمس أشرقت بداخله. رميت الإناء الفارغ جانباً ودفعت درفة الباب عند وصولي لعتبة المنزل ولشدة قوة النور لم أستطع رؤية شيء

بالداخل لكني سمعت (غيبان) يقول:

«النور القوي يُعمي أكثر من الظلمة..».

أجبته وأنا أغطي عينيّ بظهر كفي قائلاً: نعم وصلت المعلومة.. هل يمكنك تخفيف ذلك الضوء؟

تراجعت أشعة النور تدريجيّاً حتى أصبح المكان مناراً بطريقة مكنتني من رؤية (غيبان) وهو جالس في إحدى الزوايا يشير لي بالاقتراب والجلوس أمامه. جلست وأنا أنتظر تبريراً لوجودي في هذا المكان لكن الحوار الذي بدأه معي كان غريباً وبعيداً كل البعد عما توقعت وقال: حررني من عهدي معك..

- أحررك كي تقتص مني؟.. لا لن أفعل

(غيبان): لا تظن أنك تستطيع الهرب من سخطي للأبد.. يمكنني أن أقضي عليك وقتما أشاء

- وما الذي يمنعك؟.. إتيانك بي إلى هنا لم يكن عبثاً وأريد معرفة السبب

(غيبان): لقد بحثت في تاريخك ومعك حق أنت لست ساحراً أنت شيء أكثر خطراً علينا

- ماذا تريد مني؟.. لن أحررك ولن ترهبني بكلامك

(غيبان): أنا لا أحاول إخافتك بل أحاول تحذيرك..

- تحذيري من ماذا؟

(غيبان): عبثك المستمر بعالمنا لن يأتي لك إلا بالمصائب وكذلك أهلك لن ينجوا من الخطر

- لا تتحدث عن أهلي ولا تجرهم للموضوع!

(غيبان): اختيارك لقبيلتنا لتوفر لك الحماية دليل على ذكائك وخبثك فأنت تعرف أننا أقل قبيلة التزاماً بالقوانين وسوف نتجاوزها ونكسرها دون أدنى اكتراث للتبعات لكن ما لا تعلمه أن هذا بين القبائل فقط وليس أمام «المجلس»..

كانت هذه أول مرة أسمع فيها عن «المجلس» فكل علمي السابق كان حول القبائل من الجن والشياطين وتناحرها فيما بينها لكن لم أكن أعلم بتنظيم أعلى يحكمهم. سألت (غيبان) عن ماهية هذا «المجلس» وعلى عكس توقعي مرة أخرى تحدث عنهم بكل أريحية وتفصيل قائلاً:

«المجلس دائرة تتكون من خمسة أعضاء يرأسها الأب الكبير وهم من يديرون شؤوننا ويوجهوننا وكلمتهم هي العليا والكثير من الجن والشياطين أنفسهم لم يلتقوا بهم لكن جميعهم يعرفونهم ويهابونهم فهم من يحلون ويربطون في أدق تفاصيل حياتنا ولا يجتمعون إلا مع أكبر شيوخ القبائل فقط وفي أوقات نادرة ومحدودة.. وزعيم «المجلس» وقائدنا وزعيمنا جميعاً لا يلتقي بأحد وتواصلنا معه يأتي من خلال الأعضاء الخمسة فقط.»

- وما علاقتي بكل هذا؟

(غيبان): عندما كنت أجمع المعلومات عن ماضيك ترددت أقوال كثيرة ذكرت أنك قابلت أعضاء المجلس في السابق والشائعات تقول أيضاً إنك التقيت بأبينا الكبير وتحدثت معه.. هل هذا صحيح؟

- لا ، غير صحيح..

(غيبان): أهميتك بالنسبة لي ناجمة عن هذه المعلومة فإذا كانت غير صحيحة فلا قيمة لك عندي وسأقتلك

- ما زلت أتساءل كيف ستقتلني وقد قطعت عهد الولاء لي؟

(غيبان): بأن أتنازل عن مشيخة القبيلة لابني الأكبر وبذلك ينكسر العهد بيني وبينك وأقتلك بكل سهولة

كان مع (غيبان) حق فالعهد الرابط بيني وبينه هو لشيخ قبيلة «المراجيم» فقط وتنازله عن تلك المشيخة سيكون كصك عفو من عهدي معه ويمكنه بذلك قتلي بسهولة. قلت وأنا أحاول أن أخفي توتري:

- حسناً.. لَمِ التردد؟.. هيا نفذ تهديدك

(غيبان): الشيء الوحيد الذي منعني من التنازل عن مشيخة القبيلة ونزع روحك هي شائعات مقابلتك لأبينا الكبير في الماضي ومساعدة المجلس لك في قتل أحد زعماء القبائل

- كانت زعيمة وليس زعيماً..

(غيبان): ماذا؟!.. إذاً فالكلام صحيح!

- نعم صحيح.. كان اسمها (جند) وقد غدرت بأخيها (جسار) وانتزعت منه زعامة قبيلة «الكثبان»

تغيرت ملامح (غيبان) وتبدلت من الثقة في الحديث لرهبة واضحة مني بالرغم من أني لم أقل شيئاً يستحق الخوف بهذا الشكل. بعد صمت ثوانٍ أمضاها (غيبان) محدقاً قال: من أنت ليساعدك المجلس الأعلى ويتحدث معك أبونا الكبير؟

- أنا كما قيل لي سابقاً «مجرد سافل علوي حكم العالم السفلي..».. لكن كل ذلك انتهى الآن..

(غيبان): لم ينتهِ شيء.. تدخلك بين الأمير (ميجس) وعشيقته الإنسية أعادك لدائرة الخطر مرة أخرى..

- أمير؟.. كنت أظنه من الأسياد فقط

(غيبان): لا.. (ميجس) أمير من أمراء قبيلة «الثلما» وهو يبحث عنك ويطالب بدمك وقبيلتي لن تستطيع حمايتك من بطش «أمير» من الشياطين وخاصة أميراً من قبيلة «الثلما».. كل ما أستطيع أن أوفره لك هو مكان لتختبئ فيه»

- وإلى متى سأبقى مختبئاً؟

(غيبان): ربما إلى الأبد..

- ماذا؟!.. ماذا عن أهلي؟!

(غيبان): لقد عينت بديلاً متشكلاً عنك ليحل محلك وهو من أخبرني بأن الأمير (ميجس) أتى لمنزلك للبحث عنك وعلم بأنه ليس أنت وأنه شيطان متشكل

- ألم يستجوبوا تابعك؟

(غيبان): بلى لكنه أخبرهم بأنك أنت من تركته مكانك قبل رحيلك وهو لا يعرف عنك شيئاً..

- وهل صدقوه؟

(غيبان): ولِمَ لا يصدقونه؟.. (ميجس) مقتنع بأنك مجرد شخص عبث معه بجهالة منه ولا يريد شيئاً سوى الانتقام منك بقتلك

- ما زلت لا أفهم سر إبقائك لي على قيد الحياة وتعريض نفسك للخطر خاصة وأنك قلت للتو إنك تستطيع التملص من عهدي بالتنازل عن مشيخة القبيلة وحكاية علاقتي الماضية بالمجلس لم أستوعب كيف ستفيدك

(غيبان): كنت أمام خيارين.. التنازل عن المشيخة والاقتصاص منك أو مساعدتك والحصول على شيء أكبر من مشيخة قبيلة «المراجيم»

- حدد تلك الفائدة..

(غيبان): كونك أقمت علاقة مع «المجلس» في الماضي حتى وإن

كانت وجيزة وحديثك مع أبينا الأكبر وخروجك حيّاً يعني أنك شخص يهمهم بقاؤك على قيد الحياة

- هل تفكر بمقايضة سلامتي بمنصب أعلى؟

(غيبان): نعم بالضبط..

- لا تكن واهماً.. ما حدث معي في الماضي كان له ظروفه الخاصة وفي الغالب أنهم نسوا أمري ومن أكون

(غيبان): لا أحد في عالمنا ينسى أي شيء وما فعلوه معك لم يكن إحساناً..

- أعرف بأنه لم يكن إحساناً لكنه بالتأكيد لم يكن عربون محبة أيضاً

(غيبان): هل تريد الخروج من هنا أم لا؟.. أم تريد البقاء طيلة حياتك في هذا المكان؟

- لا ، بالطبع أريد الخروج وبأسرع وقت

(غيبان): إذاً أعطني الإذن بأن أكون وسيطاً لك في حل مشكلتك مع الأمير (ميجس)..

- ماذا عن الفتاة؟

(غيبان): عن أي فتاة تتحدث؟.. مشكلتك أكبر بكثير مما تتصور وفي الغالب ستبقى مع الأمير (ميجس) طيلة حياتها والشيطانة التي تحل مكانها الآن سوف نستدعيها قريباً

- لقد وعدتها بأني سأساعدها..

(غيبان): انسَ وعدِك لها القوانين العليا تمنعنا من التدخل بين «أمير» ومعشوقته

- شيخ «المراجيم» يتحدث عن القوانين؟

(غيبان): لا أحد يعيش بدون قانون حتى لو كان قانون «الغاب» كما تسمونه في عالمكم وتعرض قبيلتي لقبيلة مثل قبيلة الـ«ثلما» انتحار

- الفتاة يجب أن تعود لأهلها..

نهض (غيبان) ووقف أمامي وهو يقول: الحديث في هذا الموضوع مضيعة للوقت كل ما أستطيع تقديمه لك الآن هو مكان تقيم فيه بأمان وراحة فقط

- أمان ربما.. لكن راحة؟.. لا أعتقد

(غيبان): ما الذي ينقصك؟

- لا أعرف عنكم ولكن البشر يحتاجون للماء والطعام

(غيبان): لا تقلق سيصل الزاد والشراب كل يوم مع (صمصام)..

- الجني الذي عينته لحراستي؟

(غيبان): نعم وهو سيلبي لك كل طلباتك حتى أصل لحلٍّ مع (ميجس) وأخرجك من هنا وتحررني من عهدي لك وينتهي كل شيء

- وكم سيستغرق ذلك؟

بدأ النور يزداد في المكان وبدأت معالم (غيبان) تختفي وهو يقول: لا تستغرب لو استغرق الأمر سنوات..

نهضت من مكاني وأنا أصرخ فيه قائلاً: ماذا؟!.. سنوات؟!

انقشع النور وعادت الظلمة للمكان وعم معه الهدوء..

غفوات على حجر الشيطانة

لم يهزني حديثي مع شيخ «المراجيم» عن الخطر المهدد لحياتي مثلما هزتني عبارته الأخيرة وهي أني قد أبقى في هذا المكان المعزول لسنوات. بدأ جحيم الثلاث السنوات التي قضيتها مع (عمار) يعاودني مرة أخرى ولم أكن مستعدّاً أو متقبلاً لذلك أبداً. شعرت بالضيق وخرجت من المنزل الطيني الصغير وبدأت بالسير مبتعداً عن المكان. لم تكن لي وجهة محددة أو نية لشيء كنت أريد فقط الابتعاد عن سجني الجديد ولم أكترث للعواقب. ابتعدت كثيراً حتى ظهر (صمصام) من خلفي متشكلاً بهيئة ذلك الرجل الأسمر لكنه هذه المرة اكتسى برداءٍ أبيض ناصع ونادى علي قائلاً: إلى أين؟

التفت عليه بعد ما تعرفت على صوته وقلت: إلى حيث أريد!.. أنا لست أسيراً عندكم!

(صمصام): ألم يشرح لك الشيخ وضعك الجديد؟

- بلى وشرحه لا يعني موافقتي!

(صمصام): هل تعرف أين أنت؟

- يمكنني التخمين..

(صمصام): أنت بعيدٌ جدّاً عن أي بشر يمكنك الوصول إليه سيراً على الأقدام

- هل تعرض علي أن تقلني وتوصلني لأقرب تجمع بشري؟

(صمصام): لا.. أنا أخبرك فقط بأنك ستموت لا محالة لو قررت استئناف المسير

- ربما يجب أن أموت كي أرتاح

(صمصام): أنت مسلم مثلي وتعرف ماذا ينتظرك بعد الموت..

ابتسمت.. لا أعرف لماذا لكني ابتسمت.. الإنسان غريب.. يأنس بأي شيء.. عندما كنت وحدي كانت الدنيا ضيقة جدّاً لكن عندما أتى هذا الجني وتحدث معي خف الضيق عني بالرغم من أن حديثه كان عن الموت وعذاب الآخرة نوعاً ما. أخذت بضع خطواتٍ تجاهه وهو يراقبني بصمت ووجهٍ خالٍ من التعابير وقلت:

وماذا تقترح أن أفعل الآن؟

(صمصام): تأكل وتشرب.. الشيخ أمرني بإطعامك كل يوم..

- لا أرى معك أي كيس للطعام

(صمصام): كيس ماذا؟

لا أعرف لماذا لكني في تلك اللحظة انفصلت عن الواقع وبدأت

لا آخذ شيئاً على محمل الجد وبت أتعامل مع الأمر بخليط من العفوية والسخرية ربما لأني سئمت التوتر والقلق وقررت أن لا أكترث لشيء وأن آخذ الحياة كما ترمي بنفسها علي. بدأت بالسير عائداً نحو المنزل الطيني وعند تجاوزي لـ(صمصام) الواقف بثبات قلت له:

- هيا لنعود لقفصي كي تطعمني؟

لم يتحرك الجني الموكل بالبقاء معي لكنه قال دون أن يوجه نظره نحوي: لا تبدو سعيداً..

توقفت عن المشي وقلت له: سعيد؟.. هل ترى أين أنا؟.. ربما يكون هذا المكان بالنسبة لكم جنة لكنه بالنسبة للبشر جحيم!

(صمصام): ما الذي ينقصك كي تصبح سعيداً في هذا الكان؟

- لا أعرف.. ربما بعض المسليات لكسر الأيام الطويلة التي سأقضيها هنا.. ولا تقل بأنك ستطعمني فالأكل ليس مصدر تسلية دائماً.. ربما للبعض لكن ليس بالنسبة لي.. قلتها بخليط من الغضب والتهكم

(صمصام): ما الذي سيجلب لك السلوان هنا؟.. قالها بهدوء وبرود بعد ما التفت نحوي

- لا تشغل بالك أنا معتاد على العزلة على أي حال

(صمصام): لا أريد أن أفشل في مهمتي مرة أخرى..

- أنت لم تفشل.. أنا ما زلت على قيد الحياة ألا ترى؟.. انسَ الأمر

اقترب (صمصام) مني ومد لي ورقة خضراء وقال: تناول هذه..

ابتسمت وقلت له: شكراً لكن البشر يتناولون أشياء أخرى يبدو أنك قد خلطت بيني وبين كائن آخر

(صمصام): هذا ليس طعامك..

- ماذا إذاً؟

(صمصام): تناولها فقط.. رجاءً..

مددت يدي وأخذت الورقة ووضعتها في فمي وبدأت ألوكها وأنا أقول: هل يمكنني العودة الآن؟

(صمصام): نعم..

بدأت بالسير نحو المنزل الطيني الصغير ولاحظت أن هناك نوراً يخرج من شقوق الباب مثلما حدث عند زيارة (غيبان) لي فتوقعت أنه عاد مرة أخرى لكن وعندما دفعت درفة الباب ودخلت رأيت شيئاً بهرني. رأيت المكان وقد تغير تماماً، كان نظيفاً وجدرانه وكأنها قد طليت للتو بالدهان الأبيض وقد فُرش بالسجاد والأثاث الفخم بالإضافة لفراشٍ أرضي من الواضح أنه من قماشٍ فاخر والوسادة الكبيرة التي كانت عليه مريحة بمجرد النظر إليها. كل شيء تغير إلا ذلك التجويف المشابه للحوض الحجري فقد كان كما رأيته أول مرة والغربلة التي حلت بالمكان لم تطلْه

أو تصل إليه. خلال نظري وتمعني حولي بانبهار تحدث (صمصام) من خلفي وقال: هل أنت راضٍ؟

أجبته دون أن أحيد بنظري عن جوف المنزل الباهر: بداية جيدة.. ماذا لديك أيضاً؟

(صمصام): تفضل بالجلوس على تلك الأريكة وسأخبرك..

جلست على أريكة لا يمكن وصف جمال نقوشها ونعومة ملمسها وأنا أراقب كيف تحول ذلك المنزل الصغير المكون من غرفة واحدة إلى تلك الجنة المُصغرة. لم أبالغ حين أسميتها جنة فكل شيء كان براقاً ويتلامع والنور الأبيض غطى المكان دون أن أستطيع تحديد مصدره. شعورِ غريب بالراحة أحسست به وقتها ولم أحس به منذ زمن طويل.

(صمصام): هل تريد مني تقديم الطعام الآن؟

- لا.. يبدو أن ورقتك قد أخذت حيزاً في معدتي ولم أعد أشعر بالجوع

(صمصام): ماذا عن الماء؟

- كنت أشعر بالعطش وماء الإناء الذي أعطاني إياه شيخك لم يروِني بالكامل لكن الآن.. لا.. لا أشعر بالعطش..

(صمصام): جيد.. لنتحدث الآن عن مهمتي

- التي فشلت فيها أو التي ستفشل بها؟.. قلتها ساخراً

(صمصام): هل تسخر مني يا سيدي؟

انتبهت أن هذه أول مرة يناديني فيها (صمصام) بـ«سيدي» وهذا دليل ومؤشر أن تعليمات شيخ قبيلة «المراجيم» كانت صريحة بشأن كسب رضاي فقلت ضاحكاً: لا لا، أنا أمازحك فقط.. هات ما عندك..

(صمصام): مهمتي هي أن تكون سعيداً وراضياً خلال فترة إقامتك هنا وأن لا تشعر بالضجر حتى تنتهي فترة الضيافة

- تقصد الحبس؟

(صمصام): لا.. أقصد الضيافة.. أنت ضيف الشيخ..

- حسناً ماذا تقترح كي أكون سعيداً هنا؟

(صمصام): حدثني عن ما تحب..

- أحب الكتب والقراءة لكن لا مزاج لي للقراءة الآن

(صمصام): أعتقد أني أعرف ما سيعجبك يا سيدي

- الأمر متروك لاجتهادك..

(صمصام): بعض الجن والشياطين يُسخرون لهذه الأغراض من البشر وهي تجيد ذلك

- عن ماذا تتحدث؟

لم يرد (صمصام) علي لكنه اختفى بسرعة خاطفة بعد وميضٍ كالبرق

لمع أمامي. بقيت وحدي لثوانٍ حتى رأيت درفة الباب تتحرك وتدخل علي سيدة بشعرٍ أسود طويل وأعين زرقاء واسعة. بالرغم من ملامحها الجميلة إلا أنها كانت غريبة الشكل ذات مخالبَ طويلة نوعاً ما. بقيت أحدق بها حتى جلست أمامي على ركبتيها وهي تقول: أنا هنا حسب طلبك..

- أنا لم أطلب شيئاً..

(السيدة الغريبة): أتيت لأنك تبحث عن السلوان وسوف أقدمه لك

- يبدو أن (صمصام) لم يفهم قصدي

(السيدة الغريبة): ألا تحب القصص والحكايا؟

- قصص؟

(السيدة الغريبة): نعم.. أنا أجيد رواية القصص والحكايات المسلية للبشر

- شيء مثير للاهتمام.. وما نوع القصص التي تروينها؟

(السيدة الغريبة): أي نوع يستهويه قلبك..

- أنتِ من الجن أم الشياطين؟

(السيدة الغريبة): ألا يمكن رؤية الفرق؟

- تتحدثين كالجن وتشكلك شيطاني.. عيناك تدلان على ذلك.. أعتقد أنك شيطانة

(الشيطانة): أصبت في التخمين أنا منبهرة..

- هذا لم يكن تخميناً.. كان تحليلاً منطقيّاً ولا تحاولي الغواية معي بالإطراء

(الشيطانة): لا أحتاج لغوايتك إلا إذا كنت أنت من يبحث عنها..

كانت تلك الشيطانة تتحدث بعينيها الزرقاوين الواسعتين أكثر من لسانها ومن الواضح أنها تمارس مهنة غواية البشر بشكل احترافي وكنت هدفاً لها ولم أكن مستعدّاً أن أقع ضحية لها فطلبت منها الرحيل لكن شيطانة مثلها لم تكن لتستسلم بتلك السهولة وحاولت محاولة أخيرة.

(الشيطانة): سأرحل تلبية لرغبتك لكن هل تأذن لي بطلب..

- لا

(الشيطانة): اجعله رجاء إذاً..

- ماذا تريدين؟

(الشيطانة): أن أحكي لك حكاية واحدة فقط من قصصي وإذا لم تعجبك فسأرحل بلا عودة

- حسناً لا بأس.. هاتي ما عندك..

قامت تلك الشيطانة بالحبو تجاهي حتى أصبحت عند قدمي ثم وضعت يدها ذات المخالب الطويلة على ركبتي وقالت مبتسمة: يُحكى أن..

قاطعتها وأزلت يدها من علي قائلاً: تحدثي دون أن تلمسيني..

(الشيطانة): أمرك.. قالتها وهي لا تزال تبتسم..

بدأت تلك الشيطانة برواية قصة عجيبة وغريبة. كنت مشدوهاً بها وسارحاً في تفاصيلها. لا أعرف هل كان السبب تحديقي بعينيها وتبسمها خلال حديثها أم أن القصة التي روتها بالفعل كانت جميلة وساحرة. لم ينقطع تركيزي إلا عندما وكزتني بمخلبها على فخذي ضاحكةً وهي تقول: ما رأيك بالقصة يا سيدي؟

- هل انتهيتِ؟.. قلتها وأنا أستيقظ مما كان أشبه بالتنويم المغناطيسي

(الشيطانة): نعم هل أعجبتك؟

- لا أنكر أنها كانت شيقة

(الشيطانة): حسناً سأذهب الآن.. قالتها وهي تهم بالنهوض

- إلى أين؟!

عندها علمت أني وقعت في قبضتها وأنها قد غرست أول ناب في عنقي بعد سرد تلك القصة. عادت وجلست وهذه المرة اقتربت مني أكثر ووضعت رأسها على حجري وهي تبتسم وتقول: هل ترغب في سماع قصة أخرى؟

لم يكن الرفض خياراً معها فوافقت بهز رأسي كالأبله..

سردت قصتها الثانية وكانت أجمل وأطول من السابقة وما أن انتهت حتى طلبت أنا دون سؤالٍ منها قصة ثالثة وكأني مدمن يبحث عن جرعة من مخدر. استمرت تلك الشيطانة بسرد القصص والحكايا علي حتى أشرقت الشمس وخفت نور الغرفة وقالت: لقد حل الصباح ويجب أن أذهب..

- لا تذهبي فأنتِ لستِ شهرزاد وأنا لست شهريار ليسكتنا الصباح عن الكلام المباح..

كنت في حالة حمق وغباء عجيبة..

ضحكت وهي ترفع رأسها الذي وجد طريقه وقتها لصدري قائلةً:

«أنا لا أروي قصصاً في النهار ثم إنك بحاجة للنوم سوف أعود في المساء أعدك بذلك».

سارت نحو الباب واختفت قبل أن تصل إليه..

أحسست بعد رحيلها بكم الإرهاق الذي لم أحس به خلال وجودها ولم أستطع حتى النهوض والاستلقاء على الفراش ونمت مباشرة على الأريكة. لم يوقظني أحد أو يعكر صفو منامي العميق لذا استغرقت ساعات طويلة في النوم على تلك الأريكة المريحة والتي تتسع لشخصين. فتحت عينيّ ليلاً وكان النور في المكان خفيفاً بمقدار ضوء بعض الشموع ولم يكن لونه أبيضَ بل مائلاً للحمرة. اعتدلت في جلستي وأنا أدعك النعاس من عينيّ وتدريجيّاً زادت الإنارة حولي لدرجة مريحة للعين

مكنتني من مشاهدة ظهور مائدة كبيرة أمامي بها أصناف كثيرة من الطعام والفاكهة وكأنها كانت تنتظر استيقاظي. نزلت بكسل وبدأت أتناول الطعام والشراب بهدوءٍ وحدي. أمضيت أياماً طويلة في روتين يومي متكرر سلب عقلي وإدراكي بالزمن بين قصص تروى على لسان تلك الغاوية وموائد طعامٍ تقدم لي عندما أستيقظ.

أذكر تماماً في إحدى الليالي وبعد انتهائي من الطعام أني قلت «الحمد لله» وخرجت للخارج لفرك يدي ببعض الرمال للغَسْل وعندما بدأت بالسير عائداً للمنزل الطيني الصغير رأيت الوهج الأبيض ينير من داخله فعلمت أن هناك من حضر. دخلت ولم أجد المائدة ولم أجد أحداً كذلك. جلست على الفراش وتمددت للراحة لكني فزعت عندما رأيت يد تلك الشيطانة تمتد على صدري وهي تهمس في أذني قائلة: هل نبدأ؟

نهضت من مكاني بسرعة وأنا أصرخ فيها: من أين أتيتِ؟!.. لمَ تتسللين علي هكذا دائماً؟!

كانت تحب الألاعيب كثيراً ولم أعتد عليها أو آلفها أبداً.. كان هناك شيء يحول بيني وبين ذلك.

ابتسمت وهي تمد ذراعيها فوق رأسها وقالت: كنت أريد مفاجأتك..

أجبتها بغضب: تفاجئينني أم توقفين قلبي؟!

(الشيطانة): امسح ذراعك.. قالتها مشيرة لذراعي الأيسر والذي خُدش بمخلبها خلال نهوضي السريع وكانت الدماء تسيل منه..

- لا تغيري الموضوع.. قلتها وأنا أمسح الدم النازف على ذراعي بكفي الأيمن

نظرت لي بابتسامة خبيثة وهي تربت على الوسادة وقالت: تعال واقترب مني..

دنوت منها واستلقيت مرة أخرى بجانبها وما أن وضعت رأسي على الوسادة وبالقرب من صدرها حتى بدأت تمسح على جبيني وتداعب شعري بمخالبها كعادتها وتقول: لدي حكاية جميلة لك اليوم..

- عن ماذا؟

(الشيطانة): عن عشيقين افترقا رَغماً عنهما..

- موضوع مستهلك..

(الشيطانة): أعدك بأنك لم تسمع مثل هذه الحكاية من قبل

بدأت تروي حكايتها وهي تداعب غرتي بأناملها بينما أغمضت عينيّ وأنا منصت لها وكما حدث مع قصصها الأخرى اندمجت أشد الاندماج وكان صوتها الهامس في أذني أقرب للسحر. اختتمت القصة ففتحت عينيّ لأراها تقترب بشفتيها في محاولة لتقبيلي فدفعتها بقوة وقلت: لا تحاولي شيئاً كهذا معي!

(الشيطانة): لمَ؟.. ألا تحب النساء؟.. قالتها مبتسمة بخبث..

- لا أحب الشياطين!.. قلتها وأنا أنهض من الفراش وأسير نحو باب الخروج..

توقفت في منتصف الغرفة عندما قالت تلك الشيطانة من خلفي وهي لا تزال على الأرض: ألم تكن (جند) شيطانة؟

التفت إليها بوجهٍ متجهم وقلت: من أين تعرفين هذا الاسم؟!

(الشيطانة): الجميع في القبيلة يعرفون الآن قصتك يا (خوف).. لقد أخبرنا الشيخ بكل شيء..

شعرت لسبب ما بالغدر ونهرتها بقوة وطلبت منها أن لا تعود مرة أخرى فنهضت من مكانها وابتسامتها الخبيثة لا تزال على محياها وخرجت دون جدال. ومرة أخرى لم أكن أعرف لَمَ الشياطين تختار الاختفاء مرة ومرات أخرى تخرج كالبشر سيراً على الأقدام أعتقد أن المسألة لها علاقة بحالتها المزاجية.. لا أعرف. لم أبقَ مع أفكاري كثيراً ودخل علي (صمصام) وكان الوقت قبل الفجر بقليل وقال:

«ما الأمر يا سيدي؟».

أجبته بتجهم وامتعاض وقلت: أريد مقابلة (غيبان)؟!

(صمصام): لماذا؟.. هل قصرت معك بشيء؟

- أريد معرفة متى سأخرج من هنا!

(صمصام): أوامر الشيخ هي بإبقائك هنا حتى يقرر مقابلتك

- أنا من يريد مقابلته!.. لن أبقى هنا حتى يأذن هو بمقابلتي!

(صمصام): أرجوك.. لو نقلت له رغبتك فسيعرف بأني فشلت في مهمتي

- الأمر ليس عنك أو عن تقصيرك في عملك!.. أنا أريد مقابلته وفي الحال!

(صمصام): حسناً سأنقل له رغبتك..

- جيد.. وأخبره بأن لا يتأخر وإلا فسأترك المكان

(صمصام): ألم تجد سلواناً مع القصاصة؟

- هذه الشيطانة تجاوزت حدودها معي ولا أريد رؤيتها مرة أخرى!

(صمصام): أمرك..

رحل الجني وتركني وحدي في حالة من الغضب والتوتر فأنا لم أكن أريد أن أبقى أسيراً ومحتجزاً في ذلك المكان لأي سبب. جلست على الأريكة ولم أكن أظن أن (غيبان) سيزورني في اليوم نفسه لكنه ظهر أمامي بعد حواري مع (صمصام) بنصف ساعة تقريباً وقال: ما بك؟.. لَمَ طلبت مقابلتي؟

نهضت من مكاني وقلت بتجهم: أريد الخروج من هنا!

(غيبان): لقد شرحت لك الوضع ألم تفهم كلامي؟

- لِمَ تحدثت عني عند أفراد قبيلتك؟

(غيبان): عن ماذا تتحدث؟

- الجميع هنا يعرفون قصتي ويعرفون لقبي السابق!

(غيبان): الجميع؟.. لا أحد يعرف عنك شيئاً سوى (صمصام) وقد أخبرته بذلك كي يقوم بتلبية رغباتك بشكل أفضل.. ثم إن القبيلة ممنوع عليها الوجود في هذه المنطقة ولا أحد يسمح له بالاقتراب منك

- لكن..

أدركت أن تلك الشيطانة لم تكن سوى (صمصام) وقد تشكل بتلك الهيئة ظنّاً منه أنه سيرضيني. هاجسه للنجاح في مهمته جعله يفعل ذلك. لم أذكر أي تفاصيل أخرى لـ(غيبان) وحولت الموضوع للحديث عن (ميجس) وقلت: هل وصلت لأي شيء يخص أمير «الثلما»؟

(غيبان): ما زال الوقت مبكراً على القول لكن البوادر لا تبشر..

- كيف؟.. تحدث بالتفصيل..

(غيبان): لم أستطع التواصل مع «المجلس» لطلب وساطة لك والبحث عنك من قِبل أتباع (ميجس) مستمر وسيجدونك عاجلاً أم آجلاً

- وإذا وجدوني فماذا ستفعل أنت؟

(غيبان): أخبرتك أن قبيلتي ليست ندّاً لقبيلة الـ«ثلما» وحلفائها

- ستسلمني لهم إذاً..

(غيبان): الوضع اختلف الآن..

- لَمَ أبقيتني هنا إذاً ما دمت لا تنوي حمايتي؟!.. كلامك يناقض نفسه في كل مرة نتحدث فيها يا شيخ (غيبان)!

(غيبان): لقد تنازلت عن مشيخة القبيلة اليوم لابني.. أمرك الآن بيده..

كان وقع تلك الكلمات قوياً علي، كمن سمع نص الحكم عليه بالإعدام وينتظر موعد القصاص. لم أجادله ولم أتفوه بشيء سوى: هل لي بطلب أخير..

(غيبان): ماذا تريد؟

- لقاء أخير مع أهلي..

(غيبان): لا يمكنني منحك ذلك.. المتشكل الذي يحل مكانك سيبقى معهم حتى نوهمهم أنك مت بحادثٍ ما

- متى تنوون التخلص مني؟

(غيبان): الشمس ستشرق بعد قليل.. ستكون تلك آخر إشراقة تشهدها

- ستقتلونني ليلاً؟

رحل (غيبان) الشيخ السابق لقبيلة «المراجيم» ولم يعطِني إجابة..

جلست على الأريكة ولم أخرج من المنزل الطيني.. لم أحاول الهرب.. تقبلت مصيري بشكل غريب.. بدأت أسترجع حياتي الماضية في عقلي بشكلٍ سريع وأقتنع بأن هذه النهاية الطبيعية للحياة التي عشتها.. وقد تكون تأخرت كثيراً.

خلال جلوسي ظهر أمامي (صمصام) وقبل أن يتحدث معي ابتسمت وقلت له:

هل أتيت لتروي لي بعض القصص؟

(صمصام): كنت أقوم بمهمتي فقط..

- أي مهمة؟.. إلهائي حتى أعدم؟

(صمصام): هذه كانت أوامر الشيخ.. هل ترغب في تناول الطعام؟

- كيف سأعدم؟.. هل تستخدمون المشانق أم السيوف؟.. قلتها ساخراً ومتهكماً..

(صمصام): لا يحق لي الإجابة..

ابتسمت وأنا أراقبه وهو يختفي ويتبخر أمامي. الشمس بدأت تشرق في ذلك الوقت وأشعتها أخذت تخترق شقوق الباب الخشبي المتهالك والهدوء يعم المكان. كنت مرهقاً لكن النوم هجرني. شعور مؤلم أن تنتظر الموت. خلال سرحاني في أشعة الشمس التي بدأت ترتفع تدريجاً سمعت

صوتاً.. صوت شخص يحدثني.. الصوت أتى من التجويف الحجري في المكان. لم أسمع في المرة الأولى ما قاله لذا نهضت وتوجهت للتجويف وأطللت برأسي قائلاً: هل هناك أحد؟

جاءني الرد.. رد عجيب ومحير.. شخص أو شيء ما يقول:

«يبدو أنك وصلت لطريقٍ مسدود وهذا هو الوقت المناسب للحديث معك؟»

- من أنت؟

أنا (تبريز) أميرٌ من قبيلة «المناجيط»..

لم أسمع بتلك القبيلة من قبل لكن استخدامه للقب «أمير» يشير إلى أنه من الشياطين العلوية المنحدرة من السلالة النقية. حنيت رأسي في التجويف أكثر وقلت:

ولِمَ أنت في هذا التجويف؟.. هل تسكن هنا؟

(تبريز): أنا سجين..

- من قام بسجنك هنا؟

(تبريز): قبيلتي سلمتني لشيخ الـ«مراجيم» ليقوم بحبسي بعيداً عن أعين القبيلة..

- لِمَ لم يقتلوك؟

(تبريز): قتلنا ليس بالأمر السهل أو الهين فنحن من عرق الأب

الأكبر وأقصى ما يمكن القيام به في حقنا هو حبسنا إلى أن نموت وقبيلة «المراجيم» مناطة بذلك منذ مئات السنين وهذه الحفرة هي المكان المخصص لحبس الأمراء ومعنا أيضاً مجموعة من الجن المعمرين والشياطين العلوية

- معنى ذلك أنك لست وحدك؟.. كم عددكم؟

(تبريز): أكثر مما تستطيع أن تُحصي..

- وما الذي تستفيده قبيلة «المراجيم» من حبسكم؟

(تبريز): أشياء كثيرة على رأسها السكوت عن جرائمهم وأخذ الأمان من القبائل التي تستعين بها

- هذا يناقض ما قاله شيخهم.. لقد تحدث وكأنه عاجز أمام قبائل الأمراء عندما طلبت منه تخليصي من قبيلة «الثلما»

(تبريز): وهل صدقته؟.. قالها وهو يطلق ضحكة دوت بصدى قوي..

- لم يكن بحاجة لخداعي كي يقتلني.. كان يمكنه فعل ذلك في أي وقت

(تبريز): لقد أبقى على حياتك فقط عندما علم بعلاقتك السابقة مع «المجلس» وعندما يئس من المساومة بك عندهم قرر التخلص منك وتنازل عن المشيخة لابنه فمن الواضح أنه يُكن لك الكثير من الحقد

والامتعاض لأنك ربطته.. وبالمناسبة هو لا يزال مربوطاً بعهدٍ معك لكن قرار إعدامك يجب أن يصدر من شيخ القبيلة وهذا كان سبب تنازله عن المشيخة.. إنه يتلاعب بك لآخر لحظة في حياتك وقد نجح في ذلك حتى الآن

- ألم يخطر ببال (غيبان) أنكم قد تتواصلون معي مثلما تفعل الآن؟

(تبريز): نحن لم نكن لنستطيع التواصل معك ولديك حلف قائم مع شيخ القبيلة ولحسن حظنا يبدو أنه نسي ذلك وقدرته علينا لا تمتد لتكميم أفواهنا

- وهل لديك حل لما أنا فيه؟

(تبريز): نعم وهذا سبب حديثي معك الآن..

- ولماذا ستساعدني؟

(تبريز): هل تعرف قانون العالم الآخر؟

- لا يوجد شيء بلا مقابل..

(تبريز): تماماً..

- وما هو المقابل الذي تريده؟.. أن أحررك؟

(تبريز): ليس أنا فقط.. جميع السجناء هنا

- أنت تتحدث مع بشر أعزل ثم إني لا أرى قفلاً على هذا التجويف

(تبريز): سأرشدك إلى الطريقة التي ستحررنا بها

- تعلمت أن لا أثق بالشياطين أبداً.. كيف أتيقن من مساعدتك لي بعد تحريرك؟

(تبريز): هل أمامك خيار آخر؟.. أنا منصت..

- نعم.. أنا أتقبل مصيري..

(تبريز): ماذا عن وعدك لتلك الفتاة؟

أعرف أن الأمر قد يبدو غير عقلاني لكن وعدي لـ(جواهر) وفكرة أني سأتركها تقضي بقية حياتها في غياهب العالم السفلي بعد أن قطعت لها وعداً بمساعدتها وعدم التخلي عنها أزعجتني كثيراً وربما هو عقلي الباطن يبحث عن حجة كي أعيش وأتمسك بالحياة ولو حتى بأمل ضئيل. أجبت (تبريز) وقلت:

ما علاقة مساعدتي لك بوعدي لها؟

(تبريز): أنت لا تدرك حجم الكارثة التي ستتسبب بها عندما نخرج..

- هل يحق لي أن أسأل؟

(تبريز): أول سجين دخل هنا كان منذ ألف عام ونحن نتراكم منذ ذلك الوقت ووصلت أعدادنا لمئات الألوف من أمراء الشياطين العلوية والجن المعمر وتراكم معنا كره وغل عظيم لجميع القبائل.. نحن لا نريد الخروج لنهرب.. نريد مسح القبائل كلها وسنبدأ بـ«المراجيم» مروراً بـ«الثلما» ومنتهين بأي قبيلة في الجزيرة

- وهل سيسمح «المجلس» بذلك؟.. هناك قوانين..

(تبريز): كل قانون يمكن ثنيه وكسره إذا توفرت القوة الكافية.. سنحكم الجزيرة وسنفرض أنفسنا عنوة والمجلس لن يعترض..

- و (جواهر)؟

(تبريز): (كومن تاج) ستعود لأحضانك..

- أريدها أن تعود لأحضان أهلها وليس لي..

(تبريز): هل سنضيع الوقت في الحديث عن هذه الإنسية؟.. أطلقنا!

- حسناً.. حسناً.. كيف؟

(تبريز): عندما يحضرون لك الطعام ارمِ تفاحة من طبق الفاكهة في التجويف وتنحَّ جانباً..

- تفاحة؟.. فقط..؟

(تبريز): نعم ولا تنم فموعد إعدامك سيكون بعد غروب الشمس وإذا غفوت فلن يحضروا لك مائدة الظهيرة وستفوت الفرصة عليك وعلينا للخلاص

- لكن..

(تبريز): لكن ماذا؟

- ألم يسمع أحد حوارنا هذا الآن؟.. أقصد (صمصام)..

(تبريز): لا تقلق فهذا المكان مُصمت ولا أحد يستطيع استراق السمع منه.. لا تفكر بشيء سوى البقاء مستيقظاً حتى تأتيك المائدة الأخيرة..

- لا تقلق لن أنام..

تفاحة الشيطان

كان الوقت لا يزال في أول الصباح وموائد الطعام كانت تصلني في العادة عند أول الظهيرة وكما قال (تبريز) فإن موائد الطعام لا تُقدم لي خلال نومي حتى أستيقظ ولم يكن بيني وبين موعد إعدامي سوى مائدة الظهيرة لذا كان من المهم أن أبقى مستيقظاً حتى يحين وقت تقديمها فمنذ أن تبددت هالتي في ذلك المنزل أصبحت أنام بشكل أسهل وأسرع من السابق وفي بعض الأحيان بشكل مفاجئ وكأني أغط في غيبوبة لذلك كنت متوجساً من ذلك كثيراً.

ظننت أن المسألة سهلة في بادئ الأمر بالرغم من الإرهاق والتعب الشديدين اللذين كنت أحس بهما. لم أملك وسيلة لمعرفة وتحديد الوقت مما جعل الزمن بدا وكأنه لا يتحرك ولن ينتهي. تجنبت الجلوس أو الاستلقاء وأخذت أتجول في المكان لطرد النعاس الذي يباغتني في كل حين.

ملل.. شعرت بمللٍ خانق.. بين كل نفس ونفس كنت أتثاءب وأهز رأسي بقوة وأصفع وجنتيّ.. بدأت أتكئ على الجدار بظهري متجنباً

الجلوس على تلك الأريكة المريحة والمغرية. لم تدم مقاومتي طويلاً وأقنعت نفسي بأن الجلوس للراحة فقط لن يضر وسوف أقاوم النوم جالساً.

ما أتذكره هو أني جلست ورمشت فقط ولم أرَ نفسي إلا ليلاً و(صمصام) أمامي ينتظرني وما أن رآني قد فتحت عينيّ حتى قال: لقد حان الموعد..

نهضت مفزوعاً وقلت بتوتر شديد: لا! لا! انتظر!

(صمصام): وقتك نضب وحان وقت الرحيل..

- أرجوك تمهل لي طلب أخير!

(صمصام): ماذا تريد؟

- أن أتناول الطعام!

(صمصام): لا يمكنك ذلك الآن..

- شيخ القبيلة منحني حق طلب أخير وأنا أريد تناول الطعام قبل أن أموت!

(صمصام): الشيخ والأمير (ميجس) والقبيلة كلهم في الخارج ليشهدوا إعدامك ولا وقت لذلك..

- ماذا؟!.. (ميجس)؟!.. ما الذي أتى به إلى هنا؟!

(صمصام): أتى بطلبٍ من الشيخ (غيبان)..

- ولما يطلب منه (غيبان) الحضور؟

(صمصام): روحك هي ثمن ارتقاء وتقرب لشيخنا عند قبيلة «الثلما» فلم يعد لك حاجة عنده والأمير (ميجس) سوف يحفظ له هذا الجميل بلاشك

- لست متفاجئ من خبث شيخكم..

(صمصام): الزم حدودك عندما تتحدث عن الشيخ (غيبان)!

- أنت كنت دائماً حريصاً على إتمام مهامك وقد قصرت بعدم تقديم مائدتي الأخيرة لي!.. قلتها بارتباك شديد في محاولة لإقناع ذلك الجني المصمم على جري لساحة الإعدام..

(صمصام) بغضب: أنا لم أقصر بشيء وكنت دائماً أقوم بمهامي على أكمل وجه!

رده الغاضب أعطاني أملاً في تحييده عن تصميمه فالغضب أول مؤشر على تزعزع الثقة بالنفس وغياب الحكمة وكان لا بد أن أستغل تلك النقطة لأقصى حد فقلت له:

- بقي شيء بسيط وتكون قد أنجزت مهامك بشكل مرضٍ للجميع بمن فيهم أنا

(صمصام): إحضار مائدة طعام الآن ليس بالأمر البسيط..

- لا أريد مائدة.. أريد تفاحة فقط.. تفاحة لسد رمقي.. لا أريد الموت جائعاً

صمت (صمصام) بوجهه البارد والمتبلد وهو يحدق بي وأنا أنتظر رده بقلقٍ شديد وهلع يكاد ينفجر من عينيّ فلم أكن أعرف إذا كان على علمٍ سابق بأن تلك التفاحة هي مفتاح الخلاص لـ(تبريز) والمساجين المحبوسين معه في ذلك الحوض حتى تحدث وقال: حسناً.. لك ذلك

تنفست الصعداء برده وفي لمح البصر كانت تفاحة حمراء ممدودة لي على كفه وهو يقول: هيا تناولها لنرحل..

أخذت التفاحة من يده وحدقت بها لثوانٍ ثم وجهت نظري للتجويف على يميني ورميتها فيه وأخذت خطوتين للوراء.

ما حدث بعد ذلك يصعب وصفه لكني سأحاول..

خرج من فوهة التجويف ما يشبه الانفجار البركاني من الدخان والصرخات العالية وخرج منها أيضاً زوبعة من مئات بل آلاف الكرات المضيئة كالشهب والتي اندفعت بقوة وسرعة هائلة في سربٍ ضخم ومتصل وحطمت في طريقها للخارج الباب الخشبي المتهالك وجرفت معها (صمصام) أيضاً. جريت لإحدى زوايا المكان وجلست محتضناً نفسي وأنا أسمع الصرخات بالخارج وكانت في ما يبدو أنها معركة طاحنة بين قبيلة «المراجيم» والمساجين في التجويف.

بعد ما يقارب العشر الدقائق من الفوضى والصراخ توقف كل شيء فجأة وعم الهدوء المكان. هدوء لدرجة أني كنت أسمع نسمات ورياح الصحراء بالخارج. لم يكن هناك صوتٌ في الجوار عدا صوت إحدى

درفتي الباب المحطمة وهي ترتطم بين الجدار ومدخل المنزل بفعل تلاعب الريح بها.

كنت في حيرة من أمري.. هل أبقى في المنزل أم أخرج؟

وقفت مكاني.. لم أتحرك.. جلت بنظري في المنزل الذي عاد لحالته الأولى أول مرة كمنزل طيني قديم.. بدأت بالسير بخطواتٍ حذرة للخارج حتى وصلت لعتبة الباب واتكأت على ما تبقى من درفة الباب المحطمة أبحث بنظري في الأفق ولم أرَ سوى صحراء وكثبان رملية ممتدة تحت سماء منيرة بقمرٍ نصف مكتمل محاط بمئات النجوم المتلألئة.

«أمرك عجيب..»

هذا ما سمعته آتياً من خلفي فالتفت بسرعة نحو الصوت ورأيت منظراً أو بالأحرى شخصاً لم أظن يوماً أني سأراه مرة أخرى.. كان الرجل الأنيق من الجزيرة التي تركني عليها (جسار) يقف مبتسماً ومحدقاً بي وكفوفه مدسوسة في جيوب بنطاله الأسود. لم يخرج من شفتيّ سوى كلمة واحدة: «أنت؟!»

سار الرجل الأنيق وهو لا يزال مبتسماً حتى وصل عندي ثم أخرج كفه الأيسر من جيبه ووضعه على كتفي وهو يقول:

«لنأخذ جولة في هذه الصحراء الجميلة كي نتحدث..»

سرت معه بهدوء وبدون أدنى مقاومة أو تعليق حتى صعدنا على أحد الكثبان الرملية الكبيرة وجلس هو عليها وأشار لي بالجلوس بجانبه.

جلست بوجهٍ قلق ومتوتر وهو ينظر في الأفق أمامه وابتسامته لم تفارقه وبقي هكذا لدقائق ثم قال:

«كيف لشخصٍ مثلك أن يُحدث كل هذه المشكلات في عالمنا.. وليس مرة واحدة فقط بل مرتين.. أمرك عجيب حقّاً»

- أنا لم أفعل شيئاً باختياري..

(الرجل الأنيق): أخبرناك يا ابن آدم أنك مخير ولست مسيراً..

- ماذا حل بـ(تبريز) ومن معه من السجناء؟

(الرجل الأنيق): ماتوا جميعاً لمخالفتهم القانون

- إذاً فالنصر كان حليف «المراجيم»..

(الرجل الأنيق): لا.. هم لحقوا بهم أيضاً لفشلهم في التعامل معك وتركك تتسبب بفتنة كادت تطيح بمعظم القبائل في المنطقة

- ولَم لم تتدخل قبلها وتحل المشكلة بنفسك؟

(الرجل الأنيق): هذا ليس جزءاً من عملي..

- ما هو عملك إذاً؟.. أن تبيد قبيلة كاملة وآلاف المساجين بدل أن تقتل شخصاً واحداً؟

(الرجل الأنيق): هم أستطيع قتلهم أما أنت فليس لي عليك سلطان.. حاول أن تفهم هذا يا ابن آدم..

- كيف ليس لك علي سلطان وأتباعك كانوا سيعدمونني؟

(الرجل الأنيق): أنا لست هم.. فهم مخيرون ومكلفون مثلك..

- ومن تكون أنت؟

لم يرد الرجل الأنيق علي واكتفى بالصمت والتحديق مبتسماً بالأفق.. قبل أن أبادر أنا بالكلام تحدث هو وقال: يجب أن تتوقف عن ما تفعله..

- وما الذي أفعله؟.. أنا حتى لم أعد أعرف ما إذا كنت بالفعل أمامي الآن وتتحدث معي أم أن هذا من نسج خيالي

(الرجل الأنيق): يقال إن العاقل خصيم نفسه لكنك تملك خصوماً كُثراً..

- ليس لدي خصومة مع أحد

(الرجل الأنيق): أنت لم تعد خائفاً وهذا واضح لكنك بلا شك تائه وألد خصومك هو أنت..

- تائه عن ماذا؟.. طريق العودة ليس بالأمر الصعب

(الرجل الأنيق): التيه الذي أعنيه هو تيه الوجدان.. أنت تعبث مع المجهول دائماً لأنك سئمت الواقع وهذا لا بأس به إلا إذا بدأت تتخطى الحدود المرسومة لك

- حديثك ألغاز كالعادة..

(الرجل الأنيق): الإنسان يكون ضحية أفكاره إذا مال للخوف أو التيه والاتزان بينهما لا يكون إلا بمنهج واضح ليسير على الصراط القويم..

- وأيهما أخطر؟

(الرجل الأنيق): كلاهما ضياع..

- كيف أسير على الصراط وأنا لا أراه؟

(الرجل الأنيق): لَمَ لا تخبر الناس بما شاهدت؟

- لن يصدقني أحد وأنت تعرف ذلك

(الرجل الأنيق): ألا تكفي شهادتك؟

- شهادتي؟.. الناس يحتاجون دليلاً ماديّاً ملموساً وحتى لو قدمت لهم ذلك فمن المحتمل جدّاً أنهم لن يصدقوا أيضاً وسيقومون بتأويل الموضوع ويفسرونه بالطريقة التي تلائم عقولهم وتناسب معتقداتهم وعلى أية حال تصديق الناس ليس من اهتماماتي

(الرجل الأنيق): الشهادة دليل قوي ألستم أنتم من يأخذون به لإدانة المجرمين والحكم عليهم بالسجن أو حتى الإعدام أحياناً.. هل طلبوا دليلاً ملموساً عندما قاموا بذلك

- ماذا تقصد؟.. ومن تعني بهذا الكلام؟

(الرجل الأنيق): لَمَ كل هذا التشكيك في إخوتك؟.. إن بعض الظن إثم.. قالها بتهكم..

- إذا كان بعض الظن إثماً فهذا يعني أن أغلبه حق..

ضحك الرجل الأنيق مداعباً ربطة عنقه الحمراء وملتفتاً علي وهو يقول:

لطالما أعجبتني يا ابن آدم!

- متى سأعود؟

(الرجل الأنيق): تعود إلى أين؟

- إلى حياتي الطبيعية؟.. أم أنك تنوي إبقائي هنا للأبد

(الرجل الأنيق): لَمَ لا.. عرضي السابق ما زال قائماً..

- ورفضي كذلك..

(الرجل الأنيق): أنت لا تعرف حقيقة سير الأمور من حولك وهذه نعمة أحسدك عليها

- وما الذي يدور حولنا؟

(الرجل الأنيق): أمور كثيرة تسمونها أنتم «خوارق للطبيعة»..

- وماذا تسميها أنت؟

(الرجل الأنيق): أموراً طبيعية فقط.. تحدث قبل ألف عام تقريباً مع

شخصٍ مثلك كان يرى أن طيران الإنسان أمر خارق للطبيعة لكن اليوم الأمر طبيعي بالنسبة لكم

- الأمر يختلف..

(الرجل الأنيق): عقولكم هي التي تختلف لكن الحقيقة ثابتة..

- وما هي تلك الحقيقة؟

(الرجل الأنيق): أنكم لا تعرفون شيئاً على الإطلاق..

صمت الرجل الأنيق وصمت معه ففي كل مرة أتحدث فيها معه يدخلني في دوامة أخرج منها كما بدأت.. لم يدم صمتنا طويلاً وعاد للحديث محدثاً نفسه وهو ينظر للأفق:

«غرور الإنسان يجعله يظن بل يتيقن من أنه الكائن الوحيد في هذا العالم وحتى الكون بأكمله ومجرد افتراض أن أحداً قد يشاركه الوجود في هذا الكون الواسع هو أمرٌ مرفوض تماماً وسيحاربه بكل ما أوتي من جهل. لا تؤمن لكن لا تنفِ.. فلا يقين دون دليل والبينة على من ادعى وأنتم تدعون أنكم تعيشون وحدكم فأثبتوا ذلك مثلما تطلبون منا أن نثبت لكم أنكم لستم القطرة الوحيدة في بحر الأبعاد والأكوان.

- لم يطلب أحد منكم أي إثبات..

(الرجل الأنيق): أسوأ معيار يمكن أن تقيس به الأمور هو نفسك . . أنا لا أتحدث عنك..

- حتى وإن كنت تتحدث عني فصدقني نحن البشر لسنا بخطر عليك في هذا الزمن.. ربما مستقبلاً لكن بالتأكيد ليس الآن..

ابتسم الرجل الأنيق وقال:

«بعض إخوتك يا ابن آدم لن يغفر لك جريمة التفكير فيما هو حولك وحتى لو ناقضت نفسك وأخبرتهم أنهم على صواب والحق معهم فسوف يهاجمونك بحجة أنك تستهزئ بهم فهم بارعون في رؤية السواد في الثوب الأبيض وسوء النية في الطفل الرضيع وأنا فخورٌ بهم فهؤلاء أقرب لي من نفسي وأبنائي الخمسة وأعول عليهم الكثير..»

- لمَ تخبرني بهذا الكلام؟.. لمَ تتحدث بشكل مباشر وبصراحة؟

(الرجل الأنيق): أنت قطعت عهوداً كثيرة على نفسك وكسرت عهوداً أكثر لكن العهد الذي لم تكسره ويجب أن لا تكسره أبداً هو الجدال مع هذه الفئة المغيبة عقولها والغائبة عن الحياة حولها. الوقت المهدور في نقاش الأحمق ستخسره أنت وليس هو فاستحضر ذلك في كل مرة تناقش فيها أحدهم فالذكاء الإنساني له حدود بعكس الغباء الذي لا حدود له ومجال الإبداع فيه مفتوح ولن تتفوق أبداً في صراع أحد أطرافه أحمق.

- لا أعرف هل أنت تنصحني أم تحذرني أم تتلاعب بي

(الرجل الأنيق): أنت لست مركز الكون يا ابن آدم..

بعد دقائق من الصمت عاودت الحديث معه وقلت: هناك فتاة..

قاطعني قائلاً: نعم أعرف.. سبب كل المشكلات التي أحدثتها

- نعم.. أين هي؟

(الرجل الأنيق): معنا..

- يجب أن تعود لأهلها!

(الرجل الأنيق): فكر بنفسك ولا تنشغل بغيرك فأنت لست في وضع أفضل منها

- لست مكترثاً لما سوف تفعله بي المهم أن تعود الفتاة لأهلها سالمة لقد قطعت لها وعداً بذلك

(الرجل الأنيق): البشر غريبون.. قالها وهو ينظر ويمسح على ربطة عنقه الحمراء ويشد طرفها للأسفل..

- غريبون لأننا نفي بوعودنا؟

(الرجل الأنيق): لا.. لسببٍ آخر..

- لا يهمني هذا الحديث المهم أن تعود الفتاة

(الرجل الأنيق): لن تعود.. ثم إنك ستنساها بمجرد عودتك

- هذا لن يحدث.. ثم إن (ميجس) يبحث عني ليقتص مني

(الرجل الأنيق): انسَ أمره لقد لقي حتفه مع قبيلة «المراجيم»..

- لكن أنا لن أنسى الفتاة أبداً

(الرجل الأنيق): هل أنت واثق؟.. قالها موجهاً نظره نحوي..

- أنا أعرف نفسي وأعرف الهوس الذي أُصاب به للحفاظ على وعودي يجب أن تعرف ذلك

(الرجل الأنيق): أنت لست في موقع يؤهلك لتهديدي يا ابن آدم..

- أنا لا أهددك لكني قطعت وعداً لها وسأفي به

(الرجل الأنيق): حسناً.. سوف أعطيك فرصة لتثبت كلامك.. قالها وهو يعود بنظره للأفق أمامه..

- كيف أثبت شيئاً كهذا؟

(الرجل الأنيق): لا يوجد شيء بلا مقابل.. وهذا هو المقابل الذي أطلبه منك.. أن تذكرها كل يوم

- كيف؟.. لم أفهم..

(الرجل الأنيق): كونك لم تفهم فهذا لا يعني أن المسألة صعبة الفهم..

- هل تلمح إلى أني غبي؟

(الرجل الأنيق): هذا الأمر متروك لك وحتى ذلك اليوم ستبقى الشيطانة المتشكلة مكانها.. هي سعيدة بتشكلها على أي حال وتعيش حياة طبيعية

- حياة طبيعية؟.. قلتها بسخرية وتهكم..

(الرجل الأنيق): نعم.. لا تقلل من قدرة الشياطين المتشكلة على أخذ أماكنكم والتعامل معكم دون أن تشعروا بهم

- هل هناك الكثير منهم؟

(الرجل الأنيق): شياطين متشكلة كبشر؟.. نعم.. أكثر مما تتصور..

- لأي غرض تندسون بيننا؟

(الرجل الأنيق): أغراض وأهداف كثيرة.. أهمها هو أننا نستعد..

- تستعدون لماذا؟

(الرجل الأنيق): ليومٍ غفل عنه الكثير من إخوتك يا ابن آدم لكنه قادم لا محالة..

- وكيف نستعد نحن له؟

(الرجل الأنيق): لو كان لروحك ثمن.. فهل تبيعها؟.. أم تشتريها؟

- الحياة أغلى من أن نبيعها وأرخص من أن نشتريها..

(الرجل الأنيق): إجابة جيدة يا ابن آدم..

- أنت لا تنوي إعادتها أبداً أليس كذلك؟

(الرجل الأنيق): فقط في حالة إثباتك أنك لم تنسَها يا سيد (خوف)..

- لدي سؤال آخر..

(الرجل الأنيق): أسئلتك لا تنتهي.. قالها وهو ينهض من مكانه..

- لِمَ نهضت؟

(الرجل الأنيق): لا أستطيع البقاء معك إلى الأبد.. قالها ضاحكاً متهكماً..

- كيف سأعود؟

(الرجل الأنيق): مثلما عدت في المرة السابقة.. وكانت هذه آخر عبارة سمعتها منه قبل أن يختفي من أمامي كالريح..

عدت سيراً نحو المنزل الطيني ودخلت فيه واستلقيت على الأرض الرملية الباردة ونمت في الحال..

استيقظت في غرفتي على فراشي ولم أرَ المتشكل الذي قالوا بأنه كان يحل مكاني.. والغريب أن أول ما خطر ببالي هو أني ما زلت مسجلاً في قسم الجوازات كمسافر في تلك الدولة الخليجية ولم أعد بعد ويجب أن أعالج هذا الأمر.

كان الوقت أول الصباح وصوت دقات عقارب ساعة منبهي القديمة هو الشيء الوحيد المسموع في هدوء غرفتي السوداء المصمتة حتى سمعت أمي تنادي علي وعلى أخي من الطابق السفلي لتناول الإفطار كالعادة.

نهضت وجلست على طرف السرير أفكر..

منذ ذلك اليوم أصبح اسم (كومن تاج - Komontage) جزءاً لا يتجزأ من حياتي.. حاولت أن يكون الاسم حاضراً معي بأكبر قدر ممكن كي لا أنساه وبالفعل لم يغب عني منذ ذلك اليوم قط. بعد بضع سنوات وقبل اقترابي من العقد الرابع من عمري بأشهر قليلة.. تلقيت اتصالاً على هاتفي الذي لم أغير رقمه.. كانت (جواهر).. لقد عادت سالمة لأهلها بعد الغياب.. كانت تشكرني.. لم يكن حديثاً طويلاً لكنه كان همّاً أزيح عن كاهلي.

إذا كنت ممن قرأ اسمها أو كتبه في الماضي يوماً فأنا أشكرك بالنيابة عنها لتذكرها معي.. هي ممتنة لك دون أن تعرفك.. وأنا ممتن لك دون أن أخبرك..

المُنْتَهى

الجنون مخرج شرعي جميل.. أتمنى أن أكون مجنوناً.. أتمنى ذلك بحق.. لكني قابلت من وُصفوا بأنهم أكثر جنوناً وغرابة مني خلال حياتي القصيرة وأحب أن أقول لكل «غريبٍ» مميز في زمن «النُّسخ» المكررة نحن لا نسير مع القطيع ولا نعوم مع التيار ولدنا مختلفين وسنموت مختلفين. قد نُجبر على الاختباء أحياناً والتخفي في الظلام والتبرؤ من مبادئنا وإنكارها لنسمح لها بالنمو والانتعاش بعيداً عن معاول الهدم الجاهلة.. كل شيء فان وسيفنى إلا الحقيقة.. الحق ثابت والزمن متغير لكن ماذا عن الإنسان؟

الحياة بها فراغات وفجوات كثيرة وأسئلة لم يُجَبْ ولن يُجاب عليها.. مثل قصصنا.. الغيب نعمة لا نعيها كما قال الرجل الأنيق..

من أكثر التوجيهات التي أسمعها من المحيطين بي هو «يجب أن تكون طبيعياً وتخفف من غرابة تصرفاتك» وعندما أسألهم «ما معنى أن أكون طبيعيّاً؟» تأتيني الإجابة غالباً بـ «أن تصبح مثلنا تماماً» لذا أسأل الله كل يوم أن لا أكون طبيعيّاً أبداً.

الجهل مرضٌ معدٍ وينتقل بالوراثة والشفاء منه يتطلب مضاداً فكرياً قوياً فعاري الفكر لا يجيد النقاش بلباس المنطق ويستبدل رجاحة العقل والحجة ببذاءةَ اللسان. لن يعترف أحدٌ بوجودك إذا رهنت ذلك الوجود برأي الناس وراهنت على قبولهم له. أهم سمات التحضر هي القدرة على التغير وإذا كنت ترى أن غيرك في ضلال فادعُ له بالهداية فهذا هو الإيمان الحقيقي وعدا ذلك فما هو إلا انعكاسٌ لما في جوفك ولا تجعل ثقتك بنفسك تنسيك ثقتك بالله أبداً فمبدأ السفيه كان وما زال أن المتهم مدان حتى تثبت إدانته.

أريد أن أكون واضحاً في السطور الأخيرة من هذا الجزء من مذكراتي.. أنا لا أبحث عن تصديق أحد فلا تطلب مني دليلاً ولا أبحث عن رضا أحد فلا تحاول أن تقدم لي تبريراً. أنا مكتفٍ بالإشارة تجاه الطريق المؤدي للحقيقة من وجهة نظري ولم ولن أرغم أحداً على شيء في يومٍ من الأيام فحاول أن تقوم بذلك أنت أيضاً.

تُخلد الأفكار بعد موت المفكر و يموت الأحمق وهو يحاول قتلها .. لا خوف على ضياع علمٍ مكتوم ولا بقاء جهالة مستفحلة.

أتوق من وقتٍ لآخر للعودة.. لليوم الذي تعطل فيه تلفاز.. حُرم بسببه طفلٌ من مشاهدة برامجه المفضلة وقاده ذلك الحرمان لمكتبة أبيه ولكتابه الأول..

لكنه رحل.. رحل بلا عودة..

فعلياً لا يوجد «نهاية» لأي قصة أو حكاية.. مجرد توقف للأحداث في زمنٍ معين..

لذا سأتوقف عن سردها هنا ولن أتوقف عن كتابتها أبداً.. سأكتبها بيدي اليسرى كما اعتدت دوماً.. لكن سيبقى السؤال الذي يراودني ويضج به عقلي دائماً هو:

هل الموت وأنت تكتب من حسن الخاتمة؟.. خوف